

أفغانستان في التاريخ المعاصر

تأليف: علي رضا آبادي
ترجمة و تقديم: أحمد النادي
مراجعة: السباعي محمد السباعي



أفغانستان

في التاريخ المعاصر

المشروع القومي للترجمة

إشراف : جابر عصفور

- العدد : ١٠٥٨

- أفغانستان فى التاريخ المعاصر

- على رضا على أبادى

- أحمد محمد نادى

- السباعى محمد السباعى

- الطبعة الأولى ٢٠٠٧م

هذه ترجمة كتاب :

افغانستان

عليرضا على أبادى

مؤسسة چاپ وانتشارات وزارت امور خارجه

حقوق الترجمة والنشر بالعربية محفوظة للمجلس الأعلى للثقافة

شارع الجبلية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة ت ٧٣٥٢٣٩٦ فاكس ٧٣٥٨٠٨٤

El Gabalaya St., Opera House, El Gezira, Cairo

Tel. : 7352396 Fax : 7358084.

المشروع القومي للترجمة

أفغانستان

في التاريخ المعاصر

تأليف : علي رضا علي آبادي
ترجمة وتقديم : أحمد محمد نادی
مراجعة : السباعي محمد السباعي

بطاقة الفهرسة

إعداد الهيئة المصرية العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشؤون الفنية

آبادى ، على رضا على
أفغانستان فى التاريخ المعاصر
تأليف : على رضا على آبادى ، ترجمة وتقديم : أحمد محمد نادى
مراجعة : السباعى محمد السباعى
ط ١ - القاهرة : المركز القومى للترجمة ، ٢٠٠٧
٢٨٠ ص ، ٢٤ سم المشروع القومى للترجمة ١٠٥٨
١ - أفغانستان - تاريخ ١ ، ٩٥٨
(أ) نادى ، أحمد محمد (مترجم ومقدم)
(ب) السباعى ، محمد السباعى (مراجع)

رقم الإيداع ١٧٦٢٥ / ٢٠٠٧

الترقيم الدولى I.S.B.N. 977-437-439-8

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

تهدف إصدارات المشروع القومى للترجمة إلى تقديم الاتجاهات والمذاهب الفكرية المختلفة للقارئ العربى وتعريفه بها ، والأفكار التى تتضمنها هى اجتهادات أصحابها فى ثقافتهم ، ولا تعبر بالضرورة عن رأى المجلس الأعلى للثقافة .

المحتويات

7	: مقدمة المترجم
25	: الجغرافيا الطبيعية لأفغانستان
35	: الجغرافيا البشرية والاجتماعية
53	: الدين والمذهب
61	: الأوضاع الاجتماعية والثقافية والتعليمية
81	: وسائل الإعلام
95	: الأوضاع الاقتصادية
145	: المؤسسات الإدارية والحكومية
243	: الأهمية الاستراتيجية لأفغانستان
249	: السياسة الخارجية لأفغانستان
257	: العلاقات الأفغانية الإيرانية

مقدمة المترجم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على معلم البشرية وهادئها إلى الطريق القويم محمد بن عبد الله، صلى الله عليه وسلم.

هذه ترجمة لكتاب " أفغانستان " الصادر من وزارة الخارجية الإيرانية سنة ١٣٧٢ هـ ش / ١٩٩٢ م لمؤلفه على رضا على آبادي . ولقد جعلت عنوان الكتاب " أفغانستان في التاريخ المعاصر "، لأن الكاتب لم يتطرق إلى ماضي أفغانستان، وإنما تناول حاضرها ملقيا الضوء على كل جوانب الحياة فيها حتى عصر طالبان. وسوف أحاول من خلال هذه المقدمة الوقوف على الواقع قدر الإمكان.

وعلى الرغم من الخصوبة الفكرية التي يحتويها هذا السفر المتواضع، فإنني لا أحسب أن صلتى به قد انحصرت في مجرد علاقة بين مترجم وكتاب ، بل إن عملي في هذا الكتاب اعتبره محبة لهذا الشعب المبتلى والمكافح الذي نشأ على الجلاء والإقدام لا يدين لسلطة الأجنبي. وتخبرنا المصادر بما وقع للغزاة على أرضه، فقيما هزم الإسكندر المقدوني عند مروره من أرض كابل إلى الهند، وتفرق جيشه بعد أن دان له العالم^(١)، كما أن العرب لاقوا منه عنتا كبيرا .

وحديثا كانت أفغانستان مسرحا للمناورات البريطانية والروسية الخطيرة على مستقبلها ومستقبل جيرانها^(٢)، وخرجت كلتاها تجران أنيال الخزي والعار،

(١) ابن اسفنديار (محمد بن حسن)، تاريخ طبرستان، ترجمة د. أحمد نادى، القاهرة ٢٠٠٢ م، ص ٢٠.

(٢) عبد العزيز سليمان نوار (دكتور)، تاريخ الشعوب الإسلامية، القاهرة، ١٤١١ هـ / ١٩٩١ م، ص ٤٢٧ .

فبريطانيا كانت ترى أن أفغانستان قوية تمثل خطرا على نفوذها في الهند، فعملت على إضعافها بكل الوسائل، وذلك بتدبير الفتن والمؤامرات كعادتهم دائما.

وفي ديسمبر ١٢٥٥هـ/ش/ ١٨٣٨ م غزا أفغانستان جيش إنجليزي ، وتمكن من احتلال قندهار ثم كابل وغزني ، لكن هذا الشعب الأبيّ أبى واستعصم فقاومهم مقاومة شرسة أبادت جيشا إنجليزيا بأكمله لم يسلم منه إلا طبيب قص ما حدث لجيشه^(١)، وكانت لهذه الهزيمة تداعيات مهمة، أسهمت في سقوط حكومة اللورد ملبورن^(٢) وحدث بعض التغيرات في الحكومة وقيادة الجيش بعد هذه الحرب الكبرى^(٣).

وللقادة العسكريين رأى عظيم في أفغانستان وشعبها ؛ إذ يرون أن هناك اختلافا كبيرا بين هزيمة أفغانستان عسكريا والسيطرة عليها، فهزيمة أفغانستان عسكريا واحتلالها أمر ممكن ، لكن ترويضها والسيطرة عليها مستحيل أو على الأقل صعب. وقد شوهد في الفترة الأخيرة الاتحاد السوفيتي - مع كل ماله من قوة عسكرية - وقد باء بفشل عظيم وترك أفغانستان مرغما^(٤) ، والأيام تخفى مستقبل الولايات المتحدة الأمريكية والأمريكان الذين يهدفون إلى ما يسمونه بنظرية الدومينو ، وتعنى السيطرة على الحكم في بلد ما ، وبالتالي يسقط في أيديهم البلد التالي ، وهذا ما حدث في أفغانستان التي فتحت شهيتهم صوب العراق، لكن للغد رأى آخر في أفغانستان والعراق.

وأفغانستان بلاد إسلامية مستقلة في وسط قارة آسيا، حافظت على استقلالها وشخصيتها بفضل جهاد أبنائها البواسل ، وبفضل تمسكهم بإسلامهم. وهم ينقسمون إلى طائفتين عظيمتين:

(١) فاروق حامد بدر، تاريخ أفغانستان من قبيل الفتح الإسلامي حتى وقتنا الحاضر ، مكتبة الآداب بالجماميز، د. ت، ص ٥٨ : ٦٥.

(٢) على أبادي على رضا، أفغانستان ، تهران ١٣٧٢ هـ. ش، ص ١٢٢.

(٣) المرجع السابق، ص ١٢٨.

الدرانيون: وهم الذين بيدهم مقاليد الحكم.

الغلاجانيون: وهم خليط من عناصر مختلفة^(١).

وهناك افتراضان لمعنى الكلمة وأصلها:

الأول: أن "أفغانستان" اسم أطلقه الفرس على سكان تلك المنطقة بعلّة أنهم عندما أسرههم الملك بختنصر في الأزمنة القديمة كان لهم أنين وضنين ، وهو ما يعرف بالفارسية "فغان" فأطلق عليهم هذا الاسم آنذاك^(٢). وقد وردت هذه الكلمة لدى الفلكي الهندي "فراهاميهيرا" في أوائل القرن السادس الميلادي في كتابه "برهات سمهيتا"، كما أن الرحالة الصيني "هيوان تسنك" الذي زار كابل قبل الفتح الإسلامي ذكر قبيلة اسمها "افغان" كانت تسكن جبال سليمان^(٣).

الثاني: يرى أن "أفغان" اسم لحفيد "شاءول" وهو جد للأفغانين ؛ فسموا باسم جدهم وهو بنيامين بن يعقوب عليه السلام الذي سافر مع أبنائه الأربعة عندما حلت الكارثة ببني إسرائيل ، واتجه إلى هذه المنطقة الواقعة شرقي بلاد فارس وأقام فيها، و على هذا الرأي فهم جنس سامي لا حامى ، لكن الثابت تاريخيا أنهم جنس أرى ينحدر من الفرع "الهندوأوروبي" ولا توجد أدنى مشابهة بين لسانهم وبين اللسان العبرى^(٤). وتذكر بعض المصادر أن الأفغان ذكروا باسم أوغان، غير أن وجه اشتقاقهم منها غير مقنع على رأى دهخدا^(٥).

(١) دهخدا على أكبر لفتنامه ، شماره هفت، تهران ١٣٣٨ ، ٢١٢٦ .

(٢) جمال الدين الأفغانى ، تنمة البيان فى تاريخ الأفغان ، تصحيح على يوسف الكريولى ، الطبعة الأولى ١٣١٨ هـ ، ١٩٠١ م ص ١٢٨ .

(٣) دائرة المعارف الإسلامية ، مادة: أفغان . وانظر: محمد عبد القادر أحمد (دكتور)، المسلمون فى أفغانستان، ط ١ ، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م ، ص ١٤ .

(٤) تنمة البيان فى تاريخ الأفغان، ص ١٢٨ .

(٥) لفتنامه ، شماره هفت ص ٢١ و ٢٦ .

وقد ورد ذكرهم في آثار الكتاب الإسلاميين على أنهم جزء من قبائل البشتون ،
ثم أخذت دلالة الكلمة في الاتساع تدريجيا حتى أطلقت على جميع قبائل البشتون ،
وأما اسم أفغانستان فكان يطلق في بداية القرن الثالث عشر على جزء من الولايات
الشرقية للبلاد^(١).

أما عن التطور التاريخي لكلمة " أفغانستان " فشعبها كان يعرف منذ البداية
وحتى قبل العهد الأوستائي " بأريانا " ، وهو أقدم أسماء أفغانستان، والذي كان يطلق
منذ عهد " الأوستا " (الذي كان متداولاً قبل الميلاد وحتى القرن الخامس الميلادي)
أيريانا^(٢)، ثم خراسان، وهي التي ظهرت بعد القرن الثالث الميلادي ، ثم أفغانستان
بدلاً من خراسان.

ورد في مصادر أخرى أن الأفغان ذكروا باسم "أوغان" لفترة طويلة، وأنهم
يعيشون في جبال الهند على الحدود الغربية، كما أن جبال سليمان هي أقدم
موطن للأفغان^(٣).

والأفغان سمر البشرة أقوياء البنية، أنوفهم طويلة وعيونهم سوداء ورءوسهم
عريضة وشعورهم سوداء مموجة ، وفي الوقت نفسه توجد قلة تتميز بالبشرة
الشقراء^(٤).

(١) المصدر السابق ص ٩ ، ١٠ . وانظر: المسلمون في أفغانستان ، ص ١٤ ، ١٥ . ودائرة المعارف الإسلامية،
مادة أفغان . وبتمة البيان في تاريخ الأفغان، ص ١٢١ .

(٢) ابن حوقل (أبو القاسم النصيبى ت بعد ٣٦٧هـ / ٩٧٧م)، صورة الأرض ، طبع مكتبة الحياة ، بيروت
١٩٣٩ ، ص ٢٨٤ .

(٣) مطبرون ، الجغرافية العمومية ، تعريب : رفاعة ، بدون تاريخ، ص ١٨٤ ، لونكويرث (دميتركب)
أفغانستان، ترجمة، إبراهيم خورشيد وآخرين، ط أولى ، بيروت ١٩٨٠ ، ص ١٥ .

(٤) دائرة المعارف الإسلامية، مادة "أفغان".

ومن أهم القبائل الأفغانية نجد قبائل "البوندائية"، وهم بدو ينتقلون بين مجرى نهري كومل وتوجي حتى ضفاف السند، و"الكاكيرية"، ويستقرون في منطقة بشين وزوب في بلوخستان، و"الشيرانية" في جبال سليمان، والوزيرية في وزيرستان، واللوهاتية على التلال، و"البتوجية" في وادي توجي، و"الخطكية" على سواحل السند، و"لافيديّة" في ممر خيبر، و"مهمند" شمال كابل، و"الفلزائية" في جلال آباد^(١)، وللأفغان تقليد موروث في تولى رئاسة القبيلة، حيث تكون للأكبر سناً، كما أن لمجلس الأعيان القبلي "لويه جرگه" دوراً مهماً في الفصل بين الخصومات والتشاور في الأمور^(٢).

ولغة البشتو هي اللغة الأفغانية المحلية، وتنتشر في المناطق الشمالية الشرقية لكابل، والشمالية الغربية للهند، وتمتد إلى الجنوب حيث يوجد بعض الأفغان بمنطقة توران (بلوخستان)، وهي خليط من الأردية والإنجليزية والفارسية والتركية، وتكتب الآن بحروف عربية مع بعض التغيرات^(٣).

والكتاب يضم عشرة فصول. جاء الفصل الأول فيه تحت عنوان الجغرافيا الطبيعية لأفغانستان، وتحدث المؤلف فيه عن الماهية الجغرافية لأفغانستان من حيث التضاريس والهضاب والجبال والممرات والسهول والأودية وكذلك المناخ والأنهار، وهي دولة حبيسة محاطة بالجفاف والتصحر، وتضاريسها تعمل على إضعاف مستوى الترابط والتجانس والحيوية بين مناطق الدولة، إذ إنها بالغة التعقيد، تتكثل في سلسلة جبال الهندكوش التي تنحدر على جوانبها أودية عميقة في اتجاهات مختلفة؛ مما أدى إلى تقطيعها إلى عدة سلاسل يحمل كل منها اسماً مختلفاً، وتمتد بين هذه السلاسل الجبلية والقمم التي يزيد ارتفاع بعضها على ٧٠٠٠ متر هضبة بامير التي تعرف بسقف

(١) دائرة المعارف الإسلامية، مادة "آفغان".

(٢) دائرة المعارف الإسلامية، مادة "آفغان".

(٣) دهمدا على أكبر، لفتنامه شماره بیست و هفت، ص ٢٥، ٢٦.

الدنيا أو سقف العالم؛ لشدة ارتفاعها ، وهى أعلى هضاب العالم. وتبدأ امتدادها من سلسلة جبال الهيمالايا ، وتستمر فى امتدادها غربا إلى هراة وتغطى بالجليد معظم أيام السنة^(١).

وجبال الهندكوش فى أعلى العاصمة الأفغانية كابل تمتد من الشرق إلى الغرب على امتداد ستمائة ميل ، وتعرف بقائلة الهندود ؛ وذلك لشدة ارتفاع درجات البرودة بها شتاء حيث تصل إلى ١٠م تحت الصفر. وقد ذكر ابن بطوطة أن جبال الهندكوش معناها " قائلة الهندود "، وذلك لأن العبيد و الجوارى كانوا يجلبون من بلاد الهند إلى فارس فيموت بها الكثير منهم^(٢).

ويأتى ممر خيبر، أشهر ممر يخترق جبال سليمان على الحدود الشرقية للعاصمة الأفغانية كابل ويفصل بين الهند وكابل مارا بمنطقة بشاور ، ويبلغ طوله ثلاثة وخمسين كيلو مترا، ويقع فى واد جبلى جذب ، وترى من فوقه هضاب السند، وكانت تمر به القوافل التجارية والقبائل^(٣).

ومن حيث المياه والأنهار، فعلى الرغم من أنها دولة حبيسة فإن التميز الجغرافى فى تضاريسها جعل الأنهار والجداول تجرى بها ؛ ولهذا فهى بلد غنى بالثروات الطبيعية والأراضى الخصبة والخيرات الوفيرة والمراعى الواسعة. ونهر جيحون أهم أنهارها، وينبع من جبال بامير بطول ٢٥٠٠ كم. وتمثل هذه الأنهار محاور للحركة ، ومراكز عمرانية رئيسية. يعتمد اقتصادها على الزراعة وسط هذه البيئة

(١) عبد الله عزام ، جهاد الأفغان ، ط الأردن ١٩٨١ ص ٥ . وانظر المسعودى (أبو الحسن على بن الحسين ت ٢٤٦هـ ١٩٥٧م) مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، الطبعة الثانية ١٢٦٧هـ ١٩٤٨م، ج ١ ص ٦٨.

(٢) محمد بن إبراهيم اللواتى، ت ٧٧٩هـ ، رحلة ابن بطوطة ، ط دار صابر، بيروت، د.ت، ص ٢٩١ . ٢٩٠ .

(٣) دائرة معارف أريانا، ١٢٢٦هـ. ش ، ص ٧.

الجبلية. كما أسهمت هذه التضاريس فى تقطيع السطح إلى أقسام يكاد يشكل كل منها وحدة إقليمية قائمة بذاتها ، ومركزا لبيئة اجتماعية منفصلة ومستقلة ، الأمر الذى ألقى بظلاله على تشكيل التحالفات السياسية بين المجموعات العرقية فى أفغانستان ، وتعميق هوة الخلافات بينها.

وتحدث الكاتب فى الفصل الثانى عن الجغرافيا البشرية والاجتماعية فى أفغانستان ، وهى تتسم بالتعددية العرقية والقومية المعقدة التى أسهم الموقع الجغرافى بدور كبير فيها. يصاحب هذا التعدد انقسام حاد فى توجهات الجماعات المكونة للدولة؛ مما أدى إلى عدم القدرة على الالتقاء حول المصلحة العليا للمجتمع ، فالخريطة العرقية تحتوى على أكثر من عشرين جماعة ولغة وثقافة.

والانقسام الجغرافى الحاد نجده منعكساً على المجتمع فى تحصن كل جماعة داخل منطقة عرقية معينة، وقد حدث استقطاب سياسى للجماعات المؤثرة فتأسست الأحزاب السياسية المختلفة من جراء هذا الانقسام العرقى ، وحاولت كل جماعة أن تقوى من شوكتها على حساب الآخرين^(١).

وخلق هذا التعدد العرقى مناخا مناسباً للصراع بين الفصائل الأفغانية ، خاصة وأن هذا التنوع قد اقترن بوجود إمدادات لبعض القوميات المؤثرة فى أفغانستان داخل دول الجوار. فالبشتون لهم امتداد داخل باكستان ، والطاجيك داخل جمهورية طاجيكستان ، والأوزبك فى أوزبكستان ، بالإضافة إلى الشيعة الذين لهم امتداد بحكم الانتماء المذهبى فى إيران^(٢) ، ويمثل البشتون الشريحة العظمى من السكان ويبلغ تعدادهم أحد عشر مليوناً وفقاً لإحصائية ١٩٩٢ م ، ويستجمعون فى أيديهم مقاليد

(١) محمد عبد القادر أحمد ، المسلمون فى أفغانستان ، ص ٦٥.

(٢) طارق بحروج ، تطورات الأزمة الأفغانية وأبعاد الدور الدولى ، السياسة الدولية ، عدد ١١٨ أكتوبر ١٩٩٤ ، ص ١١٤.

الأمور في الدولة؛ الأمر الذي كانت له تبعاته، إذ كان هذا يعنى بالنسبة لساائر القوميات الأخرى أن أفغانستان دولة تدار عن طريق البشتون ولأجلهم. ومما يُعدُّ مؤشرا على ذلك تلك المحاولات التي استهدفت قلب نظام الحكم أو إثارة الاضطرابات الداخلية العنيفة^(١).

وقد لعبت الطبيعة الجبلية القاسية دورا مهما في تحديد سمات العلاقة وشكلها بين السلطة والشعب ، إذ كان الشعب الأفغانى يقسم إلى كيانات عرقية مذهبية جغرافية، يكاد أن يشكل كل منها مجتمعا قائما بذاته ومتباينا في خصائصه الاجتماعية.

وفي الفصل الثالث جاء الحديث عن الدين والمذهب. ووفقا للدستور الأفغانى فإن الدين الإسلامى هو الدين الرسمى للدولة ، وتجرى به الشعائر وفقا لأحكام المذهب الحنفى ، وأفراد الشعب الذين لا يعتنقون الدين الإسلامى أحرار فى إقامة مراسمهم المذهبية فى الإطار والحدود التى تحددها القوانين الخاصة بالأداب والراحة العامة^(٢).

ويشكل أهل السنة ٨٤٪ بينما يمثل الشيعة ١٥٪ من تعداد السكان، ويقيمون فى المناطق القريبة من الحدود الإيرانية ، ولهم مجتمعاتهم المنظمة وحلقاتهم المحكمة عقائديا واجتماعيا، كما توجد نسبة ١٪ من السكان لهم ديانات أخرى كالسيخ والهندوس واليهود.

ولأن الجمود وضيق الأفق الفكرى والانغماس فى الذات والتمركز حولها يعد من أبرز موروثات الموقع الداخلى الحبيس لأفغانستان، فإن التعصب الطائفى أو المذهبى

(١) عبد الله صالح ، الصراع فى أفغانستان ومستقبل الدولة ، السياسية الدولية ، عدد ١١١ يناير ١٩٩٢ ص ١٥٧ ، وانظر: محمد مهدى عاشور ، التعددية الاثنية إدارة الصراعات واستراتيجية التسوية ، المركز العلمى للدراسات السياسية ، الأردن ط ٢٠٠٢، ص ٨١ و ٤٨.

(٢) دستور أفغانستان ١٩٦٤ ، المادة الثانية.

والتقليل من شأن المذاهب الأخرى، بل وتكفيرها أحيانا، يشكل سمة من سمات المجتمع الأفغانى ، وأحد عوامل التفكك السياسى وعدم الانسجام الاجتماعى بين السكان.

أما عن الصراع الأيديولوجى بين السنة والشيعة فهو الأخطر والأكثر امتدادا فى إطاره الزمنى من أى صورة أخرى من صور الصراع على مر التاريخ ، ويظهر من حين لآخر فى القرى البعيدة ، وهى خلافاً لها جنود تمتد إلى عصر صدر الإسلام، ثم عصر بنى أمية بعد مقتل الإمام على، وهذه الخلافات تدور حول الأعياد وصلاة الجمعة والأذان وزواج المتعة ، وتزداد عمقا بين الأميين فى القرى^(١) ، ويتمسك الشعب الأفغانى بتعاليم الدين الإسلامى تمسكا شديدا ، كما أن لرجال الدين نفوذا كبيرا ومصداقية تامة لدى الحكومة وأفراد الشعب ، فقولهم هو الصدق ، وفيما ينطقون به فصل الخطاب فى أى أمر من الأمور.

ويبدو أن الدوافع والأسباب التى تكمن وراء تمسك الشعب الأفغانى بدينه الإسلامى إنما ترجع لخوفهم من طغيان الدول الكبرى المحيطة بهم التى لا تعتق الإسلام، كما حدث لمسلمى جنوب الاتحاد السوفيتى قبل انهياره ، وما يحدث فى الشيشان الآن . وما يحدث لهم الآن على يد الأمريكان هو خير تأكيد على ذلك .

وفى الفصل الرابع جاء الحديث عن المجتمع الأفغانى وعاداته وثقافته وتعليمه. ويبدو من بين سطور أنه مجتمع ذو تقاليد موروثة ، فهو قبلى وإسلامى وزراعى ورعوى ومسالم ومحارب. تشاهد فى المدن الكبرى - خاصة " كابل " - بعض المظاهر المحدودة من سلوكيات الحياة الغربية ، لكن الأمر يختلف فى القرى والمدن الصغيرة أو البعيدة، إذ لا تزال العادات والتقاليد أمرا جوهريا فيها^(٢).

(١) المسلمون فى أفغانستان ، ص ٣٠ ، ٣١ . وانظر : Brecht , a , political theory : the foundation of twentieth century political thought , princeton press 1963 . pp.85,86.

(٢) المسلمون فى أفغانستان، ص ٢٥ . وانظر : محمد على ، صور من عادات الشعب الأفغانى وتقاليد، ترجمة د. محمد نور الدين عبد المنعم، د. ت، ص ٨٥ .

ومن أهم الصفات التي تميز المجتمع الأفغاني نظام الأسرة المترابط، وفي المنزل الأفغانية يعيش الأبناء مع الوالدين، وتنتظر الزوجة الأفغانية إلى الزواج على أنه رباط مقدس ، وهي وفيه لزوجها تشاركه أعباء الحياة وتعتنى بأولادها ، وتقوم المرأة بدور فعال في صناعة السجاد والبسط القيمة ذات الشهرة التاريخية ؛ فهي ذات أنامل رقيقة سريعة الحركة^(١).

ويقترّب تعداد الإناث من نصف سكان أفغانستان وفقاً لتقديرات ٢٠٠١م، إذ تبلغ ١٢,٩٩٨,٤٥٠ في حين يبلغ الذكور ١٣,٨١٤,٦٠٧ ، وترتفع نسبة الأمية بينهم، وعلى الرغم من ذلك فقد شارك في الحياة الاجتماعية والسياسة وساهم في صياغة دستور ١٩٦٤م ، وفي عقد السبعينيات كان هناك ثلاث نساء على الأقل في البرلمان . وحتى مطلع التسعينيات كانت النساء يعملن معلمات وموظفات وطبيبات في الحكومة ، كما عملن أساتذة جامعات ومحاميات وقاضيات وصحفيات وكاتبات وشاعرات، إلا أنه عند وصول "طالبان" إلى السلطة جرى تهميشهن ، وحدثت بصورة كبيرة حرية المرأة في الحركة^(٢).

وفي الفصل الخامس جاء الحديث عن دور وسائل الإعلام ، ويبدو أن وضعها آنذاك كان ولا يزال يفتقر إلى المقومات الأساسية لوسائل الإعلام الحديثة، لاسيما في الإعلام المرئي وكذلك المسموع. على النقيض من الإعلام المكتوب ؛ إذ به جهد ملموس من نشرات مختلفة متمثلة في الجرائد والمجلات بشكل واسع جدا وصل إلى حالة من الإفراط ، ويعود هذا في رأيي إلى تعدد طوائف الأفغان ، ورغبة كل طائفة في أن تبرز دوراً مهماً ، وتعبر عن وجودها من خلال إصدار النشريات، لاسيما في أثناء الاحتلال السوفيتي لأفغانستان.

(١) عباس إقبال، يادگار ، تهران ١٣٢٥ هـ. ش ، ص ٣٧ .

(٢) بيان الأمين العام للأمم المتحدة أمام مؤتمر القمة العالمي للمرأة الأفغانية في بروكسيل ٤ - ٥ - ٢٠٠١م.

ثم عرج إلى الحديث عن الأوضاع الاقتصادية في الفصل السادس، فأشار إلى أن الأنشطة الاقتصادية الأفغانية تناقصت منذ احتلال الاتحاد السوفيتي السابق لها في أواخر ١٩٧٩م ، ثم اندلاع الصراعات الداخلية والعرقية عقب انسحابه منها، إضافة إلى أن الاقتصاد الأفغاني كان ضعيفا بالفعل ، بل يقف في مصاف أفقر الدول ، يأتي هذا على الرغم من أن أفغانستان واحدة من الدول الغنية بالموارد المعدنية ؛ تتمثل في الحديد الذي توجد مناجمه في جبال الهندكوش وسليمان^(١)، والنحاس بمنطقة منارجكري^(٢)، والرصاص بمنطقة غوربند^(٣)، والقمح في جبال الهندكوش شمالا وبلوخستان جنوبا^(٤)، ثم الغاز الطبيعي، وهو أهم مخزون للطاقة في الدولة ويتركز في مزار شريف، ويغلب على هذه المصادر المعدنية أنها لا تزال بكرا ولم تستغل بعد.

والزراعة العصب الرئيسي للاقتصاد الأفغاني، على الرغم من أن المنطقة الجبلية بها تمثل ٨٠٪ من جملة مساحتها. وحوالي ١٥٪ من أراضيها صالحة للزراعة ، ويعمل بها أكثر من ٨٠٪ من التعداد السكاني، وكانت حتى قبيل الغزو الروسي تتمتع بالاكتماء الذاتي من المواد الغذائية.

ويأتي الفصل السابع أهم فصول الكتاب ؛ إذ يدور حول محاور مهمة وهي:

انفصال أفغانستان عن إيران بمقتضى معاهدة باريس ، الأمر الذي كان له تبعاته ، إذ عمل الإنجليز على تنمية نفوذهم في الهند، وكان هذا غاية ما يطمح إليه

(١) ابن حوقل ، صورة الأرض، ص ٣٢٨.

(٢) ابن حوقل ، صورة الأرض، ص ٣٢٨.

(٣) البيروني (أبو الريحان محمد بن أحمد الخوارزمي ت ٤٤٠هـ / ١٠٤٨م) ، الجماهر في معرفة الجواهر، طبعة حيدر آباد الدكن ١٢٥٥هـ، ص ١٣٠ .

(٤) لسترا نيج (كي) بلدان الخلافة الشرقية، نقله إلى العربية بشير فرنسيس وكوركيس عواد، بغداد ١٣٧٣ هـ / ١٩٥٤م، ص ٢٨٩.

الجنرالات والساسة الإنجليز ، وهو أن تتفصل أفغانستان عن إيران وتصبح مانعا طبيعيا يحول دون هجوم برى على الهند^(١).

ثم تحدث عن الغزو السوفيتى لأفغانستان ، وما خلفه من دمار وتشريد، هذا الغزو الذى أفرزته عوامل إقليمية ودولية ، إذ كان السوفييت يرون فيه طريق الوصول إلى باكستان والاقتراب من المحيط الهندى والخليج العربى ومنايع البترول، بكل ما يحمله ذلك من تهديدات للغرب والولايات المتحدة ، وفى الوقت نفسه يرمى إلى احتواء الصين للحيلولة دون استمرارها فى عرقلة استراتيجيته فى ممارسة النفوذ والتوسع الإقليمى^(٢) ، وقد أسفر التدخل السوفيتى فى أفغانستان عن كثير من التداعيات ؛ منها ما كان فوريا عقب التدخل مباشرة ، ومنها ما كان أجلا أفرزته الأحداث الداخلية والإقليمية والدولية ، وأدى بدوره إلى إعلان السوفيت عن رغبتهم فى الانسحاب من أفغانستان.

وكان من أبرز هذه التداعيات الخسائر الفادحة فى الأرواح ، والتي وصلت إلى مقتل مليون مواطن أفغانى ومقتل ١٠٠ ألف من رجال المقاومة الأفغانية. أما عن الجرحى ومن أصيبوا بعاهاات فإن عددهم يفوق عدد القتلى بكثير ، فضلا عما أصاب البنية التحتية من خراب وتدمير للمدن وإبادة عشرات القرى عن بكرة أبيها^(٣).

كما جاء تأثير التدخل السوفيتى مزبوجا على حركة المقاومة ذات الطابع الإسلامى ، إذ أسهم هذا التدخل فى تقوية نظام الحكم الذى كاد أن يسقط ، وأبعدهم بدوره عن الانتصار الذى كاد أن يتحقق لهم فى مواجهة الحكومة الأفغانية فى عهد

(١) عبد العزيز نوار ، الشعوب الإسلامية ، دار النهضة العربية ، القاهرة ١٩٩١م ، ص ٢٥٩ - ٢٦٨.

(٢) Noncy Rebody Newell , Richards . Newell the struggle for Afghanistan U.S.A (٢) Ma - Cornell University press , 1981 .p.156

(٣) المسلمون فى أفغانستان ، ص ٨٥ - ٩٨ . وانظر: لارى جونسون القضية الأفغانية وانعكاساتها الإقليمية والدولية، مركز الدراسات الآسيوية ، القاهرة ١٩٩٩م ، ص ٢١٠ .

حفيظ الله أمين ، إلا أنه على الجانب الآخر أوجد قوى جديدة متعاطفة مع المقاومة الإسلامية.

تسبب الاحتلال السوفيتي في طرد أبناء أفغانستان وهجرتهم إلى دول الجوار؛ إذ وصل عدد المهاجرين الأفغان إلى أكثر من خمسة ملايين وأغلبهم من الولايات الشرقية، وقد اتجه منهم إلى باكستان نحو ثلاثة ملايين ، ونحو مليونين إلى إيران ، ومائة وخمسين ألفا إلى الغرب ، وخمسين ألفا إلى الجزيرة العربية ، وحوالي عشرة آلاف إلى تركيا. ولا يتوقف الأمر عند حد الهجرة، بل يضاف إليه ما ترتب على ذلك من تردى الأوضاع المعيشية بحيث أصبحوا مصدر قلق إقليمي ودولي^(١). وتسبب خروجه أيضا في عدم استقرار سياسة "الوفاق الوطني" وظهور الاختلاف بين "المجاهدين" ، وترتب عليه ضياع روح الجهاد، والفشل في مسألة إعداد نموذج للحكومة الإسلامية المنتظرة (والمنبثقة من الحركة الإسلامية الأصلية) ، والسعى من أجل تحقيق ما يمكن أن يطرح بوصفه حكومة إسلامية أو نظرية ثورة إسلامية. وبناء على هذا فإن الكثير من المحاربين والمجاهدين السابقين إما أنهم عادوا إلى معرفة تقليدية في هذه اللعبة السياسية ، أو أنهم اتجهوا إلى حكومة "أصولية" ونظرة دينية ، والحركة الأولى كانت تشجعها التصرفات السياسية التقليدية الثابتة ، والحركة الثانية إنما هي نتيجة لظهور التيار الوهابي النشط.

ثم يأتي الفصل الثامن ، وفيه يتحدث الكاتب عن الأهمية الاستراتيجية لأفغانستان. ويبدو من موقعها أنها استقرت بحدودها الحالية لتكون دولة توازن بين قوى كبرى تحيط بها وتشكل مانعا طبيعيا أمامها ؛ فروسيا قد صدمت في توسعها جنوبا على حساب الدولتين العثمانية والفارسية على مدى ثلاثة قرون ، ثم بريطانيا والصين في منتصف القرن التاسع عشر. ولتبادل المصالح نجد أن روسيا استقرت

(١) محمود شاكر ، التاريخ المعاصر لإيران وأفغانستان، بيروت ١٩٩٥، ص ٢٩٢، بتصرف .

حدودها عند نهر جيحون مقابل انسحاب بريطانيا من أفغانستان ، وأخذت أفغانستان هضبة بامير وممر واخان الإستراتيجي كمخرج للصراع البريطاني والصيني والروسي.

وقد تسبب وضعها الجغرافي والاستراتيجي في العديد من الإشكاليات والتعقيدات التي حرمتها والمنطقة من الاستقرار، فنجدها ليست في وحدة جغرافية طبيعية أو سكانية ، إذ تضم امتدادات جغرافية وبشرية للدول المجاورة (باكستان، وطاجيكستان، وأوزبكستان، وتركمانستان، وإيران، والصين) فأقاليم هذه الدول تلتصق بالمجال الأرضي الأفغاني التصاقا يؤدي بالضرورة إلى تداخل مصالحها القومية وتشابكها، وهي بالتالي مصالح ترتبط ارتباطا مباشرا بسيادة هذه الدول على مجالها الإقليمي.

من ناحية أخرى فإن الوضع المتميز الذي تحظى به علاقات الجوار إنما ينبع من ارتباطها الوثيق بالأمن الإقليمي أو القومي للدول. وبحكم أن صيانة الأمن الإقليمي لهذه الدول تقتضي مراقبة ومتابعة كل ما يجري على الأرض الأفغانية ، كما تقتضي التدخل في شئونها الداخلية كلما لزم الأمر، فقد ظلت وستظل أفغانستان بؤرة توتر وقلق لكل ما يجري ويدور في آسيا الوسطى^(١).

وفي الفصلين التاسع والعاشر جاء الحديث مقتضبا عن السياسة الخارجية الأفغانية وعلاقة أفغانستان بدول الجوار ، وهي التي تحيط بها إحاطة السوار بالمعصم، وتتصل أقاليمها اتصالا برياً مباشراً بأفغانستان، فتزداد الأعباء والمسئولية الملقاة على عاتق أفغانستان فيما يتعلق بإدارة علاقاتها مع دول الجوار، التي تتسم عادة بدرجة عالية من الأهمية والحساسية، نظرا لارتباطها الوثيق بحاجة

(١) Oscar Schachter, The united nation and internal conflicts in G.N law and civili-war in the modern world, 1974, p .401.

الدول الماسة إلى المحافظة على وجودها وكيانها الإقليمي. ونظرا لأهمية هذا النوع من العلاقات فإنها كما تتطلب الالتزام بأقصى درجات ضبط النفس للحفاظ على حد أدنى من علاقات حسن الجوار، فإنها تستلزم أيضا الالتزام بأقصى درجات الحرص والحذر، والأخذ بأساليب المراقبة والمتابعة لكل ما يجرى على أرض الدول المجاورة، والتعامل الوقائي مع كل ما من شأنه تهديد الكيان الإقليمي.

إن موقع أفغانستان كان - ولا يزال - أحد المصادر الرئيسية لتأجج هذه الصراعات المحلية وسط مجموعة من الدول تسابقت فيما بينها في تنافس شديد على توفير الدعم المادي والعسكري لطوائف عرقية ومذهبية تعد امتدادا لنظائر لها بكل منها.

وثمة مدخلان أساسيان يمكن من خلالهما دراسة علاقة أفغانستان بدول الجوار الإقليمي الست، وبيان مدى تأثيره على أمنها الإقليمي. أولهما طول الحدود المشتركة، وثانيهما التداخل العرقي على جانبي هذه الحدود. وكلاهما يرتبط بالآخر؛ إذ كلما طالت الحدود زاد التداخل العرقي عبر هذه الحدود المشتركة، وزادت معه المصالح المتشابكة التي تدخل في صميم الأمن القومي أو الإقليمي؛ فالمشكلة البشتونية بين باكستان و أفغانستان إحدى معضلات الأمن القومي الباكستاني، إذ إن هذه المجموعة العرقية التي تمثل (٤٤ ٪) من مجموع سكان أفغانستان تمتد كتلتها عبر خط الحدود المعروف بخط دوران لتتركز على الجانب الباكستاني بما يعادل (١٣,٥ ٪) من إجمالي عدد سكان باكستان. ونتيجة للحروب والمجاعات التي شهدتها أفغانستان على مدى العقدين الأخيرين كانت هذه المنطقة وغيرها من المناطق الغربية الباكستانية مصبا لروافد اللاجئين الأفغان الذين قدر عددهم بأكثر من ثلاثة ملايين لاجئ في عام ١٩٩٠م، معظمهم من البشتون.

ووفقا لهذا الطرح فإن أمن باكستان واستقرارها يوجب اهتماما بالتفاعلات الداخلية في أفغانستان، وهذا ما يفسر دعم باكستان ومساندتها لحكومة طالبان البشتونية واعترافها بها، وبعد سقوطها لم تتخل عن التزامها بحماية حق البشتون

التاريخى فى السلطة، مستغلة فى ذلك تأثيرها الجيوبولتيكى تجاه أفغانستان، وترمى من وراء ذلك إلى أمرين: الأمر الأول ضمان عدم سيطرة الأعراق المناوئة لها كالتاجيك والأوزبك - على مقاليد السلطة فتأتى معها رياح المطالبة بضم إقليم "بشتونستان". أما الأمر الثانى فإن سيطرة البشتون على السلطة يضمن لباكستان استخدام الأراضى الأفغانية فى مساندة الانفصاليين الكشميريين ، كما يتيح لها استخدام الأراضى الأفغانية أيضا معبراً للتجارة بينها وبين جمهوريات آسيا الوسطى التى ينتظرها مستقبل اقتصادى مشرق بفضل بترول وغاز بحر قزوين^(١).

ثم تأتى إيران وتلعب هى الأخرى الدور نفسه مع المجموعات العرقية التى تنتمى إلى أصول لغوية ومذهبية كالهزارة والتاجيك والقزلباش والإيماق، وذلك لتأمين عمقها الاستراتيجى فى الأراضى الأفغانية التى تشترك معها فى حدود طويلة نسبيا. ولهذا وقفت إيران وبقوة إلى جانب التحالف الشمالى المعارض بقيادة "ريانى و"نوستم" الذى يضم التاجيك والأوزبك والهزارة فى صراعه مع حركة طالبان المناوئة للفكر الشيعى، ثم قدمت تسهيلات سخية لأمريكا لتغيير هذا النظام للفرض نفسه أيضا، كما سعت فى أن يكون لهذه الفصائل تمثيل مؤثر فى حكومة "حامد قرضاي" بما يضمن لها المحافظة على مصالحها الاستراتيجية خاصة فيما يتعلق بحقوقها فى مياه "نهر هيرمند" الذى منعتة حكومة طالبان عن إيران بسبب دعمها لقوات التحالف ووقوفها منها موقف المعارض.

ويأتى الدور التاجيكى مشابها للدور الإيرانى ، إذ لعبت السياسة التاجيكية دورا أساسيا فى توطيد نفوذها وتأمين عمقها الإقليمى فى أفغانستان ؛ وذلك بدعم الجماعات التاجيكية ورعاية شئونها، خاصة وأن هذه الفصائل تمثل ٢٥٪ من مجموع السكان ويعيشون فى المناطق الشمالية والشرقية المتاخمة لحدودها الطويلة نسبيا مع

(١) محمود توفيق ، محددات أداء النظام السياسى فى أفغانستان، ط الكويت، رسائل جغرافية، نوفمبر ٢٠٠٢، ص ٢٧ .

أفغانستان، ويسيطرون على بعض الأودية المهمة كوادى "بانشير"، وهو الممر الاستراتيجى المؤدى إلى نفق ممر "سالانج" الذى يصل كابل وجنوب أفغانستان بشمالها فى شهور الشتاء. ولهذا ساندت طاجيكستان وبقوة التحالف الشمالى ضد طالبان وتنظيم القاعدة، وقدمت تسهيلات عسكرية للولايات المتحدة الأمريكية بغرض القضاء على نظام طالبان والقاعدة خشية على نفسها من المد الأصولى الإسلامى.

ثم تأتى "تركمانستان" وقد ساندت هى الأخرى التحالف الشمالى وقدمت تسهيلات عسكرية للولايات المتحدة فى إطار حملتها العسكرية على طالبان والقاعدة، وذلك بغرض الحصول على المساعدات الاقتصادية كهدف مباشر من أمريكا، وتمكين العناصر التركمانية والأوزبكية من المشاركة المؤثرة فى حكومة موالية لها فى "كابول" سعياً وراء تنفيذ مشروعها الخاص بمد أنبوب الغاز إلى باكستان عبر الأراضى الأفغانية^(١).

ولعبت أوزبكستان هى الأخرى الدور نفسه بغرض الحفاظ على كيائها الإقليمى ودعم أمنها القومى، لتدعيم صلاتها بالجماعات الأوزبكية الأفغانية وتفعيل مشاركتها فى السلطة، وسارعت بتقديم تسهيلات عسكرية للولايات المتحدة بهدف القضاء على نظام طالبان الذى يشكل تهديدا لمصالحها فى أفغانستان ولنظامها السياسى الذى يعارض النموذج الإسلامى الأصولى فى الحكم.

وأخيرا الصين، وحيث إنها تمس الأراضى الأفغانية مساهمات خفيفة عبر ممر جبلى وعمر يسمى "واخان" يبعد مسافة ٢٢٠ كم عن الكتلة السكانية الأفغانية، وتسكنه قبائل "القرقيز"، فإن فرصة التداخل بين البلدين تعتبر معدومة، خاصة فى ظل السياسة الصينية القائمة على "انتظر وراقب"؛ حيث إن اهتمامها بأفغانستان من قبيل لعبة توازن القوى، إذ يتيح الوجود العسكرى الأمريكى فى أفغانستان السيطرة

(١) المصدر السابق، ص ٢١.

على ست دول فى وقت واحد ، ويجعلها على مقربة من كل من القوى النووية الأربع فى آسيا(الصين وروسيا وباكستان والهند) والثروة النفطية فى بحر قزوين ؛ الأمر الذى يشكل تهديدا وإخلالا مؤثرا فى توازن القوى.

وبناء على هذا فإن موقع أفغانستان المحاصر والمكشوف أمام دول الجوار يضعها فى حذر بالغ ويفرض عليها حنكة شديدة فى علاقاتها مع دول الجوار، ويكون لزاما على حكومة "حامد قرضاي" أو غيرها أن تتمتع بقدر من المصداقية ومساحة اتفاق فى علاقاتها مع دول الجوار ، وإلا تواجه انقلابات وثورات بفعل تداعيات العرقيات والبيئة الجغرافية التى تمثل هى الأخرى مصدر تهديد دائم لاستقرار بقاء النظام، بجانب البيئة العامة للنظام السياسى ، وهى المسئولة عن الأحداث القومية والعرقية التى بدأت منذ قرن وسوف تستمر لأجل غير مسمى .

وفى النهاية فإنه على الرغم من أن نظام الحكم فى أفغانستان حاليا (حكومة قرضاي) قد غير خطة عمله (غالباً إلى سياسة تقليدية أكثر منها قائمة على الأيديولوجية) ، فإن الفرق الدينية السياسية لا تزال باقية بصفتها عاملاً أساسياً لتكامل الأوضاع فى أفغانستان ، والخطر الوحيد الذى يهددها هو أن الدول الأجنبية تستغلها كقطع الشطرنج فى المنافسات الجغرافية السياسية الإقليمية.

أحمد محمد نادى

الفصل الأول

الجغرافيا الطبيعية لأفغانستان

أفغانستان أرض جبلية حبيسة الجفاف والتصحر، تقع هذه الأرض في منتصف الكرة الشمالي و نصف الكرة الشرقي، داخل نطاق حدود منطقة آسيا الوسطى، تبلغ مساحتها ٦٤٩,٠٠٠ كيلو متر مربع، وقد ذكر في مصادر أخرى أنها تتراوح ما بين ٦٢٠,٠٠٠ و ٧٠٠,٠٠٠ كيلو متر مربع.

ويبلغ طول الحدود الأفغانية مسافة ٥٨٠٠ كيلو متر، يحدها من الشمال طاجيكستان، وأزبكستان، وتركمانستان أيضا، ويبلغ طول هذا الحد ٢٢٨٤ كيلو متراً، ويحدها من الشرق والجنوب باكستان، ويبلغ طول هذا الحد ٢٢٤٠ كيلو متراً تقريباً، ويحدها من الشمال الشرقي عن طريق مضيق واخان(*) ولاية "السين جيانج" الصينية(**)، وذكرت مسافة هذا الحد في المصادر بشكل متفاوت، وأن مسافته تتراوح ما بين ٧٣ و ٩٢ ك.م، وتشترك من ناحية الغرب مع الجمهورية الإسلامية الإيرانية، وهذا الحد يصل إلى ٩٠٠ ك.م تقريباً (ما بين ٨٥٥ و ٩٣٠ ك.م) كما يبدأ هذا الحد من جبل "ملك سياه" في نقطة الحدود المشتركة بين إيران وأفغانستان وباكستان، ويمتد حتى قم "نو الفقار" وهي نقطة الحدود المشتركة بين إيران وتركمانستان وأفغانستان، وتشترك أفغانستان وإيران عند إقليم خراسان في حد تصل مسافته إلى ٦١٩ ك.م.

(*) يبلغ طول مضيق واخان ٢٢٠ ك.م، ويبلغ عرضه في أضيق النقاط ١٦ ك.م، ويعد المنفذ الوحيد لاتصال أفغانستان بالصين الشعبية. انظر: مجموعة مقالات دومين سمبنار أفغانستان، چاپ أول، ١٣٧٠ هـ ش، ص ٩٨. (المترجم)

(**) أعطى لها موقعها أهمية خاصة : نظرا لمجاورتها لروسيا في الشمال، والصين في الشرق، وباكستان في الجنوب الشرقي، وإيران في الغرب. انظر. المصدر السابق ص ٩٩. (المترجم)

وتبلغ أكثر المسافات بعدا بين شرق أفغانستان وغربها حوالى ١٢٤٠ ك.م، ومن الشمال حتى الجنوب ٨٨٥ ك.م.

وتبعد أفغانستان جدا عن المياه الدولية، وأقرب نقاطها إليها عند حدودها الجنوبية عن طريق باكستان، والتي تبعد حوالى خمسمائة ك.م.

والخلاف الحدودى الأفغانى الباكستانى خلاف رئيسى، تأتى على رأسه مشكلة منطقة "البشتون" و"البلوش"، وهناك خلاف مستمر مع إيران بسبب تقسيم مياه نهر "هيرمند"، كما أن مشكلة بلوشستان من الموضوعات الخلافية المنتهية مع إيران أيضا.

وتغطى الجبال قسماً كبيراً من أرض أفغانستان، وذلك فى شمال البلاد وشرقها، وتمتد جبال "الهندكوش" بطول ستمائة ك.م، وعرض ١٠٠ ك.م، وتمر من وسط أفغانستان من ناحية الشمال الشرقى صوب الغرب والجنوب الغربى للبلاد، هذه الجبال تحتوى على أكثر من نصف أرض أفغانستان، وتجعل لمدن "كابل" و"قندهار" و"هراة" أهمية استراتيجية كبيرة، ويبلغ ارتفاع هذه الجبال من ٦ إلى ٧ آلاف متر، وتقع فى الأقسام الشرقية الأفغانية، ويقل ارتفاعها تدريجياً كلما اتجهنا ناحية الغرب، كما يقل ارتفاع الجبال والتباب عند الاقتراب من الحدود الإيرانية.

ويغطى الثلج ارتفاعات "الهندكوش" دائماً، حتى فى أثناء فصل الصيف فإن الثلج يغطى قممها أيضاً، ويوجد فى وسط ارتفاعات "الهندكوش" أودية عميقة، ذات مناخ طيب، وتربة خصبة تساعد على تربية الماشية وإنتاج الفاكهة.

وأفغانستان أرض المتناقضات، جبالها شاهقة، وأوديتها عميقة، وأمطارها ربيعية وصيفها جاف وحار، وشتاؤها بارد جداً، وتغطى المرتفعات بالثلج طوال العام، وأراضيها منخفضة وجافة ومحرقة، وتشمل هذه المتناقضات الحياة الاجتماعية أيضاً.

وأرض أفغانستان كانت على امتداد التاريخ معبراً للهجوم على الهند، وقد سلك دروب هذه الأراضي وصولاً إلى الهند محاربون كثيرون أمثال الإسكندر

المقدوني^(*) ومحمود الغزنوي^(**)، وتيمور^(***) وخلفاؤه، وتادر شاه^(***)، إضافة إلى هذا فقد كان يمر من أفغانستان (من الصحراء الشمالية) خط سير القوافل التجارية شرقا وغربا قبل كشف الطرق البحرية في الأزمنة الحديثة، وزيادة الخطوط الجوية، كما كانت هذه الأرض موضعاً لعبور قوافل الحرير، والتي كانت تذهب عادة من طريق "قندهار" إلى "الهند" ومن طريق "بلخ" إلى "الصين". وبعد اكتشاف طرق الملاحة البحرية وزيادة الخطوط الجوية باتت أفغانستان مثل سائر بلاد آسيا الوسطى والغربية منطقة منغلقة لا يدخلها أجنبي أبداً، وتعد المرتفعات الأفغانية درعا استراتيجياً منيعاً بين آسيا الشمالية وآسيا الجنوبية.

أعلى نقطة في أفغانستان في جبل "بابا"، ويصل ارتفاعها إلى خمسة آلاف ومائة وثلاثة وأربعين متراً، وسائر الجبال المهمة هي: هندكوش وسليمان وسياهكوه، (أى: الجبل الأسود)، وسفيدكوه؛ (أى: الجبل الأبيض).

(*) دخل فارس عام ٢٢٠ ق.م في عهد داريوش الثالث، وحل نظام ملكها بعد سيطرته على إيران. ثم يعم وجهه شطر "كابل" عن طريق "قندهار" وغزنة فمضى بهزيمة ساحقة، ومقاومة ضارية من الشعب الأفغاني الذي أمطره بوابل من الثورات العنيفة والكفاح المرير، توفي في ريعان شبابه عام ٣٢٢ ق.م بعد عودته إلى كابل. أحمد على كهزاد، تاريخ أفغانستان، جلد دوم ص ١٤٥. وانظر: ابن إسفنديار، تاريخ طبرستان، ترجمة د. أحمد نادى، القاهرة ٢٠٠٢، ص ٢٠. (المترجم)

(**) كان زعيماً بارزاً من خيرة القادة والزعماء، وكان حاكماً حازماً، وجنيداً عبقرياً من الطراز الأول، انتصف بالعدالة، ورعاية الفنون والطوم، لذلك عدّه المؤرخون من عظماء الملوك. نشر الإسلام في بلاد الأفغان كلها، وفي بلاد الهند التي خرج إليها غازياً مجاهداً سبع عشرة مرة. أحمد محمود الساداتى: تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية ص ٩٨، وانظر: المسلمون في أفغانستان ص ٤٩. (المترجم)

(***) جاء في الكتاب الذى دون مآثره أنه ولد في سنة ١١٠٠ هـ / ١٦٨٨ م لأسرة متواضعة تتبع فصائل الأفشارية التي كانت تركستان موطنهم عندما استولى عليها المغول، فرحلوا عنها واختاروا الإقامة في أنريجان. ميرزا مهديخان، جهانگشاي نادى، تحقيق: سيد عبد الله أنور، طهران ١٣٤١ هـ. ش، ص ٢٦، ٢٧. (المترجم)

المناخ

أفغانستان لا تطل على البحار المفتوحة حتى تستفيد من موانئها في زيادة اقتصادها وتنميتها، أو تنعكس على مناخها فيصبح رطباً، وليس بها بحيرات كبيرة كي تستفيد منها في النمو والتوسعة.

والجميل في الطبيعة الأفغانية أن مرتفعاتها شاهقة، وأنهارها تتبع من عيون فيها، وتتوزع المناخ مشهور فيها أيضاً، ويشبه إلى حد ما مناخ "إيران"، ففصول الشتاء فيها باردة جداً (تصل إلى عشرين درجة تحت الصفر)، وفصول الصيف فيها حارة جداً (تصل إلى ٤٠ درجة فوق الصفر)، والمناخ متفاوت من إقليم لآخر، ومن مدينة إلى مدينة أخرى، والأمطار متفاوتة أيضاً من مكان لآخر، ويتراوح معدل سقوطها ما بين ١٠٠ و ٤٠٠ م، ويتراوح متوسط الأمطار في المناطق الشرقية ما بين ٢٥٠ و ٤٠٠ م، وفي المناطق الغربية والجنوبية الغربية ما بين ١٠٠ و ١٥٠ م، وفي المناطق الوسطى بسبب وجود المرتفعات فإن الأمطار أغزر والهواء أكثر برودة من كل النواحي، ولكن في المناطق الجنوبية والغربية بسبب قلة الأمطار فإن الهواء أكثر حرارة، والصيف أكثر حرارة وجفافاً، والشتاء أكثر اعتدالاً، ويحول الثلج وشدة البرد في المناطق الجبلية دون اتصال القرويين والقبائل على مدى العام بأكمله، ولا يكون مقصوراً على نصف العام فقط؛ ولهذا فإن الثلج وشدة البرودة تسبب التشتت وانفصال السكان والقبائل عن بعضهم البعض، إلى جانب القحط والعادات القبلية والشعبية.

وقد كان "ظهير الدين محمد بابر" (*) حاكماً على أجزاء من أفغانستان حتى عام ٩٣١ هـ، وتحرك من هناك قاصداً احتلال الهند، جاء في مذكراته المعروفة بـ "مذكرات بابر"

(*) بابر أبو بزر، هو الاسم الذي اشتهر به، وهو يعني النمر. واسمه الحقيقي "ظهير الدين محمد بن عمر شيخ ميرزا" ولد في ٨٨٨ هـ / ١٤٨٣ م، توفي عنه أبوه صغيراً ليصبح على عرش فرغانة، يعد من عظماء التاريخ الإسلامي بصفة عامة، تاريخ الهند بصفة خاصة. انظر: الشعوب الإسلامية، ص ٥٠٩، ص ٥١٠. (المترجم)

(رسالة بابر) التي كتبت باللغة التركية الجغتائية: "يمكنكم أن تذهبوا من كابل مسيرة يوم حتى تذهبوا إلى المنطقة التي لا يسقط فيها الثلج مطلقا، لكنكم تستطيعون في خلال ساعتين أن تذهبوا إلى المنطقة التي لا تنوب ثلوجها مطلقا، حتى في بعض فصول الصيف المحرقة".

الأنهار والمياه (*)

الأنهار الأفغانية تتبع من الجبال الوسطى والمناطق الشرقية للبلاد، وتجرى تجاه الغرب والجنوب، وبسبب الارتفاع الكبير للجبال والمنحدر نسيبا، ثم الارتفاع السريع مرة أخرى فإن سرعة مياه الأنهار كبيرة جدا ؛ ولهذا السبب فهي مناسبة جدا لتوليد طاقة كهربائية، وأهم الأنهار الأفغانية هي على النحو التالي:

- نهر "أمو" أو "جيحون" (**)، وهذا النهر ينبع من جبال "بامير" بطول ٢٥٠٠ كم ويصب في بحيرة "أرال" حيث يجري بطول ١١٢٦ كم في الأجزاء الشمالية الأفغانية مع حدود جمهوريات الطاجيك، والأزبك وجزء من تركمانستان، وأجزاء من هذا النهر صالحة لمرور السفن. ويتسع عرضه في بعض المناطق (حتى حدود ٥ كم) مما يصعب حركة السفن فيه. ويقع على سواحل هذا النهر ميناء "شيرخان" وميناء "حيرتان"، وكان يتم عبر هذا الطريق تصدير أو توريد السلع الأفغانية إلى الاتحاد السوفيتي السابق ودول آسيا، ونهر جيحون به مساقط مياه متعددة يمكن الاستفادة منها في توليد الطاقة الهيدروإليكية.

(*) قسم الجغرافيون أنهار أفغانستان إلى ثلاث مجموعات هي : مجموعة نهر السند وأهمها نهر كابل وروافده، ومجموعة نهر هلمند وأهمها نهر هلمند وروافده ، ومجموعة نهر جيحون "أمودريا" .انظر: العلاقات الأفغانية الروسية، ترجمة: د. عفاف زيدان، طبع الزهراء للإعلام العربي، القاهرة ١٩٩٢، ص ٢٠ . (المترجم)

(**) أمو : نهر عرفه اليونان باسم "أكسوس" وعرفه العرب باسم "جيحون" وهو أهم الأنهار في آسيا الوسطى، وينبع من تلال بامير، ويصب في بحيرة أورال ، ولقد أطلق العرب اسم بلاد "ماوراء النهر" على البلاد التي تقع خلف هذا النهر، وهي البلاد الإسلامية التركستان، إحدى دول الكومنولث. (المترجم)

- نهر "هيرمند" (*) (هلمند)، وينبع من جبال "بغمان" في غرب كابل، ويشكل جزءاً صغيراً من الحدود الإيرانية الأفغانية المشتركة في الجنوب الغربي لأفغانستان، ويبلغ طول هذا النهر ١٤٠٠ كم.

- نهر "هريرود"، وينبع من جبل "بابا" في وسط أفغانستان، ويمر من هراة، ويشكل جزءاً صغيراً من الحدود الإيرانية الأفغانية في شمال غرب أفغانستان. هذا النهر يمر من أراضي تركمانستان، ويجري في صحراء تركستان، ويبلغ طول نهر "هريرود" ١٢٢٠ كم. وهو مثل "أموريا" به مساقط مياه متعددة يمكن الاستفادة منها في توليد طاقة كهربائية مناسبة.

- "كابل رود" (نهر كابل)، وينبع نهر كابل أيضاً من الجبال الشرقية لأفغانستان، ثم يمر من وسط مدينة "كابل" ومدينة "جلال آباد" مروراً بالأرض الباكستانية، ويصب في نهر السند.

وباقى الأنهار الأفغانية هي مرغاب (**)، وكندوز، وأرغنداب، وكوشك، وفراه، وبل خمرى، وينجشير ... إلخ.

ومنابع المياه الأرضية الأفغانية غنية إلى حد ما؛ ففي مدينة "كابل" الماء موجود على عمق يتراوح ما بين ثلاثة وأربعة أمتار، والاستفادة من مصادر المياه الأرضية

(*) تمثل مياه هذا النهر نقطة خلاف كبيرة بين أفغانستان وإيران، فمن المعروف أن هناك اتفاقية قد تم توقيعها بين الدولتين بخصوص وضع مياه هذا النهر سنة ١٩٥١م، وتنص على أن لإيران حقاً قانونياً في مياه هذا النهر، إلا أن الحكومة الأفغانية تريد أن تتجاهلها وتلغيها، وقامت حكومة طالبان بمنع إيران من الحصول على حصتها من مياه هذا النهر. وبعد انهيار حركة طالبان أعيد فتحه مرة أخرى أمام إيران. إلا أن هذا الوضع لم يستمر طويلاً، وأعيد إغلاقه مرة أخرى. روزنامه همبستكي ٢٠٠٢/١١/٩. (المترجم)

(**) نهر مرغاب، ينبع من جبال فيروز كوه، ويبلغ طوله ستمائة كم. انظر: مجموعة مقالات دومين سمينار أفغانستان، ص ٩٥ جاب أول ١٣٧٠ هـ. ش، نفتر مطالبات سياسى وبين الملى، وابسته به وزارت امور خارجه جمهورى اسلامى ايران. (المترجم)

قليلة بسبب القدرات الفنية المتواضعة، والناس في أكثر الأماكن الأفغانية يواجهون مشكلة صعوبة توفير المياه سواء للشرب أو للزراعة، حتى في مدينة "كابل" يواجه كثير من سكان المدينة صعوبة في توفير المياه، فمعدل الحصول على مياه الشرب النقية يمثل ٣٦٪ لسكان المدن، و١٨٪ للسكان الريفيين، وهذا المعدل يمثل ٢٢٪ من المجموع العام للسكان(*) .

(*) ورغم أن أفغانستان منطقة جبلية فإن بها سهولاً وودياناً من أخصب المناطق الزراعية، بسبب كثرة الأنهار، وتتوافر فيها المنتجات الزراعية والمعدنية والغابات والحدائق الوفيرة، وبالأخص حدائق العنب، والمياه العذبة والجداول والشلالات الهادرة كشلالات يغمان، بالإضافة إلى الأشجار ذات الظلال الوارفة، والسهول الفسيحة، والفواكه الكثيرة، لا مقطوعة ولا معنوعة، والجو الجميل، والجبال المكسوة بالجليد .
(المترجم)

الفصل الثاني

الجغرافيا البشرية والاجتماعية لأفغانستان

يتجاوز تعداد السكان في أفغانستان وفقاً لإحصائية ١٩٩٢م خمسة عشر مليوناً، ويضاف إلى هذا الرقم أكثر من خمسة ملايين مهاجر أفغانى يعيشون فى كل من إيران وباكستان، أى أن إجمالى العدد يبلغ عشرين مليون نسمة، ويصل معدل النمو السكانى من ٢٪ إلى ٣٪، ويمكن القول بأن الانفجار السكانى قريب الحدوث. والكثافة من ٩ أفراد إلى ٣١ فرداً فى كل كيلومتر مربع، وأكثر المدن الأفغانية ازدهاماً وفقاً لإحصاء ١٩٩٢ على النحو التالى:

كابل	١٠.٣٦٤.٠٧	أفراد
قندهار	١٩١٣٤٥	فرداً
هراة	١٥٠.٤٩٧	فرداً
مزار شريف	١١٠.٣٦٧	فرداً
جلال آباد	٥٧٨٢٤	فرداً
كندوز	٥٧١١٢	فرداً
بغلان	٤١٢٤٠	فرداً

والمدينة السالفة هى أكثر المدن السكانية ازدهاماً، وفيما عدا "كابل" التى تشير الدلائل الأمنية إلى تزايد عدد سكانها إلى قرابة ٢ مليون فرد فى السنوات الأخيرة (قبل تشكيل حكومة المجاهدين الإسلامية)، فإن بقية المدن لا يوجد فيها تغيير محسوس يذكر، وبخلاف المدن سالفة الذكر فإن سائر المدن الأخرى بها عدد محدود من السكان.

توزيع السكان

١٦ ٪	سكان مدن
٧٣ ٪	سكان قرى
٨ ٪	سكان مخيمات

ويوجد في أفغانستان ٢٠٠٠٠ قرية، ويتراوح عدد القبائل ما بين عشر قبائل وخمس عشرة قبيلة، وتشغل الأغلبية بالزراعة والصيد ، ولهذا فإن المجتمع الأفغانى مجتمع قروى. ويبلغ متوسط عمر الإنسان من ٥ إلى ٤١ عاماً، كما تصل الوفيات بين الأطفال من ١٨٢ إلى ٢٠٠ طفل فى كل ألف . وفى عام ١٩٦٠ بلغ متوسط عمر الإنسان ٣٤ عاماً ليصل عام ١٩٧٩ إلى ٤١ عاماً وانخفضت فى السنوات التالية للفترة السابقة، ولكن الإحصائية لم تذكر العدد. وبسبب النظام القبلى القوى والعادات الاجتماعية والاقتصادية الخاصة فإن حركة المهاجرين من الدولة وإليها محدودة، وأكثر من أربعة أخماس السكان يعيشون فى المكان نفسه الذى يولدون فيه، أو داخل الحدود الجغرافية للقبيلة على أكثر تقدير ؛ فينتقلون بضعة كيلو مترات ما بين هذا الجانب والجانب الآخر، فى إطار محيط ضيق للقبيلة . وهذا يرجع للأسباب التالية:

- ١- أن الطرق المناسبة لحركة سير السيارات غير موجودة ؛ فأكثر الطرق بدائية وأغلبها محلية ، وتغلق فى فصل الشتاء.
- ٢- أنه بسبب افتقاد السيارة والدخل المحدود فإن الحياة فى المدن صعبة.
- ٣- أن وسائل المواصلات غير مناسبة وغير كافية.
- ٤- أن كل قبيلة لا تقبل أفراد القبائل الأخرى ؛ ولهذا فإن الزواج يدور فى فلك كل قبيلة دون غيرها.

الطوائف والقبائل

يرى مجموعة من المحققين أن أفغانستان عبارة عن متحف من الطوائف والملل المتنوعة، يعيش في هذا المتحف الكبير السكان القدماء مع العرب القادمين. وينقسم السكان الحاليون إلى فرعين رئيسيين:-

(١) العنصر الأبيض ويشمل :

البشتون، والتاجيك، والهزاره، والنورستان .

(٢) العنصر الأصفر ويشمل :

الأوزبك، والتركمان، والقرقيز، والمغول .

وأهم الطوائف العرقية الموجودة في أفغانستان هي :

البشتون، والهزاره، والأوزبك، والتركمان، والبلوش، والقرقيز، ثم القزلباش، والهنود والسيخ، والكشميريون، والإيماق، والفرس، والصهرانيون، والهرارة، والبراهيون، والبراهيون، والنورستانيون، والقزاق .

وأكثر الفصائل من حيث عدد السكان هي :

(١) البشتون ٥ : ٦ مليون فرد .

(٢) التاجيك ٣ : ٤ مليون فرد .

(٣) الهزاره ٢ : ٤ مليون فرد .

(٤) الأوزبك ١ : ٢ مليون فرد .

(٥) الفرس ٦٠٠٠٠٠ فرد .

(٦) الإيماق ٨٠٠٠٠٠ فرد .

(٧) القزلباش ١٢٥٠٠٠ : ٦٠٠٠٠٠ فرد .

(٨) التركمان ٢٠٠٠٠ : ٤٠٠٠٠ فرد .

(٩) البراهيون ٢٠٠٠٠ فرد .

(١٠) النوريستان ١٠٠٠٠ فرد .

(١١) البلوش ٧٠٠٠٠ : ١٠٠٠٠٠ فرد .

البشتون EL Bashton

البشتون أولى الفصائل العرقية الأفغانية، وتنحدر من الفروع العرقية الآرية، ويعيشون في الأجزاء الجنوبية لمحيط الهندكوش، وفي المناطق الوسطى الشرقية والجنوب الشرقي، خاصة في محور "كابل - قندهار"، كما كانت تعيش أعداد منهم في أماكن متفرقة من البلاد في عهد "عبد الرحمن خان".

لغة البشتون أيضا من الأصول الآرية، ويرى أحد رجال البشتون الذي ألف قصة مزورة في أثناء حكومة المغول في الهند أن أصل نشأتهم بنو إسرائيل(*).

وينقسم البشتون إلى قسمين رئيسيين:

(١) غلج زاي أو غيلزاي

(٢) دراني، وقد كان اسمهم في البداية الإبداليين

(*) وقد فند جمال الدين الأفغاني في كتابه تنمة البيان هذا الرأي بقوله "والحق أن هذه الأمة من أصل إيراني وأن لسانها مأخوذ عن لسان زرتو استا، وهو اللسان الفارسي القديم، وله مشابهة تامة بالفارسية المستعملة الآن، وأن متأخري المؤرخين كفرنسيس لفورمان وغيره يؤيدون هذا الرأي" ثم يضيف قائلا: "لا يعنى وجود موطن باسم خيبر وجوب الظن بصحة هذه الرواية". انظر: تنمة البيان في تاريخ الأفغان، ص ١٤٠، ١٤١. (المترجم)

١) طائفة الغلجه يعيشون فى الشمال الشرقى لمنطقة البشتون (الشرق والشمال الشرقى لقندهار بالقرب من الحدود الباكستانية).

٢) الدراينيون: يعيشون فى غرب منطقة البشتون (غرب قندهار وبالقرب من الحدود الإيرانية، وفى القرن الحادى عشر الهجرى تخلت الحكومة الصفوية عن حكم هراة وكان هذا سبباً فى تقوية الفصيلة الأخرى (الغيلزاي) فى قندهار. بعد ضعف الحكومة الصفوية ثار الفيلزائيون بزعامة "محمود أفغان" ضد حكومة السلطان حسين (آخر سلاطين الدولة الصفوية)، واستولوا على العاصمة الصفوية لفترة وجيزة، ولكنهم أطيحوا بسرعة من قبل "نادر شاه" (مؤسس الدولة الأفشارية). وفى عام ١٧٤٧ م/ ١١٦٠ هـ، وبعد مقتل "نادر شاه" ذهب "أحمد خان" الذى كان من قادته إلى "قندهار" وبرزقته أربعة آلاف من قواته الخاصة، وبعد أن استولى على تلك المدينة (قندهار) أقام أول حكومة لأفغانستان فيها، واضطر الفيلزائيون والإبداليون إلى الخضوع له.

وقد كان أحمد خان الإبدالى (الدراينى) من قبيلة "سدوزاينى" إحدى قبائل الدراينيين، وكانت حكومة أفغانستان منذ عام ١٧٤٧م حتى ١٨١٨م تحت سيطرة هذه القبيلة، ومن عام ١٨١٨م كانت الحكومة فى يد قبيلة "باركزاينى" الفرع الآخر لقبائل الدراينيين، ومنذ انقلاب ١٩٧٨م على يد "نور محمد تره كى" الذى خرج على حكومة الدراينيين، وانضم إلى الطائفة الأخرى طائفة البشتون، يعنى أبناء الغلجه. ويتنسب "تره كى" إلى هذه الطائفة، وبسبب اقتصار الحكومة عليهم كانت دائماً تحدث بعض الصراعات القوية، وفى بعض الأحيان كانت تمتد إلى صراعات ضروس، وعلاوة على هذا فإن تاريخ البشتون ملئ بالصراعات والحروب والعداوات فيما بينهم بسبب المراتع وكسب النفوذ؛ فقبائل مثل الدراينيين وأبناء يوسف كانت الصراعات فيما بينهم تدوم قروناً، فقد كانت بينهم صراعات جذرية، وحتى الأسر البشتونية المختلفة كانت بينها الحروب والصراعات القبلية غير محدودة وغير مرتبطة بفترة زمنية معينة.

كتب الجنرال "آلفين ستون" في كتابه عن البشتون، فوصفهم بالعبارات التالية(*):

"من عيوب البشتون الحقد والانتقام والحسد والطمع والحرص والنهم والعناد والاعتداد بالرأى، ومن جانب آخر فهم مولعون بالحرية، أوفياء للأصدقاء، محبون للاستقلال، كرماء، شجعان، متقشفون، مجتهدون، لديهم قدرة على التحمل، شديرو الحذر".

والبشتون لديهم غرور إلى حد ما بالنسبة لأصلهم ؛ ولهذا فإن البشتون معتدون بأنفسهم ، ولكن في القرون السالفة خاصة في أوائل القرن التاسع عشر وحتى اليوم حدثت تغيرات دقيقة.

والبشتون من أهل السنة ويتبعون المذهب الحنفى، ويوجد من بين طائفة البشتون شيعة أيضا يعيشون في نواحي "بارا جنار"، "قيرا"، "سبه"، "كوهات".

المشكلات السياسية والاجتماعية لسيادة البشتون

منذ عام ١٧٤٧م حتى انفصال أفغانستان عن إيران عام ١٨٥٧م لم يكن لمختلف القبائل والأقوام والفصائل الأفغانية دور مهم قط في الحكومة المركزية التي تتشكل من الحكومة المحلية في أفغانستان، فكانت إدارة الأمور مقصورة على البشتون، وهذا الأمر كان واحداً من جنور منازعات وصراعات الدرانين في أفغانستان، كما كان أيضاً واحداً من أسباب عدم نمو الرشد بالسياسة الاقتصادية والاجتماعية للمجتمع الأفغانى.

وقد كان أعضاء الحكومة، وحكام جميع الولايات، وسائر الأماكن البارزة تحت سيطرة البشتون، ولهذا السبب فإن سائر القوميات والقبائل التي ترى نفسها

(*) جاءت هذه العبارات متواكبة مع ما ذكره جمال الدين الأفغانى، حيث ذكر أن الخلق الغالب في هذا الجنس هو الحقد والصفينة والتشوق للانتقام واقتحام المحاريات والتهور في المخاصمات والمنازعات لأننى الأسباب، وأن صورهم الظاهرة تحكى خليقتهم هذه وتتبنى عنها . انظر: نعمة البيان في تاريخ الأفغان ، ص ١٩٤ . (المترجم)

مضطهدة تحت سيطرتهم كانت تخلق مختلف الصراعات، ومن بينها الصراعات السرية والخطيرة، وأوجدت مشكلات عديدة.

وكان الحرس وأعضاء الجيش يُختارون من بين الأسر البشتونية الفقيرة ؛ وذلك لأن الركائز الأساسية للحكومة مقصورة على القبائل البشتونية، كما أن الطبقات الفقيرة تعد عوامل مناسبة للأهداف العسكرية والبوليسية، هذه الطبقات رغم فقرها وإمكاناتها المالية المتواضعة كانت تتحكم جيداً في أفغانستان.

إن إدارة الدولة من قبل البشتون كانت تعنى لسائر القبائل إحساساً أن أفغانستان دولة تدار عن طريق البشتون ولأجلهم، وبالنسبة لغير البشتون فقد كانوا يرون أنهم قربان للاستعمار الداخلي. ولهذا فإن إمكانية وجود أسباب التعاون مع الحكومة كانت ضعيفة، ولهذا السبب كانوا يناجزونهم الصراعات الخفية، وحتى القتال وجها لوجه بسبب وبغير سبب، لأنها حكومة عنصرية، تدور في كثير من أمورها في فلك العنصرية والميل إلى الطرف الخارجي، واستمرت هذه المنازعات على الرغم من تشكيل الحكومة الإسلامية في أفغانستان عام ١٢٧١ هـ.ش، والقوات التي كانت تقاتل بالأسلحة ضد الحكومة الماركسية هي التي تحارب اليوم مع حكومة المجاهدين، ولحل هذه المشكلات هناك واحد من أعقل الحلول، وهو أن تخرج الحكومة من حالة العزلة وتبدو في وضع الشمول، ولا يمكن أن يتأتى هذا إلا بتزايد مستوى التعليم والتوسعة النسبية للحياة الاقتصادية والاجتماعية.

البشتو(*) Bashtou هي لغة قبائل البشتون، ومنذ عام ١٩٢٦ اتخذت لغة رسمية للدولة ؛ مما أغضب القبائل الأخرى نوات الأكثرية ممن يتحدثون اللغة الفارسية(**).

(*) لغة البشتو : هي اللغة الأفغانية المحلية، وتنتشر في المناطق الشمالية الشرقية لكابل ، والشمالية الغربية للهند ، وتمتد إلى الجنوب حيث يوجد بعض الأفغان بمنطقة توران (بلوخستان) ، ولغة البشتو مزيج من الفارسية والأردية والتركية والإنجليزية، وتكتب بحروف عربية مع التغيير في بنائها الصوتي، إضافة إلى الأصوات الآرية الأصل . انظر: أفغانستان برمسير تاريخ ، ص ١٢ . وانظر: ابن النديم، الفهرست، طبعة لندن ١٨٧١ م ، ص ٣٤٥ . (المترجم)

(**) اللغة الفارسية إحدى اللغات الهندوأوروبية ، وكانت لغة الحديث في كابل وما يحيط بها من مناطق غرب فارس إلى حدود كاشغر والتبت شمالاً والبنجاب والهند شرقاً ، وترجع أهم النصوص التي كتبت باللغة الفارسية إلى عصر الملك دارا الأكبر (٥٢١ - ٤٨٦ ق.م) في منطقة بيستون بالقرب من كرمنشاه . انظر : ابن النديم، الفهرست ، ص ١٩ . وانظر : المقدسي، أحسن التقاسيم ، ص ٢٧٥، طبعة لندن ١٩٠٦ م. (المترجم)

إن جميع أهل أفغانستان يعرفون اللغة الفارسية ويتحدث بها الأغلبية حتى قبل إقرار قانون ١٩٢٦ المبني على أن لغة البشتو هي اللغة الرسمية. والبشتون أيضا كانوا لا يزالون يعرفون اللغة الفارسية، البشتو إحدى لهجات اللغة الفارسية وجنور كلماتها فارسية أيضا ؛ ولهذا السبب فإن اللغة هي الأخرى كانت واحدة من أسباب النزاع والاختلاف في أفغانستان؛ لأن القبائل الأخرى الموجودة لم تقبل لغة البشتو. ويقول مصدر غربي: إن لغة البشتو تمثل ٣٠٪ من سكان أفغانستان.

إن أصول المجتمع والناس لم تحظ بنصيب من التوفيق والتقدم الكبير، مما جعل المسائل الصغيرة والكبيرة تدفع بالمجتمع إلى الهاوية .

الطاجيك (*) El Tagik

الطاجيك ثاني أقوى المجموعات الأفغانية، لغتها هي الفارسية الدرية، والمحققون يعدونهم من نوى الأصول الإيرانية، وهم ينتشرون في القسم الشمالي الشرقي في بدخشان(**)، وكابل، وهراة، وهراة غزنة، وغور، ومناطق أخرى، وأكثر التاجيك من سكان المدن، وهم متحررون من النظام القبلي إلى حد ما، وأسلوب حياتهم متقدم، ويعيشون في تجمعات متفرقة في المدن أو بالقرب من المدن. بعض المحققين الغرب الذين عاشوا فترة في أفغانستان مثل "جوزف" و"كواينز" و"جان ريفيتز" يعتبرون الطاجيك في الوقت الراهن رجالاً محبين للسلام، وشعراء المسلك وأصحاب رؤيا، وعقلاء ومنطقيين هادئين ولديهم حضور ذهن، ومتواضعين مكرمين للضيوف والمسافرين، حياتهم تقوم على الزراعة والصيد.

(*) يتفوق هذا العنصر من دون سائر فصائل الأفغان بلغة الأندى بالحرف والصناعة كالحياكة والنجارة والحدادة والبناء وغيرها، كما يشهد له بصن المظهر وإدارة الأمور المنزلية. انظر : نعمة البيان في تاريخ الأفغان ، ص ٢٠٥ . (المترجم)

(**) بدخشان تعد من أهم مناطق أفغانستان، وتقع في القسم الشمالي الجنوبي، وتفصل هذه المنطقة شمال وجنوب الهندكوش عن باقي الأقسام الأفغانية عن طريق أمودريا. انظر: مجموعه مقالات يومين سمينار أفغانستان، ص ٩٤ . (المترجم)

والطاجيك سعداء بحالهم جدا ، ومعتدون بأنفسهم، وعلى الرغم من هدوء الطاجيك الملموس فإنهم مثل الهزارة والبشتون وسائر الأقوام الأفغانية، في طابعهم روح العداوة والحقد الشديد، ويمكن مشاهدة نماذجهم في منازعات أعوام ١٩٢٩م، وفي حربهم الأخيرة في مواجهة الروس. والطاجيك من وجهة نظر المحليين لديهم قدرة على التحمل ولهم باع في الحقد والإجرام طويل جدا.

وأجدادهم هم الذين قضوا على الحكومة الغزنوية، واستطاع "جنكيز خان" فقط القضاء عليهم في فترة ما، وهم على الرغم من السلوكيات العنصرية البشتونية، كانت لهم يد في بعض الأحيان في الحكومة الأفغانية. فمنهم "بچه بقا" الذي سوف يأتي ذكره فيما بعد، فقد كان طاجيكيا، وحكم تسعة أشهر في كابل عام ١٩٢٦م، كما كان برهان الدين رباني رئيس حكومة المجاهدين الإسلامية في كابل (صيف ١٣٧١هـ ش) طاجيكيا أيضا ، وسائر المسؤولين المهمين لحكومة رباني كانوا فارسيي اللغة.

الهزارة(*) EL Hazzara

يعيش الهزارة في المناطق الوسطى لأفغانستان في جيوب الجبال والمرتفعات الوسطى للهندكوش، ومكانهم يعرف بـ "هزاره جات". ويرى بعض المحققين أن الهزارة من أعقاب قوم المغول، أو من أعقاب قواتهم ؛ لأن "جنكيز خان" كان قد حكم في أفغانستان، والبعض الآخر يرى أن مجيء الهزارة في أفغانستان مرتبط بفترة زمنية

(*) من المأخذ على هذا الكتاب وكاتبه أن به مسحة شيعية ؛ فهو يصورهم على أنهم أكثرية مقهورة يتجاوز تعدادهم أربعة ملايين نسمة، في حين أن عددهم لا يتجاوز المليون ونصف المليون تقريبا ، ولهم مجتمعاتهم المنظمة والحكمة حلقاتها عقائديا واجتماعيا ، والأفغانيون رغم شدة تعصبهم للدين والمذهب والجنس لا يعارضون غيرهم في حقوقهم ولا يتحاشون عن أن يروا شيعيا أو غير مسلم يقيم مراسم دينه ، ولا يمنعون المستحقين منهم من نيل المراتب العالية في حكومتهم ؛ فقديمًا ترى أصحاب المناصب في البلاد الأفغانية من الشيعة (القزلباش)، وحيثا برهان الدين رباني وغيره . وانظر: نعمة البيان في تاريخ الأفغان، ص ٢٠٠، بتصرف . (المترجم)

قبل حملة المغول، وبعبارة أفضل يمكن القول بأن الهزارة مزيج من الأصول الإيرانية والمغولية، والفارسية هي لغة الهزارة. وكلمة "هزاره" من جذر هزار الفارسية (العدد ألف) والتي كانت من العلامات العسكرية، أو علامة لعدد الوحدات العسكرية، ويمكن أن نقول إن أعداداً منهم في إيران، ويعيشون بالقرب من الحدود مع أفغانستان، ويشتهرون بالهزارة الغربيين.

وفي عقد ١٨٩٠م، وعلى أثر السياسات الظالمة والعنصرية لعبد الرحمن خان حرم الهزارة من أملاكهم وتم ذلك تحت الضغوط الشديدة لحكومة البشتون، وأجبر الهزارة على الأعمال الصعبة والثقيلة، ونسب إليهم السلوكيات السيئة جداً، وصادر أراضيهم لصالح البشتون، ولم يبق لهم أرضاً يستخدمونها قط.

وفي أول مجلس (تجمع) للشيعة الأفغان في طهران ١٣٦٨ هـ / ١٩٨٩م انتقد أحد المتحدثين الأفغان في ذلك المجمع كل الأساليب السيئة مع الشيعة، وأحد هذه الأساليب السيئة:

برنامج رقص الموت الذي كان ماثلاً أيام "عبد الرحمن خان"، ووفقاً لهذا البرنامج كان يتم إشعال النار، وكان يتجمع البشتون حولها من كل مكان، وأنداك كانت توضع الأواني الفخارية بكاملها في النار، وكان يحضر الشيعة أو المتشيعون، وسريعاً تفصل رؤوسهم، وعندما تحمر الأواني الفخارية يلصقونها بهم. وبهذا الشكل ينقطع تدفق الدم ويظل القلب حياً لفترة، ويتمدد الجسد دون رأس إلى أعلى وإلى أسفل (الدم) يجري من طرف إلى آخر، وبالطبع كانت تصدر منهم حركات غير عادية، وهذه الحركات غير العادية كانت تعد نوعاً من الرقص، وكان الحاضرون يتلذذون بمشاهدة ذلك المنظر.

يعيش الهزارة على الزراعة ورعى الماشية، ولكن أراضيهم محدودة، جبلية وغير قابلة للزراعة، وكانت أكثر مناطق أفغانستان تخلفاً وفقراً، إلا أنه أخيراً اكتشف معدن الحديد بكميات كبيرة في منطقة "حاجي كك" بالقرب من "باميان"، ويتوقع في حالة استخراجها أن يحل إلى حد كبير مشكلة تشغيل الهزارة وتحسين أوضاعهم الاقتصادية.

والهزارة أكبر فئة شيعية فى أفغانستان، وكانت أغلب قوات الشرطة تُختار من بينهم هم والأوزبك. ولقد قاومت الهزارة الحكومة الأفغانية الشيوعية العميلة للاتحاد السوفيتى السابق، وكانت أول مجموعة حملت السلاح ضد هذا النظام، وحررت الأرض. وعبر التاريخ الماضى وعلى أثر الضغوط المختلفة التى مورست على الهزارة كانت سببا فى تقليص تعاونهم مع الحكومة المحلية، ومن أجل تأمين حقوقهم كانوا يفتنمون الفرصة ولا يضبطون أنفسهم أمام كل إجراء، وفى عقد ١٨٨٠م أفتى أهل السنة - بإيعاز من الحكومة المحلية أو الإنجليز - بالجهاد ضد الهزارة، وأنداك هجم الأوزبك على الهزارة، وأسروا نساءهم ورجالهم وعرضوهم للبيع. هذه التصرفات غير اللائقة ظلت قائمة، أما فى الثمانينيات والتسعينيات من القرن العشرين فإن الهزارة تحرروا من الانحطاط، وتأثروا بالثورة الإسلامية الإيرانية وشاركوا فى تحديد مصير الدولة، وكل أمر قابل للتنفيذ يتم بمشورتهم.

ويعيش الأوزبك فى الأجزاء الشمالية للهندكوش، فى المناطق التى تعرف بـ "تركستان الأفغانية"، وأكثرهم يعيش فى النواحي الشمالية وأطراف مدن مزار شريف(*)، وميمنه، وخان أباد، وقندوز، وبخشان. والأوزبك من أحفاد الأتراك الصفر(**) فى آسيا الوسطى، ويشغلون بالزراعة والصيد، ولهم دور نشط فى الأمور التجارية والحرفية الأفغانية أيضا، ولهم نشاط فى إقامة الحظائر لتربية الخيول والأغنام.

الأوزبك كغيرهم وقعوا تحت الضغط والاعتداء؛ ولهذا السبب ليس لديهم ثقة فى مستقبلهم، وغير آمنين على ثرواتهم. ويكمن خوفهم من هذا الجانب فى أنهم وقعوا تحت ظلم واعتداء عمال الحكومة، خاصة البشتون.

(*) مزار شريف : عاصمة ولاية بلخ، وتقع على ارتفاع ٤٠٠ متر من سطح البحر، وهى من أهم المدن الواقعة فى شمال أفغانستان، وتقع مدينة بلخ الصغيرة والمعروفة تاريخيا على بعد أميال قليلة من مزار شريف "المسلمون فى أفغانستان"، ص ٢٢. (المترجم)

(**) نكرت بعض المصادر أنهم من أحفاد التتار، ويعيشون فى مدينة بلخ. انظر: سمة البيان فى تاريخ الأفغان، ص ٢٠٧. (المترجم)

إن المنطقة التي يقطنها الأوزبك من أكثر الأماكن فقرا أيضا، وبالقطة فإن الغاز الطبيعي في أفغانستان يقع في "شبيرغان"، بالقرب من "مزار شريف" في قلب منطقة الأوزبك، وبه احتياطي عظيم ، يمكن أن يكون مصدراً اقتصادياً مفيداً للأوزبك ولأراضيهم، حيث إنه في أفغانستان عندما يكتشف معدن فإن القبائل التي بحوزتها تلك المنطقة تُعطى جزءاً من دخله.

وكان عنف البشتون تجاه الأوزبك سبباً في ميلهم إلى الاتجاه صوب "جيحون"، يعنى جمهورية أوزبكستان، والاتحاد السوفيتي السابق كانت له دعاية كبيرة عن طريق إذاعة أوزبكستان، ولكن تأثيرها كان محدوداً، ويبدو أن مقاومة الأفغان الأوزبك في مواجهة الروس كانت أقل من سائر الأقوام والفصائل الأخرى. وتعداد قوات الأوزبك في جيش أفغانستان سابقاً أكثر من سائر الفصائل الأخرى بعد البشتون. وقد سعى الروس وقت احتلالهم لأفغانستان إلى احتلال منطقة الأوزبك كي يستفيدوا من قوات أوزبكستان .

التركمان (*) EL Tourkman

يعيش التركمان على طول الساحل الجنوبي لبحر "آمو" (جيحون) والحدود الغربية الشمالية لأفغانستان، ويشغلون غالباً بإقامة الحظائر (تربية الخراف والخيول). والتركمان قوم من نوى العرقيات الصفراء، ويتصل نسب بعض طوائفهم إلى "جنكيز خان"، والتركمان على مذهب السنة وكانت تعيش بينهم طوائف شيعية المذهب، ويتكلمون اللغة الفارسية.

(*) التركمان: يصفهم جمال الدين الأفغاني بقوله: "لهم حنق في الفروسية والطمع بالرماح، ولا يستكفون من أكل لحم الفرس، ويوجد فيهم بعض العلماء، ويضعون على رؤسهم القلنسوة. انظر : نعمة البيان في تاريخ الأفغان، ص ٢٠٧ . (المترجم)

ثالث الفصائل التركية نورو الأصل الأفغانى الذين يعيشون غالبا على شكل بدو فى ناحية الشمال الشرقى للبلاد ومضيق "واخان"، وهم فى الغالب أصحاب قطعان وحظائر كبيرة، لكن فى أثناء الاحتلال السوفيتى لأفغانستان أُجلى أغلبهم من مضيق "واخان"، واختاروا الإقامة فى باكستان، أو فى بعض الأماكن الأفغانية الأخرى، وانتقل عدد منهم أيضا فى عام ١٩٨٠م مع أغنامهم وحشمتهم إلى الخارج، وإلى تركيا بالطيران.

يعيش البلوش منعزلين فى جنوب غرب أفغانستان، فى صورة بدو، أو مخيمين غالبا. أرض البلوش صحراوية، وإنتاجها قليل، ولم يبذل أى عمل لتنميتها، ونسيت باعتبارها منطقة أفغانية؛ لذا فإن هذه الفئة من مجموع السكان كانت تحسب نفسها دائما معزولة، وليس لها توجه، ولهذا السبب كان لديهم نزوع إلى الثورة والميل الخارجى، وفى السبعينيات والثمانينيات ذهب عدد من شباب البلوش إلى الاتحاد السوفيتى، وبعد أن حصلوا على ما يلزمهم من التعليم عادوا إلى منطقة البلوش الأفغانية مؤيدين للاتحاد السوفيتى ومناصرين له. وعلى الرغم من عادات الحياة فى منطقة البلوش؛ فإن المستقبل الاقتصادى بانتظارهم، فمنطقتهم غنية بالغاز، وعامرة بالخاثر المعدنية الجبيرة بالاهتمام مثل الكروم والكوك، والفحم الحجرى وحجر الحديد واليورانيوم وخلافه.

أهل المخيمات

يوجد فى أفغانستان ما بين ٢ و ٣ ملايين ونصف من ساكنى الخيام، ويتعبير آخر "الرُّحُل". والأفغان أيضا يسمونهم "رُحُلًا"، وينتشر هذا العدد فى شمال

البلاد وجنوبها، وينتقل بنظام من مكان لآخر، ولا يوجد لهم مكان محدد أو ثابت غالباً، ويصل عددهم إلى نحو ربع المجتمع السكانى، ويعيشون فى المخيمات، ويتعيشون على تربية الماشية والتجارة، وعدد كبير منهم من سلالة "أبناء الغلجة" (بشتون)، وهم فى فصل الخريف يعبرون المرتفعات الجنوبية لأفغانستان ويتخذون طريق الحدود الباكستانية فى "أستان" عند معبر الحدود الباكستانية، ويبيعون بضائعهم ويشتررون كل ما يلزمهم، وحركة ذهابهم وإيابهم ليست موقوتة بوقت، وموضوع البدو هذا كان واحداً من المسائل الحدودية الأفغانية الباكستانية، ويقيم هذا العدد فى فصل الربيع فى المخيمات حول الطريق والمراتع فى أفغانستان، ويبيعون الأقمشة والسكر النباتى وسكر الشاي والتوتون والأدوية، وسائر الأشياء التى يشترونها من باكستان.

إن الاعتداء السوفيتى واحتلاله البلاد سبب مشكلات جمة بالنسبة للبدو، إحداها اختلال ذهابهم وإيابهم، ومشكلات أخرى كانت تتمثل فى احتلال أراضيهم من قبل القوات الخارجية أو الحكومية، وعبر التاريخ الماضى لعب البدو دوراً مهماً فى تفعيل الأنشطة الاقتصادية والتجارية والأمور المالية للقرويين، وفى أحيان كثيرة كان البدو يقومون باستيراد السلع وبيعها، بل كانوا يقومون بدفع القروض للقرويين، وكان عدد كبير منهم يقدم المال على سبيل الربا محاولة من هؤلاء البدو ألا يقعوا تحت ضغط ووطأة الحكومة، وألا تشملهم قوانينها وقراراتها، استخفافاً بهذه القوانين وتحلاً من أى تبعية لها، وكانت إحدى مشكلات الحكومة أيضاً أن جزءاً من السكان كان خارج سيطرتها تماماً. على عكس القرويين الذين لهم مكان ثابت، فكانوا يخضعون للرقابة والقانون بأيسر ما يمكن. أما البدو فكانوا يحبون أن يعملوا وفق هواهم، وكانوا يسعون لهذا الأمر بشكل دائم.

الهجرة

كانت الهجرة لا تتم داخل أفغانستان إلا بصورة نادرة، فوفقاً للعرف القومى والقبلى وسائر الموانع الأخرى، لا ينتقل أفراد من مدينة لأخرى. فلم تكن القبائل

والأقوام لتقبل أفراد أقوام وقبائل أخرى إلا فى بعض المدن الكبرى مثل كابل. حيث تضعف هذه الأعراف ، فينتقل الأفراد من الأماكن المتفرقة إلى كابل ويقيمون بها. أما هجرة الأفغان إلى خارج بلادهم فكانت تتم بصورة كبيرة، وقبل انقلاب "هفت ثور" ١٩٧٨م كان عدد كبير من القوى العاملة تذهب إلى إيران وباكستان وبعض الدول الأخرى من أجل كسب المال والحصول على فرصة عمل، ولكن بعد انقلاب ١٩٧٨م، وبعد الاعتداء السوفيتى فى ١٩٧٩م، سلك عدد كبير من الأسر الأفغانية طريقه صوب "باكستان" و"إيران"، فأكثر من مليونين ونصف المليون يعيشون فى إيران ، وقرابة ثلاثة ملايين فرد يعيشون فى باكستان أيضا، وظلوا هناك حتى سقوط النظام العميل للاتحاد السوفيتى السابق الحاكم فى كابل، وبعد تشكيل حكومة المجاهدين الإسلامية عاد المهاجرون تدريجيا إلى أفغانستان، وبالقسط فإن حركة هذه العودة كانت بطيئة حتى صيف ١٣٧١هـ ش / ١٩٩٢م ؛ نظرا لأن الأمن أولاً لم يكن كافيا، وثانيا لأن مجالات العمل والإنتاج والدخل كانت ضعيفة، وقد كان عدد من المهاجرين الأفغان يذهب إلى الدول الأوروبية وأمريكا، وهذا العدد من المهاجرين الأفغان كان يضم ثلاث طوائف من الشعب الأفغانى :

(١) زعماء القبائل، خاصة فى عهد ظاهر شاه وداود خان.

(٢) أصحاب الثروة والمال فى البلاد.

(٣) العسكريين الأفغان (القوات العسكرية الأفغانية).

والطبقات المذكورة كانت تحصل على تأشيرة السفر بسهولة كبيرة من القنصليات الأوروبية والأمريكية، وكانوا يقيمون فى تلك الدول. أما عامة الشعب الذين لا حول لهم ولا قوة (أى الذين لا يملكون الذهاب إلى أى مكان) فكانوا يذهبون إلى باكستان وإيران، وعدد قليل منهم كان يذهب إلى الهند.

الإمكانات الصحية(*)

يرى الدكتور دارو أن أفغانستان من حيث الإمكانات الصحية فقيرة جداً، لا سيما في المواد المطهرة وسائر الأمصال الواقية من السموم والحشرات والميكروبات ، فالإمكانات الصحية تصل في القرى إلى ١٧٪ حداً أقصى، وتصل في بعض المدن مثل كابل إلى ٧٠٪، وفي بعض الأماكن تصل إلى ٨٠٪، أما في أغلب المدن فإن هذا الرقم لا يتجاوز ٥٠٪ .

(*) وفقاً لما جاء في إحصائية ١٣٤٠ هـ / ١٩٦١ م فإنه يبلغ معدل الأفراد لكل طبيب بأفغانستان حوالي ٥٠ ألف فرد. هذا الرقم ضخيم جداً إذا ما قورن بمعدل ١٤,٨ ألف لكل طبيب لدى جارتها باكستان، و ٨,٦ ألف لكل طبيب في إيران، و ٤,٩ ألف في الهند، وأربعة آلاف فرد لكل طبيب في تركيا ، وهذا يدل على التخلف الشديد والفاحش في الشؤون الطبية في أفغانستان . انظر: أفغانستان در مسیر تاریخ ، ص ١٦ . (المترجم)

الفصل الثالث

الدين والمذهب

الإسلام هو دين ٩٨٪ من الشعب الأفغاني، وما يقرب من ٧٠٪ من بينهم من أهل السنة، وأكثرهم على مذهب أبي حنيفة النعمان، وأكثر من ٢٥٪ من الشيعة الاثنا عشرية أيضا، وأكثرية الشيعة تتشكل من طائفة الهزارة الذين يعيشون في المناطق الوسطى في أفغانستان، ويتمركزون في مدينة باميان التاريخية، كما تتشيع بعض قبائل القزلباش والأتراك والطاجيك وحتى البشتون، وتوجد أقلية صغيرة أيضا على مذهب الإسماعيلية، والتي يتزعمها روحيا الحاج سيد منصور نادی، و يعيش أكثر من عشرين ألف فرد من الهندوس والسيخ في قندهار ومزار شريف وزابل وهراة وخوست، ويوجد حوالي مائة وخمسين مخيما في كابل وهراة وقندهار، وقد غادروا أفغانستان تدريجيا.

وقد كانت الديانة البوذية رائجة وشائعة قبل ظهور الإسلام، ولها مريدوها في أفغانستان، والتمثال الضخم لبوذا المنحوت في قلب الجبل شاهد على ذلك العهد (قامت حركة طالبان بتدميره مؤخرا قبل القضاء عليها على يد القوات الأمريكية)، ولكن مع قدوم الإسلام منذ القرن الأول الهجري وما تلاه إلى أفغانستان، وبعد تشكيل الحكومات الإسلامية في المنطقة نسخت في أفغانستان الديانة البوذية تدريجيا واختفى مريدوها.

وتوجد أقليات أخرى أيضا ولكن تعدادهم قليل، وطبقا للدستور الأساسي لنظام المملكة (أيام ظاهر شاه) يجب أن يكون الملك سني المذهب، ومنذ بداية تشكيل الحكومة وحتى اليوم والأجهزة الحكومية سنية المذهب، وفي أواسط السبعينيات كان في أفغانستان خمسة عشر ألف مسجد، ويبدو أن هذا العدد لم ينخفض، حيث كان المجاهدون يسيطرون على أجزاء كبيرة من أفغانستان خلال عقد الثمانينيات، بل

أضيفت تكايا ومساجد أخرى. ومساجد أفغانستان لها طابع معمارى بسيط، حيث لا يوجد فى داخل المساجد أى شكل من أعمال التصوير أو النقش أو سائر العلامات الأخرى التى تشغل المصلين عن حضور القلب، وتشرّد أذهانهم.

ويوجد بين الأحناف من يُعرّفون بالمتصوفة(*) (المولويين) لهم نفوذ كبير، والصوفيون فى العهد الماضى كانوا يلعبون دورا مهما فى التعليم فى أفغانستان، والناس بشكل عام يحضرون حلقات الوعظ والإرشاد وينصتون بدقة بالغة، ولهم باع طويل فى علم الكلام. وكان المتصوفة يهتمون بالأمور التعليمية ضمن الدعاية الإسلامية المختلفة، وفى القرن الأخير أيضا توجد فى أكثر المناطق مدارس حكومية، وكذلك أيضا تم تأسيس مكاتب تحفيظ القرآن، وكان الفتية والصبية الأفغان يترددون من سن الخامسة حتى التاسعة على هذه المكاتب لحفظ القرآن وتعلم الكتابة، وقد كانت وزارة التربية والتعليم أحيانا (فى عهد ظاهر شاه) تضع بعض الإمكانيات تحت تصرف هذه المكاتب، وعادة ما كانت نفقات هذه الكتاتيب تقع على كاهل أولياء الطلاب.

وكانت "جمعية العلماء" تأتى على رأس مجتمع رجال الدين الأفغانى، وكانت تضم زعماء الدين البارزين فى ذلك المجتمع. وقد شكّلت جمعية العلماء فى عام ١٩٣١م، وكانت مهمتها اختيار أئمة المساجد.

المجتمع الأفغانى (خاصة المجتمع القروى والقبلى والبدوى) شديد التمسك بالدين والمذهب، ولهذا كانت أوامر علماء الدين المحليين وقوانينهم أنفذ عليهم ولازمة الطاعة حتى من الفرمانات والقوانين الحكومية، وعادة مايرى الناس أن زعماء الحكومة بعيدون عن الدين، وكذلك فإن القرويين والبدويين يعتقدون كثيرا فى العلوم الغريبة مثل السحر والجفر والخرافات وخلافه، وتوجد فى المدن الأفغانية مشاهد

(*) ويؤيد هذا ما جاء فى كتاب "المسلمون فى أفغانستان" تعقيبا على دور المتصوفة حيث يقول : والملا والمولوى تأثير كبير على جميع أفراد الشعب ، فما يقولاته هو الصدق، وفيما ينطقان به فصل الخطاب فى أى أمر من الأمور . انظر : المسلمون فى أفغانستان ، ص ٣١ . (المترجم)

كثيرة وتكثر فى القرى، وهى القبور التى تنسب إلى أئمة الشيعة الكبار عليهم السلام ، وأبنائهم وسائر عظماء الدين، ومن بين هذه المشاهد – التى هى كثيرة نسبيا – مشهد الإمام على عليه السلام فى مزار شريف. واسم مزار شريف أيضا يعد نسبة إلى هذا المزار المبارك، وقد أقيمت للعظماء والشيوخ المحليين مشاهد أيضا، وهى موضع احترام العامة، والناس يعتقدون أن روح المتوفى يظل لها حضور فى ذلك الموضع، وينذرون لها النذر والصدقات الكثيرة، ويطلبون منها الشفاعة والحماية.

وفى عام ١٣٤٣هـ ش/ ١٩٦٤م فى عهد ظاهر شاه تم تدوين الدستور الجديد الذى نظم على غرار القوانين الأوروبية. وكانت أحكام الشريعة الإسلامية من قبل هى النافذة على المجتمع الأفغانى، وتم تطبيقها بين القبائل والأقوام عن طريق زعماء الأقوام والقبائل، كما تم تطبيقها أيضا فى الأجهزة الحكومية عن طريق نواب وزارة العدل، لكن منذ العام المذكور أخذت الأجهزة الحكومية تحل القوانين المدنية محل قوانين الشريعة بالتدريج، وقد اقتبست هذه القوانين من مصادر أوروبية، وبعد سقوط الأنظمة الشيوعية وتشكيل الدولة الإسلامية بزعامة المجاهدين تم تشريع القوانين الحكومية المبنية على الشريعة الإسلامية مرة أخرى.

الاختلافات المذهبية

منذ القدم والخلافات المذهبية شديدة نسبيا بين الشيعة والسنة فى أفغانستان، ومع الإجراءات التى اتُخذت فى عهد ظاهر شاه انخفضت حدة الصراعات والمشاجرات إلى حد ما، خاصة منذ مجيء الأنظمة الشيوعية، وفى أثناء احتلال أفغانستان من قبل جيش الاتحاد السوفيتى السابق ضعفت الاختلافات والمشاجرات المذهبية نسبيا، واتفقت جميع الطوائف والفصائل على تنحية الخلافات المذهبية جانبا، والوقوف فى وجه عدوهم الخارجى المشترك وأذنبه فى الداخل، لكن بعد سقوط نظام نجيب الله ١٣٧١هـ ش/ ١٩٩٢م، وتشكيل حكومة من قبل فصائل المجاهدين عادت هذه

الصراعات القديمة مرة أخرى، وعملت بعض الفصائل المتشددة على استبعاد الشيعة من ساحة الحكومة و المجتمع؛ مع أنه كان للشيعة نصيب كبير في الجهاد و القتال.

محاولة إضعاف المذهب

المجتمع الأفغانى مجتمع مذهبى بكامله، والشعب لديه حساسية وشفافية كبيرة تجاه الدين والمذهب، وعلى الرغم من الدعاية الواسعة والإجراءات الشديدة من جانب الأنظمة الشيوعية فلم يصب الشعب إلا الخل البسيط فى معتقداته القديمة، ومن الظواهر الفعلية فى المجتمع الأفغانى نفوذ المتصوفة القوى واللامحدود، فقد لعب المتصوفة دور القوة صاحبة اليد الطولى فى مواجهة الحكومات المحلية، ممثلة للشعب بالقوة وبالفعل، وفى العقود الأخيرة عمدت الحكومات إلى تقليص دور المتصوفة، وزيادة قدرتها وهيمنتها كى تمنح نفسها التحكم فى زمام الدولة، وللوصول لهذا نفذت عدة إجراءات، من بينها أنها تبنت الأسلوب العلمانى؛ فأقامت المدارس الجديدة على نمط التعاليم الغربية حتى تحد من وجود المتصوفة ، لكن هذه الإجراءات نفذت فى المدن الكبرى فقط، أما فى القرى و المدن البعيدة التى يتكون منها غالبية المجتمع الأفغانى فقد بقيت تحت تأثير المتصوفة، ورغم انخفاض دور الصوفية فى الأمور التعليمية فى المدن الكبرى وأعمال الدعاية المختلفة؛ فإن ذلك لم يكن له تأثير كبير فى الحد من تمسك الأفغان بإيمانهم ومعتقداتهم.

أولاً: لأن الأعمال الحكومية كانت ضعيفة ولم تكن ذات تأثير كبير.

ثانياً: لأن المساجد لعبت دوراً مهماً ومصيرياً بين الشعب الأفغانى حتى فى كابل نفسها، فكان الشعب من الصغير والكبير والمرأة والرجل يجلس فى المساجد والتكايا ويحضر حلقات الوعظ لرجال الدين، فلما جاء النظام الجديد من قبل المجاهدين أزال جميع العادات والسلوكيات القديمة التى هى ضد المذهب أو غير مذهبية ومحاهها من الوجود.

ولم تنجح النظم العلمانية في أفغانستان لأن الإسلام كان ضاربا بجنوره في أعماق النظام الاجتماعي الأفغاني، فلم يدم التوفيق لأي مجال غير ديني ؛ لذا فإن الحكومات التي لم تكن ذات صبغة إسلامية كانت تواجه المشكلات السياسية والاجتماعية والقومية الكبيرة، وهذا الطراز من الحكومات التي كان سلوكها منافيا للإسلام (مثل الأنظمة الشيوعية) كانت تواجه بثورات كبيرة و تنتهي بالفشل(*) .

(*) لقد ابتلى التعليم في أفغانستان باحتلالين: الاحتلال البريطاني، ثم الروسي، وقد ظهرت آثار الاحتلال واضحة في السياسة التعليمية للحكومات طيلة بقاء المستعمر. ومن أبرز هذه السمات :

- ١ - عدم الاهتمام بتعليم الدين الإسلامي بصفة عامة في مراحل التعليم والتطاول عليه والتقصيص منه .
- ٢ - عدم تخصيص الحصص الكافية في المنهج الدراسي للعلوم الإسلامية، لاسيما تفسير القرآن والحديث والفقه وأصوله والسيرة، بينما كانت العلوم التطبيقية تلقى كل اهتمام .
- ٣ - عدم تدريس تاريخ الإسلام تدريسا واعيا ليستفيد منه الطلاب بوصفه تجارب حية في التاريخ الإسلامي المجيد .
- ٤ - حذف النصوص التي تحث على الجهاد والدفاع عن العقيدة والوطن .
- ٥ - عدم العناية بالجانب الخلقى بين الطلاب ، ونشر الاختلاط بين الطلاب والطالبات . انظر : المسلمون في أفغانستان ، ص ٢٧ ، ٢٨ . (المترجم)

الفصل الرابع

الأوضاع الاجتماعية والثقافية والتعليمية

تنبعث آداب الشعب الأفغانى وعاداته وثقافته من الثقافة الإسلامية؛ فهي واحدة من الدول التى لها قواعد وثوابت شديدة متوافقة مع الأصول والمعتقدات الإسلامية، حيث يؤدى الإسلام دورا فى كل جزئيات حياة الشعب الأفغانى، وكل تطور اجتماعى وسياسى واقتصادى يتبلور وفقا للقالب الإسلامى، وكل طرح مغاير لذلك محكوم عليه بالفشل، حتى النسل من الشباب يتمسك بشدة بالثوابت والأصول السنية، وقليل تخطيهم عن هذا المسلك ؛ بدليل أن أفغانستان عبر التاريخ الماضى وحتى ١٨٥٧م كانت متوحدّة مع إيران؛ فالثقافة والسلوكيات الاجتماعية الأفغانية تشبه كليةً آداب وعادات الشعب الإيرانى^(*)، ومن بينها أن يراعى الحجاب كاملا، ويحرم بيع المشروبات الكحولية فى كل مكان بالبلاد ، وبالتأكيد فإن الأنظمة الشيوعية الحاكمة فى كابل كانت تشجع هذه الأعمال المشينة والقييحة من أجل محاربة الإسلام، وحقت نجاحا ضئيلا فى كابل، ولكن بعد تشكيل الحكومة الإسلامية من قبل المجاهدين فى كابل نسخت السلوكيات غير الإسلامية.

وفى المدن الأفغانية الكبرى خاصة كابل تشاهد بعض المظاهر المحدودة من سلوكيات الحياة الغربية، لكن فى القرى والمدن الصغيرة أو البعيدة لا تزال العادات والنظم التقليدية ماثلة، وأما أهل المدن الصغرى أو البعيدة فتعيش طبقا للعادات والسلوكيات السنية، وبها بعض التغيرات الطفيفة.

(*) لا أأفق مع الكاتب فى هذا الطرح ؛ فالمجتمع الإيرانى يحكمه القالب الشيعى فى مخبره ومظهره منذ العصر الصفوى ٩٠٥ هـ.ش. وحتى الآن، وهو مجتمع منظم محكم الحلقات عقائليا واجتماعيا، وهذا لا يتواءم مع المجتمع الأفغانى ذى الأصول السنية فى مخبره ومظهره . (المترجم)

فى كابل وبعض المدن الكبرى طغت الملابس التى على النمط الحديث (البدة) على الملابس العادية التى تتبع الطريقة التقليدية، إن مسئولى الدولة السابقين وبعضاً من أصحاب الأموال والتلاميذ والطلاب يرتدون ملابسهم وفقاً للزى الجديد، ولكن المدن البعيدة والريفية تحتفظ بتقاليدها. وبعد تشكيل حكومة المجاهدين قل ارتداء الملابس الجديدة (البدة)، كما أن شعب أفغانستان وحتى شبابهم وأطفالهم يضعون قبعة أو عمامة كبيرة فوق رؤوسهم، ويندر مشاهدتهم دون قبعة أو عمامة، ويعلقها العامة على نهاية خدودهم، أو صدورهم، وفى الوقت الراهن يقصر الرجال شعر رؤوسهم، أما الشباب فبعضهم يطيل من شعره، كما أن الرجال يكتفون لحاهم والشباب يقصرونها.

وتخلت النساء عن الحجاب بشكله التقليدى فى العهد السالفة فى بعض المدن الكبرى مثل كابل، وخرجن على الحجاب واخترن زى الفرنجة، لكن بعد تشكيل حكومة المجاهدين الإسلامية عاد حجاب النساء مرة أخرى.

إن نفقات العرس خاصة المهر بالنسبة للفتاة عالية جداً فى أفغانستان، بصورة يراها الأجنبى الذى لا يعرف عادات الأفغان كحالة البيع والشراء، وقد انخفضت إلى حد كبير نفقات العرس فى بعض المدن الكبرى، لكن فى القرى والمدن الصغيرة لا تزال مرتفعة. ويتم الزواج بين البنات والأبناء وسط الأقوام والأسر القبلية، وعادة ما يكون الفتى والفتاة أبناء عمومة وأبناء خالة وما شابه ذلك، ويتم اختيار كل منهما للآخر فى عهد الطفولة من قبل الآباء والأمهات، ومتوسط سن الزواج بين الأفغان منخفض، فيكون بين الفتيان تحت سن العشرين، وبين الفتيات تحت سن الثامنة عشرة، ويبدأ سن الزواج للبنات ابتداء من سن التاسعة فصاعداً، وللأبناء ابتداء من الخامسة عشرة فصاعداً.

ويؤكد بعض زعماء المجاهدين المتشددى مثل "سياف" على ضرورة زواج البنت فى سن التاسعة والولد فى الخامسة عشرة، ويجيز الشيعة الأفغان - بما لديهم من أفق فكرى أرحب وعادات أرفع - رفع السن لأكثر من ذلك.

وترى الروابط الأسرية في أفغانستان عميقة جداً، وأفراد الأسر تجمعهم علاقات عاطفية وحميمة، وعلى خلاف الدول المتقدمة أو الدول النامية فإن أفراد الأسر الأفغانية نادراً ما ينفصلون عن بعضهم البعض، والشباب بعد الزواج يبقون داخل حدود الحياة الأسرية وعلى الأكثر القبلية.

ولزعماء القبائل وكبار القوم ووجهاء الأسر تأثير كبير على الأفراد، وأعضاء القوم يستمعون إليهم باهتمام بالغ، وتُحل وتُفصل الدعاوى والمنازعات والخلافات الأسرية والاجتماعية عن طريقهم.

إن الغذاء الأساسى للشعب الأفغانى هو القمح والأرز، وأفغانستان فى الماضى كان لديها اكتفاء ذاتى من حيث إنتاج القمح، ولكن رغم القدرة على إنتاجه فهو لا يكفى احتياجاتها، وتضطر إلى أن تستورده، وحيث إن سائر الدخول الأفغانية منخفضة أيضاً؛ فهي ليست قادرة على تأمين القمح والدقيق موطن احتياج الشعب.

إن سعر القمح والدقيق مرتفع نسبياً، والأسر الفقيرة تحصل على تأمين احتياجاتها من الخبز بشق الأنفس؛ لأن الخبز مصدر احتياج لأعضاء الأسر الأفغانية. وبقية الاحتياجات تزيد أو تنقص حسب الطلب، وعادة ما يظهر الخبز جافاً مثل باقى السلع الأخرى الاستهلاكية (تحت عنوان الغذاء المتوسط).

ولا يوجد فى أفغانستان وحتى فى كابل وقود أرخص قيمة من الحطب، كى يخبزوا به الخبز؛ ولذا فهم يعدون الخبز فى المنازل على نار الحطب، ويصل فى صورته اللازمة للبيع. ويوجد فى كابل عدد قليل من المخابز التى تستخدم النفط وقوداً فى إعداد الخبز.

ويفضل شعب أفغانستان غالباً لحم الخراف على لحوم الأبقار، وعادة ما يذبحون خرافهم، وبالنسبة للمواد الغذائية الموسمية مثل الفاكهة والخضراوات وأيضاً اللحوم فإنهم يجففونها كى تحفظ لفترة أطول، ويحفظونها فى مستودعات باردة.

أما المشروب الرئيسى للشعب فهو الشاي، كما أن المقاهى هناك كثيرة ورائجة، ويستخدم نوعان من الشاي أحدهما أسود، وهو الذى يستخدم فى إيران أيضاً، والنوع

الآخر أخضر وهو الأحسن مذاقا، ويقدمونه في المجالس الرسمية، وللضيف من باب الضيافة والاهتمام، وفي الولائم الرسمية عادة ما يقدم كلا النوعين، وكل إنسان يختار النوع الذي يحبه.

السكر عامة والسكر النباتي خاصة قليل وغال في أفغانستان، ولهذا فإن الأسر تشرب الشاي بالزبيب أو التوت وغيره من سائر الثمار الجافة المماثلة. ترى أحيانا هذه الصورة في المكاتب الحكومية ولدى قادة المجموعات (الفصائل) فيشربون الشاي بهذه الطريقة، ورغم أن المواد الغذائية مُعدّة ومهيأة فإن الغذاء الأفغاني متنوع ولذيذ. ومن المواد التي يستخدمونها في الطعام الثوم، وكذلك الفلفل، وأنواع التوابل، فإنهم تقريبا يستخدمون الثوم والتوابل والفلفل في كل الأطعمة التي يطهونها على سبيل النكهة والطعم، خاصة الثوم.

والصحة في أفغانستان لا تلقى اهتماما، حيث تراهم - مثلاً - يعتمدون على مياه الأنهار والجداول في كل استخداماتهم، وهي مياه ملوثة وغير صحية غالبا، وتسبب كل أنواع الأمراض الرائجة، وأغلبها بسبب عدم اتباع التعليمات الصحية، ورغم أن هذا الوضع تسبب في ارتفاع حالة الوفيات بين الأطفال فإن الأشخاص الذين فقدوا أرواحهم من جراء هذه الأنظمة الصحية قاوموا مقاومة عنيفة.

وإمكانات التسلية والترفيه محدودة جدا في أفغانستان، وفي المدن الصغرى لا توجد أي وسيلة للتسلية والترفيه عن الأفراد، وقدرات المدن الكبرى مثل كابل قليلة جدا أيضا؛ فمثلا يوجد في مدينة كابل ثلاثة منتزهات، وإمكاناتها المختلفة ضعيفة جدا، وفي سائر المدن الأخرى تقل إمكاناتها عن هذه بكثير أيضا.

وعلى أثر الغزو المغولي مُنيت أراضي أفغانستان بأضرار فادحة، شأنها في ذلك شأن سائر مناطق آسيا الوسطى وآسيا الغربية، ومنذ ذلك الوقت وحتى الآن لم يظهر أثر أدبي جدير بالملاحظة، كما لم يتم أيضا تغير أو تحول يذكر في حياة الشعب وأفكاره وسلوكه، وبشكل عام لم تسترد الثقافة نضجها وازدهارها مرة أخرى.

الوضع التعليمي

على الرغم من أن مستوى التعليم - وبخاصة الديني - مرتفع نسبيا، فإن التعليم الكلاسيكي والفني ضعيف، وإمكانية القراءة والكتابة محدودة ؛ لذا فإن انخفاض مستوى التعليم أحد جنور المشاكل الرئيسية في أفغانستان حاليا.

فمستوى القراءة والكتابة يتراوح بين ١٠ و ١٥ ٪ ، فمن بين كل ٥ رجال رجل واحد، ومن بين كل ٢٠ امرأة امرأة قادرة على القراءة والكتابة ، كما أن ربع المجتمع السكاني أو خسمة لم ير المدرسة مطلقا، والأمر بالنسبة للنساء أكثر صعوبة، فأكثر من ٩٠٪ منهن لم يذهبن إلى المدرسة ولا يعرفن طريقها، وفي السنوات الأخيرة ما يقرب من نصف الأولاد (الذكور) ممن هم تحت سن العاشرة يذهبون إلى المدرسة، والأمر يختلف بالنسبة للبنات ممن هن في السن نفسها فيتراوح عددهن من ٥ إلى ١٠ ٪، والأمر أكثر تعقيدا في مستويات التعليم الأعلى، حتى قبل تشكيل حكومة المجاهدين الإسلامية. أما بالنسبة للأشخاص الذين كان يلزمهم أو بإمكانهم الحصول على مستوى أعلى من التعليم خاصة الجامعي، فكان يتم عن طريق الحكومة، حتى لو كان نوعا معينا من الدراسة أيضا.

ولو ذهبنا إلى أي مستوى من مستويات التعليم سواء أكان عاليا أم منخفضا، فإن حجم الطلاب سيكون ضئيلا بالنسبة لمجموع السكان ؛ فمثلا في عام ١٩٨٩ م كان عدد الطلاب المسجلين في المدارس الابتدائية ١٨٪، وفي مدارس المرحلة الأولى المتوسطة ٦٪ وفي مدارس المرحلة الثانية المتوسطة الثانوية من ١ إلى ٤ ٪، وترى النسبة العامة للتعليم في كل عام ٣٠٪ من الرجال و٥٪ من النساء.

وفي العقدين الأخيرين لوحظ ازدياد عدد المدارس الابتدائية الحكومية، على عكس المدارس المتوسطة فلم يزد عددها، وهذه المدارس كانت منتشرة بكثرة في كابل ومراكز المدن، وطبقا للقوانين السائدة فإن التعليم الابتدائي والمتوسط مجاني، فوفقا لقانون ١٩٧٩م فإن التعليم الابتدائي إجباري لجميع الأطفال، لكن هذا القانون لم يعمل به قط.

وطبقا للإحصائية الصادرة من قبل إدارة الإحصاء الأفغانية في عام ١٣٦٠ هـش/١٩٨١م

فإن عدد المراكز التعليمية وعدد طلابها على النحو التالي:

الموضوع	عدد المراكز	عدد الطلاب	نوع الدراسة
المدارس الابتدائية	٣٧٩٢	١٠٤٤٩٦٩ طالب	ابتدائي
متوسط إعدادي	٤٢٤	١٢٣١٢٦ طالب	متوسط
هنرستان "الفنون"	٤٤	١٠٨٦٢ طالب	فني
مراكز التعليم الحرفي	٣	١٥٣٨	فني
جامعة وكلية الصناعة	٤	١٣٧٩٧	عال، أو جامعي

تعداد المراكز التعليمية والطلاب في ٨١ - ١٩٨٢

وكان وضع التعليم في عام ٨١ - ١٩٨٢ على النحو التالي:

العنوان	عدد المراكز التعليمية	عدد المدرسين	عدد الطلاب
ابتدائي	٣٨٢٤	٣٥٣٦٤	١١١٥٩٩٣
متوسط	٤٤٤	٦١٧٠	١٢٤٤٨٨
ثانوي	٤٢	١٠٣٥	١٣٢٠١
مراكز التعليم الحرفي	٣	٢٦١	١٢٣٠
إعداد معلمين	١٤	٣٤٣	٤٤٢٧
تعليم عال	٥	١٢٢٦	١٢٨٦٨

والتعليم في أفغانستان ثلاثة مستويات: ٦ سنوات تعليم ابتدائي، و٦ سنوات تعليم متوسط (إعدادي وثانوي)، و ٥ سنوات تعليم جامعي، أما مدة الدراسة - خاصة في المراحل الابتدائية والمتوسطة - فكانت مناسبة، وسالفا كانت المرحلتان الابتدائية والمتوسطة تستغرقان معا اثني عشر عاما، لكن طبقا لبرنامج الخطة الخمسية

١٩٧٩-١٩٨٤م، وبشأن محاربة الأمية وإعادة تجديد هيكله نظام التعليم والأهداف الأخرى ، خُفِّضَت المدة إلى عشر سنوات، ثم صارت أحد عشر عاما، وفي عام ١٣٧٠ هـ.ش/ ١٩٩١م زيدت مرة أخرى إلى اثني عشر عاما .

وتنتشر المدارس الحكومية في المدن الكبرى، ولكنها ليست منتشرة في القرى، وتوجد مكاتب (كتاتيب) تهتم بالشئون التعليمية. وفي العقدين الأخيرين كانت معظم مناطق أفغانستان تحت سيطرة المجاهدين ورقابتهم، فانخفضت المدارس الحكومية، واهتمت بتعليم الأطفال والشباب الأفغان أكثر، لكن كانت بالأساليب القديمة نفسها، خاصة أن كثيرا من الأسر حتى الآن لا يزالون يفضلون أن يرسلوا أبنائهم إلى الكتاب، وكانوا يتعلمون القرآن والعلوم الدينية في هذه المكاتب على يد المتصوفة، وفي العقد الأخير، وحيث إن زعماء المجاهدين قد اتصلوا بكل من إيران وباكستان، فقد أخذوا عنهما الأساليب الحديثة والمناهج التعليمية لتطبيقها في المدارس .

وأفغانستان من حيث الجامعات ضعيفة جدا، وأقدم الجامعات جامعة كابل، التي بدأت عملها في حدود سنة ١٣١٠ هـ.ش/ ١٩٣١م ، وبها ستون فرعا لتعليم الطلاب، وحتى عام ١٣٧٠ هـ.ش/ ١٩٩١م تخرج فيها طلاب يقدر عددهم بـ ٢٥٠٠٠ طالب، وفي السنوات الأخيرة استقلت كليات الطب والكليات الفنية والصناعية والإلهيات.

وأما كليات جامعة كابل فهي: كلية الحقوق، وكلية الصحافة، وكلية العلوم الاجتماعية، وكلية التعليم والتربية، وكلية الآداب، وكلية الصيدلة، وكلية العلوم، وكلية الطب البيطري، وكلية اللغات وآدابها، وكلية الجيولوجيا، وكلية الهندسة، وكلية الزراعة.

أما الطلاب الأفغان فمنهم من يدرس بشكل رئيسي في صورة بعثات في الجامعات الأمريكية، ومنهم من يدرس في الجامعات الأوروبية وسائر الدول، وحتى عهد وجود الاتحاد السوفيتي على الساحة الدولية كان أكثر طلاب البعثات الأفغان يدرسون في الاتحاد السوفيتي، وإضافة إلى هذا فإنه في أثناء احتلال أفغانستان انشغل عدد من الشباب الأفغان بالدراسة في الجامعات الإيرانية والباكستانية، وعلى الرغم من ذلك فإن التعداد العام للطلاب الأفغان قليل جدا، ولا يفي باحتياجات البلاد .

وبسبب انخفاض الدخل وكثرة مشكلات الحياة، وانشغال الشباب في الأعمال الزراعية وتربية الماشية، وسائر الأنشطة الاقتصادية؛ لا توجد فرصة لدى الطلاب للذهاب إلى الكتاب أو المدرسة، فحال العمل والحياة في القرى والريف أكثر تعقيدا، ولهذا فعدد قليل يذهب إلى المدرسة أو الكتاب، وعادة فإنهم في الوقت الذي لا يشتركون فيه في العمل تجدهم في المكاتب، ثم يبتعدون عن المدرسة والدراسة حينما تزداد قوتهم على العمل تدريجيا، وهكذا الحال لدى أبناء المهاجرين الأفغان في كل من إيران وباكستان، يفتنون فرصة الذهاب إلى المدرسة في سنوات عمرهم الأولى، ويقل عددهم تدريجيا في أثناء المرحلة الثانوية.

والكتاب المدرسي واحد من أكبر مشكلات التعليم الأفغانية، فهو غير موجود في كثير من المدارس، أو أن عدده ليس كافيا، والمعلم يدرس الدروس للطلاب بصورة شفوية، لاسيما المدارس التي كانت تدار من قبل المجاهدين، والتي كانت تواجه نقصا حادا في الكتاب المدرسي، وبالطبع فإن الكتاب غير المدرسي كان محدودا أيضا، كما أن عدد المكتبات قليل جدا، وعدد الكتب بها محدود، ومدينة كابل من حيث عدد المكتبات أفضل حالا من غيرها من المدن، وفيها مكتبة مركزية بها ١٢٠ ألف مجلد، وخمس مكتبات عمومية أخرى، يتراوح عدد المجلدات في كل منها ما بين ٨ : ١٠ آلاف مجلد، والملاحظ أن هذا الرقم لا يذكر.

وضع المرأة ودورها

شأن المرأة في أفغانستان شأن كبير من دول العالم الثالث، فليس لها دور في الأنشطة السياسية والاجتماعية وإدارة أمور البلاد وسائر الأشياء الأخرى، والتاريخ الأفغاني مذكر ؛ بمعنى أن الرجال هم أصحاب النفوذ والقرار، والنساء فيه مطيعات ومنتقادات، وليس لديهن مسؤوليات اجتماعية، والاختلاف وعدم التساوي الشديد بين الرجال والنساء هو الفاصل في هذا الأمر، والمحللون الأوروبيون يعتقدون أن النساء

الأفغان فى وضع سجن ورق، إذ يجب عليهن أن يلدن، وأن يربين أطفالهن، وأن يشتغلن فى الأعمال الزراعية وتربية الماشية، وأن ينجزن الأعمال المنزلية فى الوقت الذى يُمضى فيه الرجال جزءاً من أوقاتهم على المقاهى.

وعلاوة على الأعمال المنزلية وتربية الأطفال فى القرى والريف، فإنها تقف فى سائر الأعمال مع الرجال كتفا بكتف، وبعض البدويات يضعن الخال (الوشم) فى وجوههن .

وأغلب النساء يشتغلن بالسجاد، ويعمل عدد كبير منهن فى محلات نسج السجاد التى تقام عادة فى المنازل، وعدد النساء اللاتى كن يشتغلن فى العقد أو العقدين الأخيرين فى المراكز الإدارية ومصانع الإنتاج والصناعة محدود جداً، وعدد آخر منهن كان يعمل وفقاً لظروف أخرى مشابهة ؛ حيث إن بعضاً من مجموعات الجهاد المتشددة أمثال "سياف"، و"حكمتيار" كان يعارض بشدة عمل المرأة فى المراكز السالفة، ولا يوافق على إسناد المهام الإدارية وسائر الأعمال العامة للنساء .

الحجاب

نساء أفغانستان محجبات، ويحظى الحجاب باهتمام بالغ فى أفغانستان، والنساء يراعين الحجاب كاملاً. وفى العقود الثلاثة الأخيرة بذلت أفغانستان جهوداً مكثفة لإزالة حجاب النساء، لكن توفيقها كان ضئيلاً، فشجعوا على رفع الحجاب منذ عام ١٣٢٨هـ ش/ ١٩٥٩م، كما سعوا إلى ذلك كثيراً أيضاً فى أثناء حكم "أمان الله خان" فى سنوات العقد العشرين ١٩٢٠م، وعلى الرغم من هذا قلم يحظ رفع الحجاب بتأييد كبير رغم الدعاية الكبيرة والكثيرة لظاهر شاه منذ ١٩٥٩م وما تلاها، وتدرجياً - ومنذ أواخر العقد الستين ١٩٦٠م وما بعدها - ظهرت نساء متبرجات فى أماكن متفرقة، ومن بينها الإذاعة والتلفزيون والمراكز الإدارية، وبمرور الزمان تغيرت صورة النساء،

وفى عهد "داود خان" والحكومات الشيوعية كانت الدعاية شديدة ضد الحجاب، ولم تقبل النساء المحجبات فى المراكز الإدارية والتعليمية وغيرها؛ ولهذا أصبحت مشاهدة النساء بدون حجاب كثيرة ومعتادة. وبالقطف فإن التبرج كان يُشاهد بكثرة فى كابل والمدن الكبرى، أما فى المدن الصغرى والريف فلا تراه مطلقاً، ورغم أن كابل تُعد مركزاً كبيراً للدعاية؛ فإن النساء اللاتى تخلىن عن حجابهن قليلات، واحتفظت الباقيات بحجابهن. وبعد سقوط حكومة نجيب الله ١٣٧١ هـ. ش/١٩٩٢م، وتشكيل حكومة المجاهدين حارب التبرج ورفع الحجاب؛ فاهتمت النساء بحجابهن سريعاً جداً.

الأنشطة السياسية والاجتماعية

كانت "كبرى نورزاي" أولى النساء اللاتى عملن فى الوزارات الأفغانية، فقد اشتغلت منذ ١٣٤٢ حتى ١٣٤٨ هـ. ش (٦٣-١٩٦٩م) فى وزارة البريد والصحة الأفغانية، ومنذ ذلك الوقت هناك سيدة أو اثنتان تعملان فى الوزارات الأفغانية. وفى عهد الأنظمة الشيوعية - لا سيما عهد "نجيب الله" - كانت تحدث ضجة كبيرة بسبب اشتراك المرأة فى تشكيل الحكومة. وفى الانتخابات البرلمانية سنة ١٩٦٥م وجدت أربع نسوة طريقهن إلى المجلس، ومنذ ذلك الوقت وللنساء وجود فى البرلمان الأفغانى، ودائماً ما كان يحضره عدد من النساء، وفى عهد حكومة فصائل المجاهدين الحاكمة فى "كابل" وحتى الآن لم يكن للنساء دور يذكر، ولم يكن هناك اهتمام حتى بالبرلمانيات منهن، وأكثر الفصائل تعارض حضور النساء فى هذا الشأن.

وعلى الرغم من الدعاية فى عصر الأنظمة السالفة، فلم يكن للنساء دور فعال فى الأمور السياسية والاجتماعية وسائر الأشياء المصيرية لهم والدولة، فقد كانت الحكومات الماضية تدعو النساء للاشتراك فى الأمور السياسية والاجتماعية المختلفة شريطة أن يكن متبرجات، ولم يسند إليهن دور مهم، وكان صراع فصائل المجاهدين مع النساء قوياً، حتى أنهم عارضوا اشتراكهن فى الانتخابات باستثناء بعض الفصائل الشيعية مثل حزب الوحدة الإسلامى، أما أكثر الفصائل الموجودة فتعارض بشدة اشتراك النساء

فى الانتخابات، أو حتى حضورهن فى ساحة الاجتماعات، وترفض رأيهن. ويسبب منع اشتراك النساء فى الأمور الاجتماعية - ومن بينهما التعليم - فإن عدد الطبيبات قليل جدا ؛ ولهذا فإن فحص النساء ومعالجتهن يلقى صعوبة بالغة، خاصة بعض التخصصات التى بها طبيب، فإن بعض أقاربها يصف للطبيب مرضها، فيأخذ لها التعليمات اللازمة. وحرية النساء فى كابل أكثر من سائر الأماكن الأخرى، لذلك فإن النساء يفضلن كابل فى التعليم على سائر الأماكن الأفغانية الأخرى.

عدد النساء فى مختلف الأقسام العلمية التى يتخرج فيها المهندسون وأمثالهم قليل جدا.

لويه جركه (مجلس الأعيان القبلى) : Loya Girka :

مجلس القبائل من المؤسسات التقليدية فى المجتمع القومى والقبلى الأفغانى، ويتكون من زعماء القبائل وقادة الفصائل، وهذ المجلس إلى حد ما أشبه ببرلمانات اليوم .

ولمّا كانت الأعراف القبلية والقومية هى الحاكم الأمر الناهى على المجتمع، فقد أصبح من غير الممكن تجاهل نور مجلس القبائل، حيث إن النظام العرفى والقبلى يلزم أعضاء القوم أو القبيلة باتباع رئيس قومهم أو عشيرتهم، وألا يأخذوا أمرا من غيره، ولهذا فإن كسب تأييد عامة الشعب لا يتم إلا عن طريق تشجيع رؤساء القبائل ومساعدتهم، فإن اشتراك الشعب فى الحياة السياسية والاجتماعية وغيرها كان لا يتم إلا بمساعدة زعماء القبائل والفصائل، والطاعة أو العصيان لزعماء الأقوام والفصائل كان بمنزلة الطاعة أو العصيان لعامة الشعب.

وسالفا كان القرار بشأن المسائل المهمة والاستراتيجية للمجتمع الأفغانى مثل انتخاب الملك أو رئيس الجمهورية، وإعلان الحرب والسلام، وإصدار القوانين كان يتم عن طريق مجلس الأعيان القبلى.

ومنذ أن شُكِّت الحكومة الأفغانية في ١٧٤٧م كان يرتبط تكوينها بمجلس الأعيان القبلي أيضا، وكانت قوانين الحكومة وبرامجها تتم عبر التنسيق مع القادة الأصليين للفصائل والقبائل، وتأتى بعض المؤسسات المهمة في مجلس القبائل على النحو التالي:

* في عام ١٧٤٧ م - وطبقا لدستور "نور محمد غلج زاي" - شُكِّل مجلس الأعيان القبلي في "مزار شيرسرخ" في داخل القلعة العسكرية "نادر آباد"، وبعد تسعة أيام من المباحثات تم اختيار "أحمد خان" ملكا لأفغانستان.

* وفي عام ١٨٦٥م تم تشكيل مجلس الأعيان القبلي بناء على دعوة أمير "شير علي خان" ملك أفغانستان، كي يحظى بتأييد الشعب في ولاية العهد لابنه أيضا.

* وفي أعوام ١٣٠١ - ١٣٠٣ هـ. ش (١٩٢٢ - ١٩٢٤م) شُكِّل مجلس الأعيان القبلي من أجل إصدار القوانين الأفغانية الأساسية الجديدة. وفي مجلس ١٣٠٣ هـ. ش / ١٩٢٤م رفضت كثير من مواد القوانين الأساسية المقترحة، والتي كان أمان الله قد اقترحها.

وبعد الرحلة الطويلة نسبياً "لأمان الله" إلى أوروبا شكل مجلس الأعيان القبلي في ١٣٠٧ هـ. ش / ١٩٢٨م؛ كي يعرض "أمان الله" تقرير سفره إلى أوروبا ضمن فعاليات المجلس، ويقر القانون الأساسي للدولة، وفي هذه الجلسة حث على رفع الحجاب وظهرت زوجة الملك وقد رفعت النقاب عن وجهها.

* وفي عام ١٣٠٩ هـ. ش / ١٩٣٠م شُكِّل "مجلس الأعيان القبلي" مرة أخرى، وأقر فيه الدستور الأساسي للدولة، وظل هذا القانون ساريا حتى سنة ١٣٤٣ هـ. ش / ١٩٦٤م، وأقر في هذا العام قانون أساسي جديد.

* ووفقا لرأي مجلس الأعيان القبلي في سنة ١٣٢٠ هـ. ش / ١٩٤١م أعلن عدم انحياز أفغانستان في الحرب العالمية الثانية.

* وشكل مجلس الأعيان القبلي "البرلمان" في سنة ١٣٤٣ هـ. ش / ١٩٦٤م كي يقر الدستور الأساسي الجديد، والذي كان مبنياً على الإصلاحات، وافتتح هذا المجلس في

كابل ببيان "ظاهر شاه"، وأقرت فيه القوانين الأساسية الجديدة، وهذا القانون قد أُبطل العمل به بعد انقلاب "داود خان" في سنة ١٣٥٢هـ. ش/١٩٧٣م.

* وفي سنة ١٣٥٥هـ. ش/١٩٧٦م سُكِّلَ مجلس آخر كي يقر الدستور الأساسي المقترح من قبل داود خان بعد الانقلاب.

* وفي سنة ١٣٥٩هـ. ش/١٩٨٠م سُكِّلَ مجلس الأعيان القبلي لإقرار الدستور الأساسي الجديد، وهذا البرلمان كان في عهد الحكومة الشيوعية الأفغانية، وفي زمانها سُكِّلت مجالس الأعيان القبلية بكثرة في سنوات ١٣٦٠هـ. ش/١٩٨١م و ١٣٦٤هـ. ش/١٩٨٥م و ١٣٦٥هـ. ش/١٩٨٦م و ١٣٦٦هـ. ش/١٩٨٧م و ١٣٦٧هـ. ش/١٩٨٨م. وعادة ما كان يُشكَّل مجلس في كل عام كي يعقَّب على أهداف النظام، فمثلا مجلس ١٣٦٢ هـ. ش/١٩٨٤م كان قد أُعدَّ لإقرار مشروعية النظام، ومجلس ١٣٦٧هـ. ش كان قد أُعدَّ لإقرار الدستور الأساسي الحديث لأفغانستان في سنة ١٣٦٦هـ. ش.

المشكلات الاجتماعية والثقافية

أفغانستان موطن لشعب قومي، فالعادات والأعراف هي الحاكم النافذ فيه، والنظام القبلي هو الحاكم في المجتمع الأفغاني، ولهذا النظام بعض المزايا لكن أضراره أكثر.

أ - المزايا: الشيء الذي يمكن ذكره على سبيل المزايا أنه على طول التاريخ الماضي لم يوفق الحكام والحكومات الأجنبية توفيقا كاملا في بسط نفوذهما وسيادتهما على جميع أفغانستان أو السيطرة عليها إلا قليلا، وقد أشار "جان كريفيتس" في كتابه إلى أن كل مهاجم أغار على أفغانستان ووجه بالهزيمة والقتل، ولو حالفه التوفيق فلا يصبح بمقدوره المحافظة عليها، فمثلاً "الإسكندر الأكبر" على الرغم من أنه وفق في فتح هذه البلاد في سنة ٣٣١ قبل الميلاد، فإنه لم يستطع أن يسيطر على أهلها على الإطلاق، وطوى خلفاؤه الطريق سريعا بعده، واستطاعوا فقط أن يتحكموا في جزء بسيط من أفغانستان لبضعة عقود.

كان "ظهير الدين محمد بن بابر" مؤسس الإمبراطورية الهندية (عصر التيموريين أو البابريين في الهند) أول من وصل إلى الحكومة في أفغانستان، ثم أغار على الهند بعد ذلك بفترة وكون إمبراطوريته في شمال الهند، وأحد أسباب خروج "بابر" من أفغانستان وتكوين إمبراطورية في الهند أنه لم يكن في مقدوره أن يخضع القبائل الأفغانية لسلطوته، وحينئذ أدرك أنه من الممكن أن يحتل أفغانستان، ولكن ليس في وسعه أن يتحكم فيها إطلاقاً، ولم يستطع خلفاء "بابر" السبعة عشر أن يهيمنوا على أفغانستان كلها، حتى بعد انتصار المغول على أفغانستان كانت هناك عدة تأثيرات وكان تأثيرها مؤقتاً، كما أن الإنجليز أيضاً - مع كامل قواتهم - لم يتمكنوا من إخضاع القبائل الأفغانية إخضاعاً كاملاً وفق إرادتهم لمثل هذه الأسباب، وفي عقد الثمانينيات ظهر هذا الأمر جلياً أيضاً، وهو أن الاتحاد السوفيتي بما له من قدرة وهالة وجيش بهذه العظمة لم يتمكن من أن يخضع أفغانستان لسلطوته.

ب - العيوب: أما عيوب النظام القبلي فكثيرة أيضاً، فالعادات العرفية والقبلية أسيرة للعهود القديمة والراسخة للمجتمع البشري الأفغاني. كما أن هذا النظام عادة يكون ممزوجاً بالنظام الإقطاعي، وكلاهما يُعَدُّ من مظاهر التخلف، فقد كان قليل من الملاك يسيطر على القسم الأعظم من الأراضي الأفغانية، وكان المزارعون من كل حذب يفتحون أعينهم طمعاً لنوالها، وعلى الرغم من أن "تره كي" و"أمين" قد وزَّعَا جزءاً من الأرض فإنهما كانا يتحكمان في منابع المياه.

وكان النظام القبلي عاملاً أساسياً لمنع التقدم والرقى بالشكل المعهود اليوم، فالمجتمع المتطور أو النامي مجتمع متحد نسبياً إلى حد ما، وحال أفغانستان متفرق ومتشتت، والنظام القبلي فرق الشعب إلى أقوام وفصائل، وأدَّى إلى تنافر وتقاتل بسبب وبدون سبب، وإذا فلم يكن للحكومة القدرة الكافية في أي وقت على السيطرة على أي من أراضي الدولة، وكان نفوذها محدوداً على "كابل"، أما المدن والولايات فكانت تخضع لسلطة الزعماء المحليين ورؤساء القبائل. والحكومات التي كانت توفق هي تلك التي كانت توحد هذه القبائل، فقد حالف التوفيق عدداً قليلاً من هذه الحكومات، ومن

بينها حكومة "أحمد خان إبدالي" الذي شكل إمبراطورية القبائل الصغيرة، وكان توفيقه هذا سبباً في جعل القبائل تغير على الهند، فكانت الفصائل والطوائف تتحد فيما بينها بهدف الحصول على الثروة والغنيمة. وقد تزامن اتحاد القبائل الأفغانية المؤقت في عهد السلطان محمود الغزنوي، ويابر، وأحمد خان إبدالي فقط. والمثير أن هذا الاتحاد المؤقت كان بهدف الهجوم على الهند لكسب الثروة والغنيمة.

والنظام القبلي هو سبب الافتراق والاختلاف، بالإضافة إلى أن الرقابة الحزبية والعنصرية أيضاً مانع من موانع الوحدة والاتحاد، وهذا المعنى كان واضحاً حتى في صفوف المجاهدين، فعلى الرغم من أن الغزو الخارجي كان عاملاً من عوامل الوحدة والاتحاد، فإن المجاهدين كانوا يقاتلون متفرقين وفي صورة جماعات في حالة القتال مع الغزو الخارجي، وبعد خروج العدو الأجنبي كانت المعارك الفصائلية والمواجهات القبلية تتزايد بشدة.

المجتمع القومي والقبلي الأفغاني مجتمع الحكم الديكتاتوري، ولذلك فإن روح التمرد أو طلب الاستقلال كانت واحدة من أكبر الظواهر البارزة والراسخة في تاريخ الأرض الأفغانية، والتمرد والتعصبات الشديدة من خواص المجتمع القبلي والعرقى، ولهذا فإن روح التطرف والتعصب في الاستقلال والحرية كانت قد أخذت شكلاً قوياً للدفاع عن جميع أراضي القبيلة وناموسها.

لم تكن القوانين الأساسية والأمنية والنظم العامة كافية وكاملة في أي وقت من الأوقات، لأن توسعة القوانين الأساسية وزيادتها، وتقوية الحكومة وقدرتها كانت تتعارض مع الاستقلال الداخلي للقبائل والفصائل العرقية، فمن جانب كانت الفصائل والقبائل تعمل على نيل حريتها واستقلالها، ومن جانب آخر كانت الحكومات تسعى إلى تثبيت قدرتها وسيطرتها على المجتمع؛ لهذا كانت القبائل والفصائل في صراع وحروب وخصومة دائمة مع الحكومات، وقد بلغت هذه الخصومات حد النهاية.

بعض من جذور الخصومة

الكثير من جذور هذه الخصومات ناشئ عن الإجراءات الاحتكارية التي كانت تقوم بها الحكومات؛ فالحكومة منذ قيامها في أفغانستان وبداية تشكيل نظامها السياسي في ١٧٤٧م، وحتى اليوم ١٩٩٢ م كانت حكومة قبلية وعنصرية، ولهذا فإن الحكومة لم تكن تستطيع أن تتجاهل مشاعر القبيلة التي ساندتها حتى وصلت إلى سدة الحكم ومطالبها، فعادة ما كانت الحكومات متأثرة بالمطالب والحساسيات العرقية والقبلية، ولهذا فإن حقوق الآخرين كانت معدومة ؛ لأن الحكومة كانت في الغالب تعمل على تقوية مكانة القبيلة التي تقف وراءها وتراعيها فيما يعود بالنفع عليها.

ومنذ عام ١٧٤٧م وحتى نهاية عام ١٩٩١م كان حكم "البشتون" مهيمناً على أفغانستان، وكانت جميع الامتيازات والإمكانات المتاحة في خدمتهم، ولم يكن ممثلاً في الوزارات الأفغانية سوى شخصين من غير البشتون، وكانت تسند إليهما المناصب الجانبية ؛ فمثلاً بعض الوزارات مثل وزارة الدكتور يوسف في عام ١٩٦٣م لم يكن بها وزير من غير البشتون. ووزارة الإعلام كان بها أربعة أشخاص فقط من غير البشتون، وكانت الإمكانيات الأخرى أيضاً تحت تصرف البشتون، فمثلاً كبرى المشروعات الزراعية كانت تتم في المناطق التي يقطنها البشتون، مثلما حدث في خوست، ودره هيرمند، فالدراسات المتعلقة بإنشاء غابة في "على خل"، والاستفادة من إمكانيات الطاقة الهيدروليكية ونظام المياه الارتوازية في "تنكرد"، بل والنهوض بالمشروعات الزراعية في بعض المناطق الشمالية في "كنوز" وعلى طول نهر "جيحون" ما كانت تتم لولا أن قاطنيها كانوا من البشتون.

فكل بشتوني كان يجد نفسه ملكاً واختياره فرضاً، وكان على أفراد القبائل الأخرى أن تقبل بعلوه وتقنّدي به. هذه الإجراءات العنصرية كانت تثير وتحرك الفصائل والقبائل الأخرى، فكانت تبدي مقاومة شرسة دفاعاً عن مطالبها أمام ضغط البشتون، وكانت مقاومة القبائل الأخرى للبشتون تتسم برد الفعل الشديد والعنيف ؛ ولهذا كانت هناك إجراءات شديدة وصارمة تصل إلى سفك الدماء والوحشية، ومن

الجدير بالذكر أنه كانت هناك رقابة صارمة جدا على السلوكيات حتى بين فصائل وقبائل البشتون المختلفة، فكل قبيلة بشتونية كانت تراقب قبيلة بشتونية أخرى.

وعلى الرغم من التغيرات الكثيرة والمتنوعة التي حدثت في المجتمع الأفغانى، فإن التغيرات فى أرض هذه الدولة وشعبها محدودة ، فالمجتمع الأفغانى مجتمع متفرق وتوحيده تحت مظلة حكومة واحدة أمر صعب جدا ؛ ولهذا فالحكومة التى تكون موضع قبول من جميع الفصائل هى حكومة نادرة الوجود.

ويرى أحد المحللين الغربيين أن أفغانستان بلد يحكم بالسيف فقط، ولا يخضع لسيطرة القلم والقانون مثلما هو الحال فى ظل مجتمع متحضر، لأن التقدم والتحضر والتطور يأتى فى ظل حكومة القلم والدستور والنظام الديمقراطي، لا فى ظل السيف. لكن أفغانستان ما زالت تحكم بالسيف، ففى القرى أيضا لا يزال الحكم للخان، وهو لا يعرف القلم ولا القانون، وتأتى الجنود الأخرى للمشكلات الأفغانية على النحو التالى :

(١) سوء الجغرافيا الطبيعية، فأكثر من نصف أرض أفغانستان مغطى بالجبال والمرتفعات والصحارى، وإمكانيات المرور فيها ضعيفة، والطرق سيئة جدا، والاتصالات قليلة والشعب يعيش بعيدا عن بعضه البعض.

(٢) سوء الموارد الاقتصادية وضعف الدخل.

(٣) انخفاض مستوى التعليم والثقافة العامة، وهذا راجع إلى العاملين السابقين.

(٤) قلة الطرق المعبدة فى أفغانستان هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى وسائل النقل محدودة. وهاتان المشكلتان كان لهما نتائج غير طيبة نجل بعضا منها فيما يلى:

عزوف الأجانب الذين يسافرون إلى أفغانستان أو يعملون فيها عن التنقل بين أرجائها، وترتب على ذلك أن أصبحت التعاملات المختلفة - وخاصة الثقافية - محدودة جدا.

كما كان السفر إلى الأماكن الأفغانية المختلفة يعد مشكلة أيضا بالنسبة للأفغان؛ فعلاوة على مشكلة الطرق ووسائل النقل كانت هناك مشكلة أخرى بالنسبة للأماكن تتمثل في عدم وجود المساعدات الاقتصادية والاجتماعية وقلة الدخل في هذه البلاد، كل هذا كان مانعا من أن يتجول الأفغان في بلادهم، أو أن يسافروا إلى العالم الخارجى، ويستفيدوا من تجارب الدول المختلفة وتقدمها وتطورها .

والخلاصة أنه قد بقى الأفغان جاهلين بتجارب البلدان الأخرى وتقدمها ونموها، والإنسان أو المجتمع الذى يكون جاهلا بتاريخ العالم وتطوره يعتقد أن ما تحت يديه هو أفضل شىء، وهذا لا يؤدي إلى حدوث تطور ونمو بالشكل المطلوب.

كما أن سفر الأفغانى داخل بلاده كان يواجه مشكلة أخرى هي ذلك النظام القومى والقبلى ؛ فهذا النظام جعل المجتمع الأفغانى مجتمعا مغلقا ؛ لأن الحساسية القبلية ترفض أفراد القبائل الأخرى.

ومن حين لآخر كانت الحكومات الأفغانية تسعى للقضاء على النظام القومى والقبلى لكن لم يحالفها التوفيق، حيث إن محو هذين النظامين يتطلب رفع مستوى التعليم والثقافة العامة، ورفعهما لا يتم إلا بتوسعة الحياة الاقتصادية والاجتماعية واستقرار النظام الديموقراطى، وقد سعى كل من "عبد الرحمن خان"، و"أمان الله خان"، و"داود خان"، و"تره كى" لى يمحوا النظام الاجتماعى العرقى والقبلى، ولكنهم لم يوفقوا، لأن خطواتهم لم تكن متلائمة مع الحركات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية خاصة الديمقراطية، ولأنهم كانوا يقعون تحت تأثير العصبية القبلية لقبائل البشتون. وتحسين الأوضاع المالية والاقتصادية والسياسية يلعب دورا مهما فى محو هذا النظام القبلى، ومن ناحية أخرى فطالما كان النظام الاجتماعى قائما على التفكير والحساسية القبلية فإنه من غير الممكن القضاء على النظام الإقطاعى؛ لأن أصحاب الأملاك عموما كانوا زعماء القبائل، ومن الطبيعى أن الزعماء لن يتخلوا عن مصالحهم التى تتحقق فى ظل الإقطاع.

الفصل الخامس

وسائل الإعلام

وكالة الأنباء

تؤدي وسائل الإعلام والاتصال جميعها دورا محدودا في أفغانستان، فوكالة الأنباء الأفغانية منذ أن بدأت نشاطها سنة ١٩٢٩م، كانت تحت إدارة وزارة الثقافة والاتصالات.

الإذاعة والتلفزيون

الإذاعة والتلفزيون لا يهتم بهما كثيرا في "أفغانستان" حتى في "كابل"، وتأثيرهما محدود جدا ولم يَتَبَوَّأَا مكانتهما اللائقة حتى الآن، ونشاط الإذاعة أكثر من التلفزيون، ففي سنة ١٩٧٦م كان عدد الأجهزة الإذاعية المستقبلية ١١٥٠٠٠، لكن عددها الفعلي غير محدد.

وقد بدأ بث الإذاعة منذ ١٣٢٠هـ. ش/١٩٤١م، وكان لفترة وجيزة موجها لكابل، وحتى نهاية سنة ١٣٧٠هـ. ش/١٩٩١م لم تكن برامج الإذاعة تستمر طوال اليوم، وعادة ما كانت تبدأ منذ الصباح حتى ثلث الليل، ولكن بعد تشكيل حكومة المجاهدين وبسبب الصراعات انخفض البث الإذاعي ولم يتجاوز عشر الساعات يوميا. وبرامج الإذاعة كانت تبث باللغات الفارسية (الدرية) والبشتون، وكانت تبث بعض البرامج بوحدة من اللغات التالية أيضا: (التركمانية، البلوج، نورستاني، البشايي)، وتوجد محطات محلية في خمسة عشر إقليمًا، وإضافة إلى بث البرامج العامة كانت البرامج المحلية تبث أيضا لعدة ساعات.

بدأ البث التليفزيونى منذ سنة ١٣٥٧هـ. ش/١٩٧٨م، وقد واجه فى بدايته ثورة الأتوار السبعة فى ٢٧ أبريل، وقبل الاعتداء العسكرى السوفيتى كان يوجد ٣١,٠٠٠ محطة استقبال تليفزيونى، وكانت مدينة كابل أهم ساحة نشطة للتليفزيون، أما سائر المدن فكانت تحصل على البرامج التليفزيونية لكن مع التأخير، وكان تليفزيون كابل - وعن طريق الأقمار الصناعية - يبعث للمدن، أو كانت البرامج تُسجّل وتبث عن طريق أرض - جو لبعض مراكز المحافظات.

كانت ساعات بث البرامج التليفزيونية حتى نهاية عام ١٣٧٠هـ. ش/١٩٩١م محدودة، وبعد تشكيل حكومة المجاهدين وحتى أواسط صيف ١٣٧١هـ. ش كانت ساعات بث البرامج التليفزيونية لا تتجاوز ٥ : ٧ ساعات، وفى العشرين من أمداد ١٣٧١ هـ. ش وعلى أثر الهجوم الصاروخى من قبل "قلب الدين حكمتيار" على كابل أصيبت محطة تليفزيون كابل وتوقفت عن العمل مؤقتا.

وتليفزيون أفغانستان لا يملك أكثر من قناة لبث البرامج، ولكن فى أثناء احتلال الاتحاد السوفيتى لأفغانستان فى أواخر ١٩٩١م كانت هناك قناتان للتليفزيون السوفيتى، كانتا تبثان فى كابل وأجزاء من أفغانستان مباشرة، ولكن انقطع إرسالهما بعد سقوط حكومة نجيب الله فى أوائل ١٣٧١هـ. ش/١٩٩٢م.

ولم تكن مادة البرامج التليفزيونية جيدة، وكانت قبل حكومة المجاهدين تعتمد على الأفلام الهندية كثيرا، كما كان بثها محدودا أو متوقفا، وأكثر البرامج والأفلام التى تحظى بنسبة عالية من المشاهدين فى التليفزيون الأفغانى هى البرامج والأفلام والمسلسلات الإيرانية.

[السينما]

إن السينما فى أفغانستان ضعيفة، فعدد دور السينما فى أفغانستان حوالى ١٤ دار سينما، وقبل تشكيل حكومة المجاهدين الإسلاميين كانت الأفلام التى تعرض فى السينما أفلاما هندية، وفى الوقت الراهن تم وضع قيود على عرض هذه الأفلام، وعلاوة على ذلك أصبحت السينما معطلة أو شبه معطلة منذ صيف سنة ١٩٩٢م.

[الفديو]

تم افتتاح نوادي لعروضه في أفغانستان مثل كثير من الدول، وتمكن عدد من شرائه، لكن غالبية الناس ليست لديهم القدرة على شراء هذا الجهاز.

التليفون

في سنة ١٩٧٦م كان عدد خطوط التليفونات في أفغانستان يبلغ ٢٨,٠٠٠ خط، ثم وصل عدد هذه الخطوط في عام ١٩٧٨م إلى ٢١,٠٠٠ خط، وتستأثر كابل بالنصيب الأعظم من هذه الخطوط، وطبقا لبرنامج الخطة الخمسية (٧٩ - ١٩٨٤م) كان من المقرر أن يصل هذا العدد إلى ٤٠,٠٠٠ خط، ولكن هذا الأمر لم يتحقق. وفي صيف ١٣٧١ هـ . ش/١٩٩٢م أعلنت الحكومة الإسلامية للمجاهدين الأفغان أنه يوجد ٢٨,٠٠٠ خط تليفون في أفغانستان منها ٢٥,٠٠٠ خط في كابل.

وتوجد التليفونات في بعض مراكز المحافظات، وتفتقر أكثر المدن إلى وجود التليفون، ولا توجد بها وسيلة اتصال سريعة مؤثرة.

الصحافة

تأتى الصحافة على النقيض من الإذاعة والتلفزيون والتليفون والسينما، فاستخدامها أوسع وأكثر رواجاً، وظهرت الصحافة (متمثلة في الجرائد - والمجلات - وسائر النشريات المشابهة) بشكل واسع جداً، وذلك بالنظر إلى الإمكانيات الموجودة في أفغانستان، بل وصلت إلى حالة من التطرف، وبعبارة أخرى فإن ضعف الإذاعة والتلفزيون أدى إلى الإفراط في النشريات، وبالطبع فإن إصدار النشريات كان من الأهداف القومية والجهادية لمختلف فصائل المجاهدين. وحتى قبل سنة ١٩٧٩م كانت الصحافة تستخدم في أفغانستان على نطاق محدود، وفي عام ١٩٧٤م كانت الجرائد والمجلات المنشورة توزع ٤٩٩,٠٠٠ نسخة، وفي عام ١٩٧٥م كان توزيع ١٧ إصدار يبلغ ٥٥٤,٠٠٠ نسخة بواقع ٢٧ نسخة لكل ألف مواطن، لكن منذ ١٩٧٨م وما تلاها - خاصة منذ الاعتداء العسكري الروسي في ٢٧ ديسمبر ١٩٧٩م - تغير الحال تماماً،

فمنذ ١٩٨٠م وما تلاها - إضافة إلى الجرائد والنشريات الحكومية - طبعت نشریات أخرى كثيرة من قبل الفصائل المختلفة للمجاهدين، ومنذ أعوام ١٩٧٩ وما تلاها شكلت الفصائل السياسية للمجاهدين تدريجياً. وكان كل منها ينشر ويطلع الجرائد والنشريات بشكل مستقل ومتفاوت وبورى، ولم يكن لإحداها انتشار واسع، ولكن كان عددها كبيراً إلى حد ما، ولا يتسع المقام لذكرها هنا، وقد كان بعضها يصدر بشكل دائم وبعضها الآخر كان يصدر بشكل مؤقت، وكانت إمكانيات النشر محدودة جداً لدرجة أن بعض الإصدارات تصدر مرة واحدة. وسنذكر فيما يلي عدداً من الإصدارات المنشورة من جانب الحكومة وفصائل المجاهدين حتى نهاية سنة ١٩٩١م. وجدير بالذكر أن كثيراً من هذه الإصدارات لم تطبع منذ أوائل سنة ١٣٧١هـ. ش/١٩٩٢م، وكان بعض من هذه الإصدارات يصدر عن حكومة نجيب الله، وتم إيقافها بعد سقوط الحكومة، كما كان عدد آخر يصدر عن فصائل المجاهدين، ولم تكن تصدر في الغالب حتى شهر مهر ١٣٧١هـ. ش/١٩٩٢م، وكثير من نشریات المجاهدين كانت تصدر في باكستان، ولما أصبحت أعمالهم هناك شبه معطلة عادوا إلى أفغانستان. وبناء على هذا فإن الجرائد والنشريات التي سيرد ذكرها هي الرائدة، وهي التي كانت تصدر حتى نهاية عام ١٣٧٠هـ. ش/١٩٩١م.

النشريات الخاصة بفصائل المجاهدين

العدد	اسم الدورية	الحزب أو الفصيلة التابعة له
١	مشعل (بالأوردية)	حزب الجمعية الإسلامية الأفغانية
٢	ميثاق خون	حزب الجمعية الإسلامية الأفغانية
٣	نشرية إرشاد	وزارة الإرشاد في الحكومة الأفغانية المؤقتة في بيشاور
٤	روغتيا	وزارة الإرشاد في الحكومة الأفغانية المؤقتة في بيشاور
٥	خراسان	أفغان شمال كاليفورنيا
٦	الأفغان في صحافة العالم	(مجلة شهرية أفغانية في الصحافة العالمية)
٧	مجلة الشهادة	الحزب الإسلامي لحكميتار

٨	مجلة البدر	الحزب الإسلامي لحكميتار
٩	مجلة الشفق	الحزب الإسلامي لحكميتار
١٠	مجلة الموقف العربي	الحزب الإسلامي لحكميتار
١١	مجلة الهجرة	حزب حكميتار الإسلامي
١٢	مجلة الموقف (بالإنجليزية)	الحزب الإسلامي لحكميتار
١٣	مجلة الجهاد (بالعربية)	حزب حكميتار الإسلامي
١٤	مجلة الأمل ونشرة الأمل	حزب حكميتار الإسلامي
١٥	البنيان المرصوص	حزب الاتحاد الإسلامي (سياف)
١٦	مجلة المجاهدين (باللغة الإنجليزية)	حزب حكميتار الإسلامي
١٧	المجاهدون (بالعربية)	حزب الجمعية الإسلامي
١٨	مجلة الحق بالدم	حزب الاتحاد الإسلامي
١٩	الاتحاد الإسلامي	حزب الاتحاد الإسلامي
٢٠	مجلة رسالة المجاهد	حزب الاتحاد الإسلامي
٢١	جهاد (بالأوردية)	مولوى بلال الدين حقاني
٢٢	مجلة منبع الجهاد	مولوى جلال الدين حقاني
٢٣	مجلة الدعوة	مولوى جميل الرحمان
٢٤	مجلة محاذ	حزب محاذ القومى الأفغانى
٢٥	مجلة أفغانستان (بالإنجليزية)	حزب محاذ القومى الأفغانى
٢٦	مجلة محاذ (بالأوردية)	حزب محاذ القومى الأفغانى
٢٧	مجلة العربى	حزب محاذ القومى الأفغانى
٢٨	مجلة الإنقاذ	منظمة الإنقاذ الوطنى
٢٩	مجلة الإنقاذ (بالإنجليزية)	منظمة الإنقاذ الوطنى

٢٠	مجلة الإنتقاذ (بالعربية)	منظمة الإنتقاذ الوطني
٢١	مجلة البشارة	حزب حركة الثورة الإسلامي الأفغاني
٢٢	مجلة عاشوراء	مجلس الرقباء
٢٣	أفغان الجهاد	حزب الشورى الثقافي
٢٤	الفتوى	علماء الحنفية الأفغان
٢٥	مجلة المجاهد	حزب الجمعية الإسلامي الأفغاني
٢٦	رسالة العروة الوثقى	جمعية العلماء
٢٧	القسط	جماعة محمد أمين فروتن
٢٨	القسط	مجموعة الكتاب المتفرعين عن محمد أمين فروتن
٢٩	رسالة المرأة	حزب الجمعية الإسلامية الأفغانية
٤٠	رسالة الشهيد	الاتحاد الإسلامي للمجاهدين
٤١	النساء المسلمات	الحزب الإسلامي لحكمتيار
٤٢	رسالة الحق	اللجنة الثقافية لاتحاد المجاهدين
٤٣	البصيرة	حزب عبد الأحد مشرفي
٤٤	الجهاد المبين	الاتحاد الإسلامي لأفغانستان الحرة
٤٥	شهادة الشباب	الحزب الإسلامي - حكمتيار
٤٦	صورة الشهيد	الحزب الإسلامي - حكمتيار
٤٧	جهايز المتقطر	حزب حركة الثورة الإسلامية الأفغانية
٤٨	أفق	الحزب الإسلامي - حكمتيار
٤٩	النفير العالمي (بالعربية)	حزب الاتحاد الإسلامي للمجاهدين الأفغان
٥٠	فداء الحق	حزب الحركة الإسلامية الأفغانية
٥١	الوحدة الإسلامية	حزب الاتحاد الإسلامي
٥٢	البصيرة	حركة الثورة الإسلامية الأفغانية (مجموعة مولوي موزان)
٥٣	الرسالة الإسلامية	المجموعة الإسلامية الحرة

٥٤	مثل المجاهد	حزب حركة الثورة الإسلامية الأفغانية (مجموعة مولوى موزان)
٥٥	كوثر	مجموعة محمد أمين فروتن
٥٦	كوثر	شورى الكتاب المتفرع من فروتن
٥٧	الشعب الأفغاني	فصلية (مجموعة) الشعب الأفغاني
٥٨	الشباب العربي	فصلية غير محدودة
٥٩	رسالة الجهاد	حزب الحركة الإسلامية الأفغاني
٦٠	المصباح	المجموعة الإسلامية الحرة
٦١	نداء جند الله	حزب الإنقاذ الوطني
٦٢	النور	الحزب الإسلامي - يونس خالص
٦٣	الشباب المسلم	النهضة الإسلامية الأفغاني
٦٤	الصادقون	حزب الإنقاذ الوطني الأفغاني
٦٥	جبهة الحق	حزب الإنقاذ الوطني الأفغاني
٦٦	نشرة الفلق	المجموعة الإسلامية الأفغانية الحرة
٦٧	أربو	وزارة الدفاع للحكومة الأفغانية المؤقتة في بيشاور
٦٨	الشاهد	الحزب الإسلامي حكمتيار
٦٩	صبح الانتصار	وزارة الإرشاد في الحكومة الأفغانية المؤقتة في بيشاور
٧٠	مجلة التنوير	وزارة الإرشاد في الحكومة الأفغانية المؤقتة في بيشاور
٧١	الجريدة الحرة	المجموعة الإسلامية الحرة التابعة لحكمتيار
٧٢	عملى ویتا	الدارسون والشباب
٧٣	الحكومة الإسلامية	مجموعة أحمد شاه
٧٤	المقاومة	الجمعية الديمقراطية (المقر : أمريكا)

٧٥	المؤمنات	اللجنة الإسلامية للأخوات
٧٦	مجاهد ولس	المجموعة الإسلامية الحرة
٧٧	الجهاد	الإمارة العامة لوتر
٧٨	الصبح (بالعربية)	الحزب الإسلامي - حكمتيار
٧٩	الإرشاد	جمعية العلماء (عن حركة الثورة الإسلامية الأفغانية)
٨٠	حقيقة الإسلام	جمعية الطلاب (عن حركة الثورة الإسلامية الأفغانية)
٨١	الاستقلال	جبهة اتحاد طلاب (الثورة الإسلامية الأفغانية)
٨٢	والفجر	وحدة العلماء الأفغان
٨٣	جبهة الجهاد	جبهة الإنقاذ الوطني الأفغاني
٨٤	الخلق	فصيلة غير محدودة
٨٥	الرسالة العربية الشهرية (نصرة)	حركة الثورة الإسلامية الأفغانية مجموعة مولوى مؤنن
٨٦	التجلى الوحدة	رسالة إخبارية لحزب الوحدة الإسلامي الأفغاني
٨٧	بيك (المبعوث)	حزب الوحدة الإسلامي الأفغاني
٨٨	بولتن خبري	حزب الوحدة الإسلامي الأفغاني
٨٩	الرسالة الأسبوعية (الوحدة)	حزب الوحدة الإسلامية الأفغاني
٩٠	الدارس	حزب الجمعية الإسلامية الأفغانية
٩١	البشارة	نشرة إخبارية لحزب الوحدة الإسلامية الأفغاني
٩٢	مجلة رسالة بلغ	حزب الجمعية الإسلامية الأفغاني
٩٣	لواء الحق	حزب الجمعية الإسلامية الأفغاني
٩٤	توحيد الهدف	حزب الجمعية الإسلامية الأفغاني
٩٥	مجلة الفتح	حزب الله الأفغاني
٩٦	حبل الله	حزب الوحدة الإسلامية الأفغاني

٩٧	ميثاق الوحدة	حزب الوحدة الإسلامية الأفغاني
٩٨	رسالة هراة، هراه	حزب محاذ الوطني الأفغاني
٩٩	نورية باللغة العربية	الوحدة الإسلامية للجهاد الإسلامي الأفغاني
١٠٠	الرسالة الأسبوعية (الأخوة)	مجموعة غير محدودة
١٠١	ميثاق الدم	حزب الجمعية الإسلامية الأفغاني
١٠٢	العدالة	لجنة قضاة أفغانستان
١٠٣	الاستقامة	حزب الحركة الإسلامية الأفغاني
١٠٤	أفغان نيوز (بالإنجليزية)	حزب الجمعية الإسلامية الأفغاني
١٠٥	أفغانستان في إذاعات العالم	وزارة الدعوة والإرشاد، الحكومة المؤقتة في بيشاور

النشریات الخاصة بفصائل المجاهدين

١	جريدة هيواد	
٢	جريدة القلم	لجنة الكتاب الأفغان
٣	جريدة الصبح الجديد	
٤	جريدة كابل تايمز (بالإنجليزية)	
٥	جريدة أنيس	
٦	جريدة نظرة قومية	
٧	جريدة اتفاق سلام	
٨	جريدة الرسالة	المجلس المركزي للحزب الوطني
٩	جريدة الوطن	تصدر مرة كل أسبوعين
١٠	جريدة الإرشاد الإسلامي أو الحق	
١١	الرسالة الأسبوعية أنيس	
١٢	الاتحاد الوطني	

١٣	مجلة سباوون	
١٤	مجلة الآداب	
١٥	مجلة الصبح	
١٦	مجلة النور	
١٧	مجلة الضياء	
١٨	جريدة اتحاد	
١٩	جريدة رسالة الحق	
٢٠	جريدة جاوزجات	
٢١	جريدة منگار هور	
٢٢	فصلية عن الصحة العامة الأفغانية	
٢٣	شهرية (العلوم الأكاديمية الأفغانية)	
٢٤	فصلية (إقليم أفغانستان)	
٢٥	مجلة رسالة الحق	
٢٦	فصلية بالإنجليزية (أفغانستان)	
٢٧	شهرية عجلة الحياة الحزبية	
٢٨	فصلية مجلة أريانا	
٢٩	أسبوعية مجلة تنكرهاار	
٣٠	الصوت (تصدر مرة كل أسبوعين)	
٣١	مجلة رعنا (شهرية)	
٣٢	مجلة المعادن والصناعة فصلية	
٣٣	ميرمون (شهرية)	
٣٤	الاقتصاد (أسبوعية)	
٣٥	كرانه (الساحل) (شهرية)	
٣٦	أرفان (شهرية)	
٣٧	كاميكو تراينس (أسبوعية)	

٢٨	الجغرافيا (شهرية)	
٢٩	كابل (شهرية)	
٤٠	گوارش (أسبوعية)	
٤١	(هراة) (شهرية)	
٤٢	هيمند (أسبوعية)	
٤٣	حقيقة الجند (تصدر ثلاث مرات أسبوعيا)	
٤٤	مجلة پیام حق رسالة الحق (أسبوعية)	
٤٥	مجلة زندگی الحياة	
٤٦	مجلة پامير (أسبوعية)	
٤٧	مجلة سيستان (أسبوعية)	
٤٨	مجلة آرود (تصدر ثلاث مرات شهريا)	
٤٩	سراميشت (رسالة شهرية)	
٥٠	تنظيم الأسرة (رسالة شهرية)	
٥١	هيواد (رسالة شهرية)	
٥٢	التعليم والتربية (رسالة شهرية)	
٥٣	الليل (أسبوعية)	

مؤسسات النشر

وخلافا للمطبوعات التي كان عددها كبيراً نسبياً وكانت تطبع من حين لآخر دون ضابط ودون تاريخ نشر على الوجه الدقيق، كانت تطبع بعض الكتب بشكل محدودة جداً. كما كان عدد هيئات النشر ومؤسساته قليل أيضاً إضافة إلى ضعف إمكانياتها. وهذه المؤسسات على النحو التالي :

١	مؤسسة نشر الكتاب
٢	النشر التطبيقي
٣	مؤسسات النشر الحكومية
٤	مؤسسة النشر الأفغانية
٥	كتاب الأفغان
٦	لجنة تاريخ أفغانستان
٧	المؤسسة الجغرافية
٨	أكادمي يشتو
٩	المطبوعات الجامعية في كابل

رقابة الحكومة على وسائل الإعلام

وفي عقد الثمانينيات وأوائل التسعينيات انقسمت الجرائد والمجلات الأفغانية إلى قسمين ؛ فمنها ما كان تابعاً لفصائل المجاهدين، ومنها ما كان تابعاً للأنظمة الحاكمة في كابل. والنشريات المتعلقة بفصائل المجاهدين كانت تعكس الأفكار وأيديولوجية الصراعات السياسية والعسكرية والمذهبية والجهادية لكل فصيلة من الفصائل، أما الإصدارات المتعلقة بالحكومة فكانت تعكس الأفكار ووجهة النظر السياسية للحكومة. وكانت للحكومة هيمنة واسعة على كل وسائل الإعلام والاتصال العامة، فكانت عادة لا تنتشر الأفكار ولا السياسات المناهضة للحكومة. وفي جميع العقود السالفة كانت الصحافة الأفغانية تعكس سياسات الحكومة ولا تُقدِّم على سلوك يخالفها.

الفصل السادس

الأوضاع الاقتصادية

تناقصت الأنشطة الاقتصادية الأفغانية(*) منذ احتلال الاتحاد السوفيتي السابق لأفغانستان في أواخر عام ١٩٧٩م، واندلاع الحرب والصراعات الداخلية الطاحنة بشكل لافت للانتباه. كما أن الاقتصاد الأفغاني كان قبل عام ١٩٧٩م اقتصاداً ضعيفاً وفقيراً؛ حيث كانت أفغانستان تقف في مصاف الدول الفقيرة، وهي واحدة من أفقر دول العالم؛ فالأفغان أنفسهم يعتقدون أنهم يأتون في أدنى مستويات الفقر. حيث أحدثت الحرب الداخلية في أفغانستان صدمة كبيرة لا يمكن رآه في النواحي الاقتصادية، والثقافية، والسياسية. ولا يمكن كذلك ترميمه على المدى القصير أو المتوسط.

منذ عام ١٩٤٦م وما بعدها بدأ الاقتصاد الأفغاني طريقه بشكل منهجي مدروس، حيث تم تنفيذ أول برنامج للتنمية الاقتصادية في عام ١٩٤٦م، ولكنه فشل بسبب التناقص الملحوظ في المصادر المالية.

(*) وقدما كانت أفغانستان وعاصمتها كابل سوقاً تجارياً رائجا في المشرق ، وحافلة بكل ألوان السلع الصينية والهندية والخراسانية، وتنتقل منها تلك السلع إلى الأسواق الخارجية. وكان هذا سبباً في رواج العلاقات التجارية بين أفغانستان - ممثلة في كابل - والمدن المجاورة لها، فنجد أنها تبادلت السلع التجارية مع لوكر وكرديز في الجنوب ومع غزنة وقندهار غرباً، وكانت القوافل التجارية هي وسيلة نقل السلع، وتمر عبر طريق خيبر بين كابل وبيشاور ، أو عن طريق دكة بين جلال آباد والهند ، وآخر عن طريق خوجك بين بلوخستان والهند جنوباً. وكانت صابراتها إلى الهند عبارة عن الفواكه المجففة والطازجة ، لاسيما العنب الأفغاني متعدد الأنواع ، والسمن والحريير الكابلي والفرو والبسط والصوف واللوز والجوز لفسق والتفاح والرمان ، وتستورد منها المسلمين والعاج والخيزران وخشب الصندل والخيوط والحبال. وكانت هذه التجارة سبباً في نشر الإسلام في الهند والصين . انظر: لسترانج، بلدان الخلافة الشرقية ، ص ٢٨٨ . واليعقوبي، البلدان، ص ٢٨٥ . ودائرة معارف أريانا، ص ١٢٠ . وابن حوقل ، صورة الأرض ، ٢٧٥ . (المترجم)

وتم تدوين البرنامج الثانى للتنمية الاقتصادية فى عام ١٩٥٢م، وباء بالفشل هو الآخر للسبب نفسه، وهو النقص فى المصادر المالية.

وتم تنفيذ أول خطة خمسية (١٩٥٧م - ١٩٦٢م) بمعونات مالية سوفيتية. انحصر تنفيذها فى المجالات الصناعية، والاقتصادية، والطاقة، والمعادن.

كما تم تنفيذ الخطة الخمسية الثانية فى مارس ١٩٦٢م، واستمرت حتى عام ١٩٦٧م، والتي كان الهدف منها هو تطوير القطاع الحكومى ثم القطاع الخاص. وتكلف تنفيذ هذه الخطة ٢٥ مليار أفغانى (*).

وتكلف تنفيذ الخطة الخمسية الثالثة من ١٩٦٧م حتى ١٩٧٢م ٢٣ مليار أفغانى.

وتم تنفيذ الخطة الخمسية الرابعة، والتي بدأت عام ١٩٧٢م، واستمرت حتى عام ١٩٧٧م، وفيها تم توفير سلع مصرفية وخدمية كثيرة. فقد أخذ داود خان فى اعتباره خطة تستغرق سبع سنوات فى تنفيذها، إلا أن انقلاب الشيوعيين عام ١٩٧٩م أوقفها، وفى عام ١٩٧٩م أعدت الحكومة القبلية لأفغانستان خطة خمسية أخرى كانت فى الواقع الخطة الخمسية الخامسة للتنمية الاقتصادية، ولكنها كانت الخطة الأولى للحكومات الشيوعية فى أفغانستان. وقد تكلفت هذه الخطة ١٠٥.٠٠٠ مليون أفغانى. وتم تخصيص ٥٠ بالمائة منها لقطاع تطوير الصناعة، و٢٥ بالمائة للقطاع الزراعى، وما تبقى خُصصَ لسد الحاجات الخدمية. وكان من المقرر أن يوفر ثلث ميزانية هذه الخطة كل من روسيا فى المقام الأول، ثم الكتلة الشرقية بعد ذلك. إلا أن هذه الخطة لم يحالفها النجاح فى المرحلة التنفيذية.

وفى مارس عام ١٩٨٢م أعد حزب الشعب الديموقراطى الأفغانى (عصر بىرك كارمل) خطة تنمية اقتصادية أخرى، وكانت هذه الخطة قد أعدها سلطان على كشتمند

(*) يطلق على وحدة العملة المستخدمة فى أفغانستان اسم "أفغانى". (المترجم)

رئيس الوزراء آنذاك، وكان الهدف منها هو تحقيق زيادة تصل إلى ٦,٣ بالمائة من النمو في المنتجات المختلفة، وكانت تركز على المعونات السوفيتية في تقديم ٦٣ مشروعاً جديداً. وفي أغسطس من نفس السنة تبين جلياً أن هذه الخطة لن يمكن تنفيذها، أو حتى التوقف عنها. في أعوام ١٩٨٤م، و ١٩٨٥م، و ١٩٨٦م وضعت في الحسبان خطط وبرامج كثيرة، وكلها إما أنها لم تنفذ أصلاً، أو أنها كانت غير مكتملة التنفيذ، ولم تسفر جميعها عن نتيجة ما. كذلك لم تحقق أغلب الخطط والمشروعات الخاصة بالتنمية الاقتصادية بأفغانستان أي فائدة، وظلت فقط في دائرة الكلام والورق، وفشلت معظم الخطط ولم تحقق نتيجة. إلا أن هذه الخطط والبرامج - في معظمها - كانت شعارات لأهداف اقتصادية عميقة. وكان البنك الأفغاني للتنمية الاقتصادية قد تأسس في عام ١٩٧٣م من أجل توفير الأموال اللازمة للبرامج الصناعية وغيرها، لكنه لم يحقق فائدة كبيرة؛ ففي يناير عام ١٩٨٦م أعلن عن خطة خمسية للتنمية الاقتصادية والاجتماعية تبدأ من مارس ١٩٨٦م، وتنتهي في مارس ١٩٩١م. وقدرت ميزانية هذه الخطة بـ ١١٥٠٠ مليون أفغاني (حوالي ٢ مليار وثلاثمائة مليون دولار). وقد أدت هذه الخطة إلى زيادة كبيرة في المنتجات الصناعية والمعدنية إلا أنها - ومع كبر حجمها - فشلت هي الأخرى.

المعادن(*) :

تعد أفغانستان واحدة من الدول الغنية بالمصادر المعدنية، لكن أغلب هذه المصادر المعدنية لا تزال بكرة لم تستغل بعد، أو أنها لا زالت مجهولة. وغير معروف على وجه

(*) منذ العهد السالفة وحتى اليوم والمصادر تخبرنا بأن أفغانستان بلد غني بالثروات التعدينية ، فالحديد توجد مناجمه في جبال الهندكوش وسليمان ، والنحاس يكثر بمنطقة " منار جكري كابل " ، والفضة بينجشير، والرصاص والخارصين بقريند ، وملح الطعام توجد منه كميات كبيرة، حيث إن كابل تعد أقدم أسواق الملح . انظر: ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص ٢٢٨ ، ص ٢٧٨ . ولسترانج ، بلدان الخلافة الشرقية ص ٢٨٩ . والمقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص ٢٢١ . (المترجم)

الدقة ما المصادر الموجودة في أفغانستان، كما أنه ليس هناك ما يثبت بدقة القدر الموجود من احتياطي المعادن. ويقول أغلب المحللين إن الاتحاد السوفيتي السابق لديه معظم المعلومات المتعلقة بالمصادر المعدنية لأفغانستان، وذلك لأنه منذ عقد الخمسينيات - وخاصة منذ عامي ١٩٧٨م، و ١٩٧٩م وما بعدهما - قام الروس بإجراء كثير من الأبحاث، وحضر إلى أفغانستان أكثر من مائتي جيولوجي محنك من روسيا لاستكشاف مصادرها المعدنية. وكان مسموحاً لهؤلاء الجيولوجيين - مثل الجنود الروس - السفر إلى أي مكان يريدون لإتمام أبحاثهم.

وهناك حدس بأن المصادر المعدنية الأفغانية كثيرة للغاية. ويعد ذلك أحد الأسباب التي أغرت الروس بالتعدى على أفغانستان؛ حيث كان للاتحاد السوفيتي ولع وطمع بالغين بالمصادر المعدنية الأفغانية. وما تم استخراجه منها حتى الآن اختصت روسيا نفسها به. كذلك كان الاتحاد السوفيتي يوفر الصناعات والمعدات الخاصة باستخراج هذه المعادن من أفغانستان؛ فقد بلغت تكلفة الصناعات المستخرجة في عام ١٩٧٩م ٤١٥ مليون دولار، حيث وفر الاتحاد السوفيتي الجزء الأعظم منه. وفيما يلي أهم الأرصدة المعدنية المعروفة بأفغانستان:

(الغاز الطبيعي، الفحم الحجري، الحديد، النفط، النحاس، اليورانيوم، الملح، الكروم(*)، النيكل، الذهب، السولفور، الباريت، النحاس الأصفر، القصدير، الفلوفر، الطلق (حجر معدني)، الماغنيسيوم، الميكا، اللازورد، الياقوت، الألومنيوم، الرصاص، حجر القطن (نوع من القطن لا يحترق)، الزئبق، البوكسيد، التنجستين، الليثيوم، المنجنيز، المرمر، الحجر الجيري، حجر الأهك (حجر ضعيف وسريع الكسر) ... إلخ)

وأما ما تم استخراجه من المعادن المذكورة فهو: الغاز الطبيعي، والفحم الحجري، والملح. وقطعاً فإن ما تعتمد الروس استخراجه هو الذهب، والفضة، والكروم، والنحاس،

(*) نوع من أنواع الزيت طيب الرائحة، ومرطب للجلد، ويستخدم في التجميل. (المترجم)

واليورانيوم، وسائر الأحجار الثمينة. إلا أن المعلومات لا تسعفنا عن الكم الذي تم استخراجه، أو معدل الدخل الذي عاد عليهم.

الغاز الطبيعي

يعد الغاز الطبيعي من أهم المصادر المعدنية التي يمكن استخراجها من أفغانستان. فبالفعل هو أهم مخزون للطاقة في الدولة، وحقول الغاز الطبيعي المعروفة موجودة في الغالب في الحدود الشمالية لأفغانستان في مزار الشريف، وأطراف شيرخان وسربل؛ لذلك فإن تصديره عن طريق الحدود الشمالية أوفر في التكلفة. وتقدر نسبة الاحتياطي من الغاز الطبيعي الأفغاني بين ١٠٠ و ١٥٠ مليار متر مكعب. إلا أن بعض المصادر قد قدر نسبة الاحتياطي تقديراً حديسياً بحوالي ٥٠٠ مليار متر مكعب. فقد أكتشفت كمية كبيرة من احتياطي الغاز الطبيعي في عقد الستينيات. وبدأ تصديره بإنشاء خط أنابيب في عام ١٩٦٧م عبر أراضي جمهورية أوزبكستان. و منذ ذلك الوقت، وحتى قبيل سقوط الحكومات الموالية للاتحاد السوفيتي في كابل عام ١٣٧٠هـ. ش يتم استخراج من ٢ إلى ٣ مليارات متر مكعب سنوياً، حيث كان يصدر إلى روسيا ٩٥ بالمائة منه، وفي عام ١٩٨٨م فتح المجال لاستخراج معادن أخرى في محافظات جورجيا، وفاريا، ووصلت القدرة على استخراج الغاز الطبيعي إلى ثلاثة مليارات متر مكعب. كذلك اكتشفت معادن أخرى ستزيد نسبة تصديرها إذا تم استخراجها. وفي عام ١٩٨٤م أعلنت إذاعة كابل أنه قد تم إنتاج ١٤,٥ مليار متر مكعب من الغاز الطبيعي في الفترة الزمنية بين عامي ١٩٧٨ و ١٩٨٤م، وتم تصديرها جميعها للاتحاد السوفيتي. وفي عام ١٩٧٩م تناقص إنتاج الغاز الطبيعي الأفغاني بسبب خروج القوات الروسية من أفغانستان واندلاع الأزمة وظهور ظروف سياسية جديدة. ولكن منذ فبراير عام ١٩٩٠م تهيأ المجال لاستخراج الغاز وتصديره مرة ثانية. وفي مايو عام ١٩٩٠م تم التوقيع على بروتوكول جديد لتصدير الغاز الطبيعي لروسيا، وفي بداية عام ١٣٧١هـ. ش انقطع تصدير الغاز الطبيعي لروسيا مرة أخرى، وكذلك للدول الروسية بسبب سقوط حكومة نجيب الله.

كان إنتاج الغاز الطبيعي على الدوام لصالح روسيا لأسباب، منها:

أولاً: كانت روسيا تخفض من سعره، و تشتريه بأقل من القيمة العالمية له.

ثانياً: لأنها كانت تصدره نيابة عن أفغانستان في مقابل المنتجات النفطية عموماً،

ففي عام ٨٢-١٩٨٣م تم توفير ٢٥٥,٠٠٠ طن من المنتجات النفطية الروسية.

النفط

تم تقدير الاحتياطي من النفط الأفغاني بحوالى ١٠٠ مليون برميل في بداية الأمر، إلا أن الأبحاث التي أجريت بعد ذلك أثبتت مجاوزة هذه النسبة بمراحل. أعد الاتحاد السوفيتي السابق الإعدادات المناسبة لاستخراج النفط الأفغاني، ولكن عملية تصديره لم تتم. وتم الإعداد لإنشاء معمل تصفية بطاقة ٥٠,٠٠٠ برميل في شمال أفغانستان، ولم يتم تنفيذه هو الآخر.

الفحم الحجري

الفحم الحجري في أفغانستان موجود وبجودة عالية. ويقدر الاحتياطي الذي تم رصده بحوالى ١٠٠ مليون طن، وهو في الحقيقة أكثر من هذا الكم، ويصل الاحتياطي النهائي له إلى ٤٠٠ مليون طن، ويقال إنه أكثر من هذا المقدار، وقد تناقص إنتاج الفحم الحجري في مراكز تعدين كركرو Karkar وديكش Dodkas من ١٩٠,٠٠٠ طن في عام ٧٨-١٩٧٩م إلى ١١٥,٠٠٠ طن في عام ١٩٨٠م، وكان موضوعاً في الاعتبار أن نسبة إنتاج الفحم الحجري لعام ٨١-١٩٨٢م تصل إلى حوالى ٢٠٠,٠٠٠ طن، ولكن ذلك لم يتم.

وطبقاً لما ذكرته إذاعة كابل فقد تم استخراج ٨٠٠,٠٠٠ طن من الفحم الحجري في الفترة من ١٩٧٨م، حتى عام ١٩٨٤م.

معدل إنتاج الفحم الحجري (بالآلف طن)

١٩٨٩-٨٨	١٩٨٨-٨٧م	١٩٨٧-١٩٨٦	١٩٨٥-١٩٨٤
١٣٨	١٦٧	١٦٠	١٤٨

وكان القسم الأعظم من الفحم الحجري المنتج في مزار الشريف قد استهلك في محطة الكهرباء بينما تم تصدير غاز المنطقة نفسها لسد احتياجات الصناعة التقليدية بالاتحاد السوفيتي.

الملح

الملح هو أحد المعادن المستخرجة في أفغانستان، ويصل معدل استخراجه إلى النسب التالية:

معدل إنتاج الملح (بالآلف طن)

١٩٨٩-٨٨	١٩٨٨-٨٧	١٩٨٧-٨٦	١٩٨٥-٨٤	١٩٨١	١٩٧٩-٧٨
٣٨	١٥	٣٧	٥٣	٣٠,٨	٨١,١

الحديد

الحديد هو أهم ثروة معدنية فى أفغانستان بعد الغاز الطبيعى، والثروات الحديدية كثيرة. ولكن لا يوجد تقدير دقيق لها، ومن أهم حقول التعدين المكتشفة من الحديد: حقل تعدين حاجى جك Hajigak، الذى قدر الخبراء الأفغان احتياطيه بمليارى طن أو أكثر، ويعتبرون نسبة ٦٢ بالمائة منه نسبة صافية، ويذهب بعض منهم إلى أبعد من هذا، وهو أن هناك احتياطيا عظيما من الجير الذى من الممكن استخدامه فى إذابة الحديد، وأن نسبة هذا المعدن مرتفعة، وللآن لم يتم استغلالها.

النحاس

هناك ثروات نحاسية عظيمة موجودة فى أفغانستان، ولكنها لم تستخدم بالشكل الاقتصادى الأمثل، وأفضل معادن النحاس معدن الأينك Ainak، وقد تم اكتشاف قدر كبير منه. وهذا المعدن يعد أفضل المعادن النحاسية فى العالم، ويصل الاحتياطى منه من ٤ إلى ٥ مليون طن، ونسبة نقاء هذا المعدن مرتفعة جداً، وكان من الصعب استغلاله رغم ما يقال من أن الاتحاد السوفيتى السابق كان يستغله.

وأفغانستان غنية بسائر المعادن كما سبق، فبالقرب من ننجرهار(*) توجد كمية كبيرة من احتياطى السولفور. وتم اكتشاف ثروات اليورانيوم فى الصحارى الجنوبية الغربية بأفغانستان فى المناطق البلوجية وفى جبل ميرداود بين هراة وسيندند، وكذلك فى منطقة قندهار يوجد اليورانيوم، وقد كان الروس يستغلونه. واشتهر ياقوت بدخشان، وقد أخذ الروس من الحكومات الأفغانية وعوداً بالمساعدة فى استخراجها.

(*) الرسم الفارسى لهذا الاسم هو تنكر هار، حيث ينطق صوت ال(ك) فى الفارسية، كما ينطق صوت الجيم فى اللهجة القاهرية المصرية. (المترجم)

الزراعة(*)

تشكل المنطقة الجبلية أكثر من ٨٠ بالمائة من الأرض الأفغانية وحوالي ١٥ بالمائة من أراضيها صالحة للزراعة، وحوالي نصف هذه النسبة فقط مزروعة بالفعل، ومع هذا فإن أفغانستان دولة زراعية، ويعمل أربعة أخماس سكانها (أي ٨٠ بالمائة من التعداد السكاني) بالزراعة والرعي والصناعات الريفية (مثل الغزل). وفي الوقت الحاضر فإن ثلثي الأراضي الموجودة تخضع للزراعة الموسمية ، والقسم الأعظم من أفغانستان أراض جيدة، ولكن لا توجد مياه، وفي كثير من المناطق الموجود بها مياه لا توجد بها الأراضي الجيدة. لذلك فإن إحدى المشاكل الطبيعية بأفغانستان هي عدم التناسب بين الأرض والماء، وكانت الحكومات الأفغانية منذ عام ١٩٥٠م مهتمة بالقضاء على هذه المشكلة، وتم إنشاء أنظمة الري لهذا الهدف، حتى إن أنظمة الري كانت (حتى نهاية عقد التسعينيات) تغطي ثلاثة أرباع الأراضي الأفغانية، وهو ما يعادل ٤ ملايين هكتار من الأراضي، وكانت وديان هيرمند، وقندهار، ومزار الشريف، وقندوز تتمتع بمقومات أفضل للتنمية الزراعية.

(*) تشكل الزراعة الركن الأساسي للاقتصاد الحالي لأفغانستان ؛ فوفقا للإحصائية الرسمية لعام ١٩٦٢م تبلغ المساحة القابلة للزراعة أربعة عشر مليون هكتار تقريبا، والمساحة المزروعة حاليا سبعة ملايين فدان خمسة منها تزرع على الري الدائم واثنين منها على الآبار . ويعتمد في تسميدها على فضلات الحيوان أو الإنسان، ولا وجود قط للتسميد الكيميائي . وتعد الأراضي الخاضعة للحكومة قليلة جدا، كما أن أراضي الوقف الزراعية أقل وتعطى للمزارعين على سبيل الإيجار ، وتنتج مناطق غرب هراة وسيستان والمنطقة السفلى لنهر كابل أهم مناطق الزراعة في البلاد وتشتهر بزراعة القمح ، والذرة الشامية والرفيعة والسمسم والخردل ، والصفصاف والقطن والشعير للجياد، كما يصنع منه الخبز أيضا، كما تشتهر هذه المنطقة بزراعة العرعر وهو شبيه بالصفصاف، ويروى فلاحو هذه الأرض أراضيهم من جدول بهسود وختكوت بالإضافة إلى قنوات الري . انظر: برمسير ، تاريخ أفغانستان ، ص ١٧ . وياقوت ، معجم البلدان. ج ٨ ص ١٠٤ . دехدا ، لغتنامه، ٣٧ ص ١٢٨٨ . والنويري ، نهاية الأرب في فنون الأدب ، ج ١ ، ص ٢٠٤ . (المترجم)

كما أن أفغانستان كانت حتى قبيل التغيرات الماركسية تتمتع بالاكتماء الذاتى من ناحية المواد الغذائية إلى حد ما، ولكن بعد عام ١٩٨٨م، وخاصة بعد التدخل العسكرى للاتحاد السوفيتى، واندلاع الحروب، والصراعات الداخلية الشديدة خرجت معظم الأراضى من نطاق الزراعة، ولم تتم المنتجات الزراعية النمو الكافى. وكذلك فإن الزيادة السكانية قد ألجأت البلاد إلى استيراد المواد الغذائية، وخاصة القمح؛ حيث يعد القمح الغذاء الأساسى للشعب الأفغانى، وكان القمح قبل الحرب يشكل ما يقرب من نصف المحاصيل الإنتاجية بأفغانستان. وقد تسببت الحرب، وأعمال القصف المختلفة للكثير من أنظمة الري التقليدية والآلية فى كثير من الأماكن إلى إضعاف النشاط الزراعى، ومن ناحية أخرى فإن الاتحاد السوفيتى قام بالقضاء على الزراعة، وعلى الإمكانيات الإنتاجية، وذلك لإضعاف قوة المجاهدين المادية والمعنوية. وقد ساعد هذا الإجراء على انتشار الآفات فى المنتجات الزراعية، وأدى إلى تلاشى النشاط الزراعى تماماً من بعض المناطق الأفغانية. وكما قلنا إنه تم القضاء التام على الزراعة فقد تناقص الإنتاج من الفاكهة والخضراوات التى كانت تنتج بوفرة وبمواصفات جيدة فى أفغانستان، وكانت إحدى المنتجات التصديرية بها.

وكان الترياق هو المحصول الوحيد الذى شهد زيادة كبيرة، وعلى الرغم من التناقص، أو عدم النمو الكافى فى المحاصيل طوال فترة الحرب، فإن إنتاج الترياق كان فى نمو وزيادة على طول فترة الحرب، وكان يشكل أحد أهم المحاصيل.

المنتجات الزراعية
(بآلاف الأطنان)

نوع المحصول	١٩٧١-٦٩	١٩٨٢	١٩٨٢	١٩٨٤	١٩٨٥	١٩٨٦	١٩٨٧	١٩٨٨
القمح	٢,١٥	٢,٨٦٢	٢,٩	٢,٨٥	٢,٧٥	٢,٧٥	٢,٨	٢,٩
الذرة	,٧٠٧	,٨	,٨٠٦	,٨	,٨١	,٨١	٨١٥	٨٢٩
الأرز	٣٧٤	٤٧٠	٤٨٠	٤٨٠	٤٨٠	٤٨٠	٤٧٢	٤٩٠
الشعير	٣٦٣	٢٥٠	٢٣٦	٢٣٣	٢٣٠	٢٣٠	٢٣٢	٢٤٥
القطن	٧٥	٤٥٠	٦٦	٦٦	٧٥	٨٤	٧٥	٧٢
الحبوب	٤٧	٢٠	٢٢	٢٨	٢٨	٤٠	٤٠	٤٠
لب عباد الشمس	٢	٥	٥	٥	٥	٥	٥	٥
السمن	٣٣	٢٠	٢٠	٢٠	٢٨	٢٨	٢٨	٢٨
بذرة الكتان	١٧	١٥	١٥	١٥	١٥	١٥	١٥	١٥
بنجر السكر	٦٣	٤٥	٢٠	٢٠	٢٠	٢٠	٢٠	...
قصب السكر	٥٥	٧٢	٧٠	٧٠	٧٠	٧٥	٧٥	...
الخضراوات	٥٧٤	٩٥١	٧٦٦	٧٨٤	٧٨٤	٧٨٢	٧٩٠	٢٧٠
الفاكهة	٧١٠	٨٢٥	٨٢٦	٨٢٧	٨٢٧	٨٤٩	٨٠٦	٧٨١

Source: fao, production yearbook, 1988.

سائر المحاصيل (بآلاف الأطنان)

نوع المحصول	١٩٨٣	١٩٨٤	١٩٨٥
البلح	٣١	٣٤	٣٤
الشمام	١٢٠	١٢٠	١٢٠
العنب	٥١٠	٥١٠	٥١٠
المشمش	٣٦	٣٦	٣٦
البرتقال	٢٤	٢٤	٢٤
البرقوق	٣٦	٣٦	٣٦

والى جانب الزراعة يزدهر نشاط الرعى بنفس الدرجة، وفيما يلي الإحصائيات التي تم رصدها في هذا القطاع عن المنتجات الحيوانية:

عدد الحيوانات الموجودة (بآلاف الرؤوس)

نوع الحيوان	١٩٧١-٦٩	١٩٨١	١٩٨٢	١٩٨٣	١٩٨٤	١٩٨٥	١٩٨٦	١٩٨٧	١٩٨٨
الحصان	٤٠٠	٤١٢	٤٠٥	٤٥٠	٤١٠	٤١٠	٤١٠	٤١٠	٤١٠
البغل	٣٤	٣٠	٣٠	٣٠	٣٠	٣٠	٣٠	٣٠	٣٠
الحمار	١,٢٨٣	١,٣٠٢	١,٣١٥	١,٢٥٠	١,٢٥٠	١,٢٥٠	١,٢٢٥	١,٢٠٠	١,٢٠٠
البقر	٣,٦٦٠	٣,٨٠٠	٣,٧٤٠	٣,٧٥٠	٣,٧٥٠	٣,٧٥٠	٣,٨٢٠	٣,٧٠٠	٣,٦٠٠
الجمال	٢١٤	٢٧٠	٢٦٥	٢٧٠	٢٧٠	٢٧٠	٢٦٥	٢٠٠	٢٦٥
الماعز	٣,١٠٠	٣,٠٠٠	٢,٩٠٠	٣,٠٠٠	٣,٠٠٠	٣,٠٠٠	٢,٩٩٠	٣,٠٠٠	٢,٨٠٠
الدجاج بالمليون	١٤,٣	٢٠,٦	٧,٠	٧,٠	٧,٠	٧,٠	٧,٠	٧,٠	٧,٠
الخراف بالمليون	٢٠	٢٠	٢٠

Source: FAO. Production Yearbook, 1988.

وصل عدد الخراف في عام ١٩٧١-١٩٧٢ حوالي ٢٢ مليون رأس، ويبدو أن الرقم حوالي ٢٢ مليون رأس، من عام ١٩٨٦م إلى عام ١٩٨٩م.

نسبة المنتجات الحيوانية (بالآلاف الأطنان) طبقاً لتقدير هيئة الأمم المتحدة.

نوع المنتج الحيواني	١٩٨٣	١٩٨٤	١٩٨٥
لحم البقر ، والعجالي	٦٨	٦٨	٦٨
لحم الخراف	١٣٣	١٣٣	١٣٣
لحم الماعز	٢٦	٢٦	٢٦
لحم الدجاج	١٣	١٣	١٣
سائر اللحوم	١٢	١٢	١٢
لبن البقر	٦٠٠	٦٠٠	٦٠٠
لبن الخراف	٢٤٥	٢٤٥	٢٤٥
لبن الماعز	٥٥	٥٥	٥٥
الجبن	١٠,٢	١٠,٢	١٠,٢
الزبد ، والزيت	١٢,٦	١٢,٦	١٢,٧
بيض الدجاج	١٤,٢	١٤,٢	١٤,٢
العسل	٣,٠	٣,٠	٣,٠
الصوف الخام ، الدهن	٢٣,٥	٢٣,٥	٢٣,٥
الصوف المنقى	١٣,٥	١٣,٥	١٣,٥
جلد البقر	١١,٢	١١,٢	١١,٢
جلد الخراف	٢٠,٨	٢٠,٨	٢٠,٨
جلد الماعز	٣,٩	٣,٩	٣,٩

Source: FAO. Production Yearbook.

وكان معدل إنتاج لحم الأسماك طبقاً لتقدير (الفاو) FAO حوالى ١٥٠٠ طن من عام ١٩٦٤م، حتى عام ١٩٨٤م.

الغابات(*)

لا تغطي الغابات غير واحد بالمائة من الأراضى الأفغانية فقط؛ حيث إن أفغانستان فقيرة من ناحية المصادر الغابائية رغم الاعتماد على وقود الخشب كمادة أساسية. ولم يستهلك النفط والغاز في أفغانستان، ويستغل الشعب الأفغانى الأخشاب فى توفير احتياجاته من الطاقة، ويستخدم الحديد والألومنيوم فى تشييد المباني الأفغانية بندرة، ولذلك فإن أسقف المنازل والأبواب والمحال والنوافذ عموماً من الأخشاب، ولذلك فإن الأخشاب تستخدم بكثرة رغم إنتاجها القليل. ولم تتخذ إجراءات جادة فى تنمية المصادر الغابائية بينما يتم استغلال المصادر الغابائية الموجودة قدر الإمكان، وقد لحقت خسائر فادحة بهذه المصادر، وفى عام ١٩٦٥م حضر إلى أفغانستان فريق من الخبراء من ألمانيا الشرقية السابقة، ووضعوا خطة لإنشاء منطقة غابائية بالقرب من منطقة على خل ALI KHEL ، حتى يمكن توفير الأعمدة، والألواح الخشبية التى يحتاجون إليها، وكذلك تصدير جزء منها إلى باكستان. إلا أن الخطة المعنية لم يتم توسيعها، وأفغانستان فى مأزق من ناحية إنتاج الخشب ومنتجاته.

(*) من الطبيعى أن يأتى تنوع النبات متواكبا مع المناخ، ولهذا فإن الغابات الظليلة تنتشر على سفوح الجبال فى الشرق والشمال والغرب ، كما أن الغابات الكثيفة تمتد على سفوح جبال سفيد وسليمان فى الشرق ومن أهم أشجاره السنديان ، والزيتون ، والعرعر، والنوم ، والسرو ، والصنوبر ، والبُلوط دائم الخضرة والرمان . وفى الشمال توجد الغابات على سفوح جبال شبردر وبغمان وهندكوش، وأهم الأشجار النبق والراتيج والصنوبر والورد والليلاب والبندق واللوز والزيتون البرى وأشجار الليمون وأزهار السوسن . كما يأتى من غابات المنطقة الغربية القستق والعرعر وأشجار النيلة التى تستخدم فى الصباغة . انظر : دائرة المعارف الإسلامية ، مادة أفغانستان. والنورى ، نهاية الأرب فى فنون الأدب، طبعة القاهرة ١٣٧٤ هـ / ١٩٥٥ م، ج ١٠ ص ١٦٧ . (المترجم)

ونسبة الغابات و الأراضي التي يمكن استغلالها في أفغانستان طبقاً لتقديرات مكتب العمران التابع للأمم المتحدة هي:

نوع الأرض	مساحة الأرض المزروعة	بالنسبة لكل أراضي البلاد
الأرض المزروعة	٢٢٤٠٢ كيلومتر مربع	٥ بالمائة
المراعى	٢٠٠,٠٠٠ كيلومتر مربع	٤٦ بالمائة
الغابات والأراضي الغابية	١٧,٠٠٠ كيلومتر مربع	٢ : ٦ بالمائة
باقي الأرض	٢٠٢,٨٢٢ كيلومتراً مربعاً	٤ : ٤٦ بالمائة

الطاقة

إن إنتاج الطاقة واستهلاكها في أفغانستان محدود للغاية، والمصادر الرئيسية للطاقة عبارة عن: الكهرباء، والغاز الطبيعي، والنفط، والفحم الحجري والأحطاب. ويعد الخشب - بوصفه مصدراً للطاقة - أهم ذلك كله، ويستخدم في الأغراض المختلفة، وخاصة في القرى؛ حيث يعد الخشب أهم مصادر الطاقة الكهربائية. ويتم إنتاج حوالي ٨٠ بالمائة من كهرباء البلاد عن طريق الطاقة الهيدروليكية، وينتج قسم بسيط في مصانع الكهرباء. وكان الروس قد خططوا لإقامة عدة سدود على بحر كندوز في شمال أفغانستان، كانت ستوفر قدراً كبيراً من الاحتياجات الكهربائية في حال إنشائها في أفغانستان، وتصل الطاقة الإنتاجية لهذه السدود إلى الشبكة الجنوبية لكهرباء الاتحاد السوفيتي. وطبقاً لتقديرات الأمم المتحدة فإنه في نهاية عام ١٩٨٢م كانت الطاقة الكهربائية التي يتم إنتاجها ٢٩٤ مليون كيلوات، وفي عام ١٩٧٥م حوالي ٢٢٥ مليون كيلوات، وبناء على هذا كانت الزيادة الإنتاجية من الكهرباء في الفترة بين عامي ٧٨-١٩٧٩م، و ٨٧-١٩٨٨م حوالي أربعة بالمائة، وتناقص هذا المعدل الإنتاجي في عام ٨٨-١٩٨٩م بنسبة ٥,٥ بالمائة بالنسبة للسنوات السابقة، وفي المقابل زادت الواردات

من الكهرباء من الاتحاد السوفيتي. وفي هذا العام نفسه (٨٨-١٩٨٩ م) وصلت النسبة إلى ٤٢ مليون كيلوات، كان يتم استيرادها بصورة حرة. في عام ١٩٨٧ م كانت الطاقة الإنتاجية، والمستهلكة ٤٨٠ مليون كيلوات، وكان نصيب الفرد ١٤٠ كيلوات في الساعة في عام ١٩٨٧ م.

النفط

مع أن هذه المادة لها استخدامات كثيرة فإنها لم تستخدم بالفعل في أفغانستان. ويتم استيراد المنتجات النفطية من الخارج، ولذلك فإن سعرها مرتفع لدرجة تفوق الخيال، وأغلب الشعب لا قدرة له على شرائها واستهلاكها. وحتى عام ١٣٧٠ كان القسم الأعظم من المنتجات النفطية في أفغانستان يتم استيراده من الاتحاد السوفيتي، وبعد سقوط الاتحاد السوفيتي، وكذلك سقوط حكومة نجيب الله في بداية عام ١٣٧١ هـ. ش انقطعت صادرات الوقود هي الأخرى من روسيا، وفي الوقت الحاضر يعد توفير المنتجات النفطية واحداً من أصعب المشاكل أمام الحكومة الأفغانية.

الغاز الطبيعي

إن الغاز الطبيعي الذي يُستهلك في الدول على نطاق كبير لم يجد له في أفغانستان مجالاً للاستهلاك مع أنها غنية به ؛ حيث إنه لا مجال لاستخدامه، وعامة الشعب لا يعرفون عنه شيئاً. إلا أن هناك جزءاً من الغاز الطبيعي المستخرج من أفغانستان يستخدم في المصانع الكهربائية، والبتروكيماوية، ويتم تصدير الباقي لروسيا.

ومن بين مصادر الطاقة النفط والكهرباء، التي يتم استهلاكها في المدن، وخاصة في المدن الكبرى، والفحم الحجري والغاز، واللذان يستخدمان في بعض الصناعات، ويصدر الباقي، فعامة الشعب من كابل وحتى أبعد المناطق يستخدمون الحطب والخشب.

معدل إنتاج واستهلاك الخشب ومخلفات قصب السكر (بالآلف طن)

نوع الوقود	١٩٧٥	١٩٨٤
إنتاج خشب الوقود	١,٣٩١ م	١,٤١٦
محصول مخلفات قصب السكر	٤	١,٤١٦
استهلاك وقود الخشب، ومخلفات قصب السكر	١,٣٩٥	١,٤١٦

Source: UN, Yearbook of world Energy statistics.

معدل إنتاج الطاقة المخطط لها من جانب الحكومات الأفغانية

نوع الطاقة	١٩٧٤-٧٣	١٩٨٣-٨٢	١٩٨٤-٨٣
الكهرباء (مليون كيلووات)	٥٢٥	١,٢٨٨	١,٢٨١
النفط (بالآلف طن)	-	١٦	١٦
الغاز الطبيعي (مليون متر مكعب)	٢,٧٢٥	٣,٠٠	٣,٠٠
الفحم الحجري (بالآلف طن)	١١٢	٤٢٧	٥٢٣

Source: Five year Development Plan (1979-80/1983-84)

هذا البرنامج لم يتم تحقيقه أيضاً

معدل استهلاك الطاقة التجارية الأولية (بالآلف طن)

نوع الوقود	١٩٧٣	١٩٨٣	معدل التغير المئوي
الوقود الجامد	١١٧	١٦٥	٤١,٠
الوقود السائل	٢٢٥	٤٥٨	٢٦,٧
الغاز الطبيعي	١٦٦	٢٣٨	٤٣,٤
الكهرباء	٢٠٧	٣٠٥	٤٧,٣
المجموع الكلي	٨٢٥	١١٦٦	٤١,٣

Source: UN, Yearbook of world energy statistics.

التنمية الصناعية في أفغانستان محدودة جداً، والدولة متخلفة تخلفاً كبيراً في هذه الناحية، وفي حقيقة الأمر لا يوجد شيء مهم يطلق عليه اسم صناعة، والصناعات الموجودة في أغلبها طرز صناعية روسية وأوروبية شرقية قديمة، وهذه الصناعات لا تلبى الاحتياجات الداخلية لأفغانستان بحال من الأحوال، وهي توفر فقط جزءاً من احتياجات المدن، وبالأخص المدن الكبرى. والمجتمع الأفغاني يعيش في أغلبه حياة تقليدية وقديمة، فهو شعب غير مستهلك، والصناعات الموجودة غالباً تنحصر في الصناعات الزراعية المعتادة. وفي العقدين الأخيرين شهدت الصناعات - وخصوصاً الغاز والفحم الحجري - نموا ملحوظاً، وينحصر القسم الأعظم من الوحدات الصناعية في كابل، والولايات الشمالية والشرقية، ويوجد في كابل ثمانون بالمائة من الوحدات الصناعية بالقطاع الخاص.

بدأ النشاط الصناعي بإنشاء مصنع للنسيج في جبل السراج في عام ١٩٢٤م وأتبع هذا المصنع بفرعين آخرين تم افتتاح أحدهما في منطقة بل خمرى(*)، والآخر في منطقة جل بهار(**). كما تم إنشاء فرع آخر في مدينة قندهار.

كذلك تم إنشاء أول مصنع للأسمنت في عام ١٩٥٨م في منطقة جبل السراج، ثم أنشئ مصنع آخر كذلك في بل خمرى. وتشتمل الصناعات الأفغانية على مصانع للزيوت النباتية، وتجفيف المشمش، والسماط الكيماوي، والسكر، والآجر المطبوخ، والورق المقوى، والزبد، ومنتجات اللحوم، وتفصيل الأحذية، والزجاج، والبلاستيك، والصابون المطبوخ، والمنسوجات، والصوف، والقطن، والحرير.

(*) المعنى الحرفي لهذا الاسم الجسر الخمرى «بل خمرى». (المترجم)

(**) المعنى الحرفي لهذا الاسم ورد الربيع «كل بهار». (المترجم)

وتشمل الصناعات اليدوية في أفغانستان صناعة السجاد، والكليم، والحلج، وصناعة الجلود، والأواني الفخارية، والنحت، والحياسة... إلخ. إلا أن عدد الوحدات الصناعية في القطاعات المذكورة محدود، وعادة لا يزيد عن وحدة أو عدة وحدات.

وعلى طول أيام الحرب لم يشهد قطاع الصناعة تطوراً يذكر، فضلاً عن أن عدداً من الوحدات قد تهاك وتعتل عن العمل، فالعمر الافتراضي للمصانع لا يتعدى متوسطه خمس عشرة سنة أو ما يقرب من هذه المدة، وهي الفترة التي استغرقتها صراعات الحرب والأزمة. لذلك فإن بعض الوحدات قد تهاك وتعتل عن العمل، أو في طريقة للتعطل عن العمل، وبعضها قد تأثر بالحروب والقصف، وبصفة عامة فإن الصناعات الموجودة لا هي حققت الأهداف التي تم التخطيط لها من أجل تطويرها، ولا هي عملت بالطاقة الآلية لها حتى ولو اسماً.

الأهداف التي تم التخطيط لها من أجل زيادة الصناعات (بالآلف طن)

نوع المنتج	١٩٨٢-٨٣	١٩٨٤-٨٥
الأسمنت	٣٣٠	٢٥٠
القطن المنقى	٥٩	٥٩
المنسوجات القطنية	١٦٥	٢٠٠
المنسوجات الصوفية	١,١٠٠	
دقيق القمح	١٨١	٢٠٠

الزيوت النباتية	١٦,٧	١٨,٥
السكر	٢٥,٠	٣٠,٠
الصابون	٢,٨	٣,٦

Source: five Year Development plan, (1979-80/ 1983-84)

إلا أن الأهداف التي تم التخطيط لها لزيادة المنتجات الصناعية لم يكتب لها التوفيق، وغالباً ما شهدت القطاعات الصناعية زيادة محدودة.

نسبة إنتاج الصناعات المهمة في أفغانستان (بآلاف الأطنان)

نوع المنتج	١٩٧٩-٧٨	١٩٨٠-٧٩	١٩٨٢-٨١	١٩٨٣-٨٢	١٩٨٤-٨٣	١٩٨٥-٨٤
الأسمنت	١٢٧	٩٩	٧٥	٧٨	١٣١	١١٢
السماط الكيماوي	١.٦	١.٦	١.٨	١.١٣	١.٢٥	١.٢١
الملح المصفى	٨١	٦٨	٣٧
السكر المصفى	١١	٩	٣
دقيق القمح	٩٧	١٢٣	١٢٣	١٢٤	١٣٦	١٥٤
الزيوت النباتية	١٠	٧
المنسوجات القطنية	٧٧	٦٣	٤٣
المنسوجات الحريرية	٢٣	٢١	١٥

المنسوجات الصوفية	٤٠٥	٤٠١	٢٤٥	٢٧٧	٢٨٥	٢٢٠
القطن المنقى	٤٥	٢٩	٢٣
الفواكه المجففة	٣٨	٤٧	٥٧	٤٥	٦٥	٥٢
الزناجيل	٢,٢٤٦	١,٧٠٠	١,٣٩٠	١,٤١٢	١,٨٠٣	١,٥٥٢

Source: five year development plan, (1979-80/1983-84) asian development bank, key indicator of developing member countries.

الأوضاع المالية والاقتصادية

وحدة العملة في أفغانستان هي "الأفغانى"، والقيمة الرسمية لها قد تم معادلتها في عام ١٩٦٣م بما يعادل ٤٥ أفغانى لكل دولار . وقد تعرضت هذه القيمة الرسمية للارتفاع والانخفاض حتى عام ١٩٨١م بين ٥٠ و ٦٠ أفغانى؛ حيث ثبتت على ذلك. ومن المسلم به أن العملة الرسمية هي التي تستخدم في الإنفاق الخاص.

وكانت القيمة الرسمية للعملة الأفغانية في الفترة بين عامى ١٩٨٧م و١٩٩١م هي نفس القيمة بالنسبة للدولار. وقطعاً فإن قيمة العملة (الصعبة) الأجنبية قد تعرضت لزيادة فاحشة في السوق الحرة؛ ففي أوائل شهر تير(*) عام ١٣٧١هـش (الموافق لآخر يونيو عام ١٩٩٢) وصلت قيمة الدولار إلى ما يعادل ٦٥ أفغانى . وفي أواسط نفس الشهر وصلت قيمته إلى ٩٥٠ أفغانى، وكان يباع ويشترى داخل كابل. وفي شهر إسفند ١٣٦٩هـش (فبراير - مارس ١٩٩١م) كان سعر العملات الأجنبية بالشكل التالي:

(*) تبدأ السنة الإيرانية وفقاً للتقويم الهجرى الشمسى فى ٢١ مارس وتبدأ بشهر "فروردين". وتير* هو الشهر الرابع، "إسفند" هو الشهر الثانى عشر. (المترجم)

نوع العملة	١٣٦٩/١٢/٣	١٣٧٠/١٢/٢٢
التومان	٥.٥ أفغانى	٩.٨ أفغانى
الدولار	٨٤٢ أفغانى	١٥١٠ أفغانى
الروبية الهندية	٤١ أفغانى	٤٦ أفغانى
المارك	٥٦٧ أفغانى	٨٩٠ أفغانى
الروبية الباكستانية	٢٥ أفغانى	٥٤ أفغانى

فى شهر تير ١٣٧١ هـ.ش (يونيو - يوليو ١٩٩٢م) كان كل تومان إيرانى يتم مبادلتة بما يتراوح بين ٤ و ٥ أفغانى . وهبط سعر العملة الأفغانية هبوطاً شديداً، حتى إنه كان لا بد من دفع نسبة كبيرة من العملة فى مقابل السلع المعتادة. وفى شهر تير ١٣٧١ هـ.ش (يونيو - يوليو ١٩٩٢) كانت أسعار بعض أنواع السلع كالآتى:

التفاح كل كيلو ٧٠٠ أفغانى، والبرقوق كل كيلو ٦٠٠:٧٠٠ أفغانى، وكل سبعة كيلو بصل ٩٠٠:١٠٠٠ أفغانى، وكل سبعة كيلو بطاطس ٩٠٠:١٢٠٠ أفغانى.

وكان نخل الشعب فى تير ١٣٧١ هـ.ش يتراوح ما بين ١٠٠٠٠، و ٢٠٠٠٠ أفغانى، فكان الدخل قليلاً جداً، والإنفاق مرتفع جداً. وفئات العملة الأجنبية عبارة عن ١٠ أفغانى، و ٢٠ أفغانى، ويستخدم الرمز (لك) (*) بعد كل رقم مالى أكبر من ذلك .

وكل لك يساوى مائة ألف أفغانى؛ حيث يقال لك بدلاً من أن يقال مائة ألف أفغانى.

(*) اسم وحدة عملة هندية تساوى ١٠٠ ألف، وهى مأخوذة من اللغة السنسكريتية. (المترجم)

الإنتاج الوطني غير الخالص :

كان الإنتاج الوطني الأفغاني غير الخالص في عام ١٩٨٥م حوالي ثلاثة مليارات دولار، وفي عام ١٩٨٦م حوالي ٢,٨ مليارات دولار. وهذا الإنتاج يصل نصيب الفرد فيه إلى ٢٧٣ دولار. وقد تم نقل الإحصائيات التالية للعامين ١٩٨٧، و١٩٨٨م.

الإنتاج الوطني غير الخالص (بالمليار)

١٩٨٧	١٩٨,٣١ أفغاني	٣,٩٢ دولار
١٩٨٨	١٨٧,٢٢ أفغاني	٣,٧٠ دولار

نسبة الإنتاج الوطني الخالص (بقيمة عام ١٩٧٩-٧٨م) بالمليار الأفغاني

نوع الإنتاج	١٩٨١-٨٠	١٩٨٢-٨١	١٩٨٣-٨٢	١٩٨٤-٨٣	١٩٨٥-٨٤	١٩٨٦-٨٥
زراعي	٨٣,٦	٨٦,٢	٨٦,٢	٨٨,٥	٨٧,٦	٨٩,٠
صناعي ومعدني	٢٨,٨	٢	٨	٢٢,٥	٢٦,١	٣٦,٩
العمارة	٥,٩	٦,٢	٦,٢	٧,٤	٨,٠	١٠,٢
تجاري	٩,٨	١٠,١	١٠,٥	١١,٢	١٢,١	١٢,٦
نقل ومواصلات	٤,٨	٤,٨	٥,٠	٥,٥	٤,٢	٤,٦
خدمات أخرى	١,٨	٢,٠	١,٩	٢,٢	٢,٢	٢,٣
إنتاج داخلي غير خالص	١٢٤,٧	١٢٧,٦	١٣٨,٨	١٤٧,٣	١٥٠,٢	١٥٥,٦
التغير بالنسبة المئوية	-٣,٧	٢,٢	٠,٩	٦,١	٢,٠	٣,٥

Source: Asian Development Bank, Key indicators of Developing member countries.

دخل الفرد

كان دخل الفرد في عام ١٩٨٠م - طبقاً لما ذكره البنك الدولي - ١٧٠ دولاراً. وقد

زاد هذا الرقم في عام ١٩٨٦م إلى حوالي ٢٢٠ دولاراً.

قيمة النمو الاقتصادي: قيمة النمو الاقتصادي غير محددة على وجه الدقة، والإحصائيات المتعلقة بالنمو الاقتصادي إحصائيات تقوم على الحدس والتخمين مثل سائر الإحصائيات المتعلقة بالنواحي المختلفة بأفغانستان.

كانت قيمة النمو الاقتصادي - كما نُكر - في عام ١٩٨٨م حوالي ٢,٣ بالمائة، وفي عام ١٩٨٩م صفر بالمائة. وبالنسبة لعام ١٩٩٢م إذا لم يكن الاقتصاد قد شهد نمواً سلبياً فإن نسبته كانت صفراً بالمائة.

الميزانية

لم يكن لأفغانستان ميزانية حقيقية، ولم تُعلن أرقامها الصحيحة في الغالب. وطبقاً للتقويم الإحصائي لهيئة الأمم المتحدة فإن أرقام الميزانية منذ عام ١٩٧٨م، وحتى عام ١٩٨١م كانت كالتالي:

نوع الأجر	١٩٧٨-٧٧	١٩٧٩-٧٨	١٩٨٠-٧٩	١٩٨١-٨٠
مجموع الميزانية	٣٠,٦٣٢	٢٣,٩٠٤	٢٧,١١٢	٢٨,٣٦٥
مجموع الدخل	١٥,٣٥٥	١٦,٤٥٥	١٥,٧٨٨	٢٦,٢٢١
عجز الميزانية	١٥,٢٧٧	٧,٤٤٩	١١,٣٢٤	٢,١٤٤

مصادر الدخل في الميزانية (بالمليون أفغانى)

جهة الدخل	١٩٧٨-٧٧	١٩٧٩-٧٨	١٩٨٠-٧٩
الضرائب المباشرة	٢,٤٢٨	٢,٥٢٥	٢,٤٦١
الضرائب غير المباشرة	٦,٨٣٠	٦,٩١٣	٤,٧٩٤
الدخول الخاصة	١,٣١٦	١,١٩٢	١,٤٠٧
دخل الغاز الطبيعي	١,٥١٠	٢,٦٣٧	٣,٨٧٤
دخول باقى الأموال والخدمات	٢,٣٥٧	١,٩٥٤	٢,٤٥٦
باقى الدخول	٤٨٠	١,٢٢٤	٧٩٦
مجموع الدخل	١٤,٩٢١	١٦,٤٥٥	١٧,٧٨٨

معدل الدخل، والإنفاق، وعجز الميزانية (بالمليون أفغانى)

Source: IMF, international Financial statistics.

جهة الإنفاق	١٩٧٨-٧٧	١٩٧٩-٧٨	١٩٨١-٨٠
الإدارات	١,٢٥٥	١,٦٩٠	٢,٢١٨
الدفاع والأمن	٢,٦٥٦	٣,٠٠٧	٦,٢٩٤
الخدمات الاجتماعية	٢,٥٢٨	٣,١٨٦	٣,٢٧٩
الخدمات الاقتصادية	٧٨٠	٩٨٥	١,٠٩٢
مجموع الوزارات	٧,٣١٩	٨,٨٦٨	١٤,٨٨٣
فوائد الديون الخارجية	٢,٠٨٧	٢,٤٩٣	١,٠٢٩

٨٧٠	١,٠٢٤	٢,٥٣٢	إعانات الحكومة
١٦,٧٨٢	١٢,٢٨٥	١١,٩٣٨	مجموع التفاقات المعتادة والعامة
٥,٢٧٤	٦,٨٤٥	٥,٢٠٠	ميزانية التنمية

جهات الإنفاق من الميزانية (بالمليون أفغانى)

Source: Imf, International, financial Statistics.

١٩٨٠-٧٩	١٩٧٩-٧٨	١٩٧٨-٧٧	نوع التجارة
٤٨١,٢	٢٣٦,٧	٢٢٦,٦	بضائع التصدير
-٦٨١,١	-٦٣٨,٦	-٥٢١,٢	بضائع الاستيراد
-١٩٩,٩	-٣٠١,٩	-١٩٤,٦	الموازنة التجارية
٧,٠	٢٨,٠	٢٨,٠	نقل المسافرين
—	-١٧,١	-١٨,٩	الخدمات المتعلقة بخبراء المشروعات
٢٦٤,٥	٢٠٤,٣	١٩٨,١	القروض الرسمية
٥٢,٦	٢١,٥	٢٠,٣	سائر الخدمات
-١٨,٠	-٥٨,٠	-٥٠,٨	فوائد الديون الداخلية
١٧,٥	٢١٢,٠	١٦٣,٤	سائر المعاملات
٦٠,٧	٩٨,٨	١٥٥,٥	تغيير الأرصدة

Source: Imf, International, financial Statistics.

نسبة المدفوعات (بالمليون دولار)

نوع التجارة	١٩٨٣	١٩٨٤	١٩٨٥	١٩٨٦	١٩٨٩	١٩٨٨
بضائع التصدير	٧٢٨,٨	٧٨٧,٧	٦٢٨,٢	٤٩٧,٠	٥٢٨,٧	٤٥٢,٨
بضائع الاستيراد	٨٩٠,٩	١/٢٠٤,٧	٩٢١,٦	١,١٣٨,٨	٩٠٤,٥	٧٣١,٨
الموازنة التجارية*	١٦٢,١	٤١٧,٠	٢٩٣,٤	٦٤١,٨	٣٦٥,٨	٢٧٨,٠
الخدمات المصدرة	٧٧,٤	٥٣,٨	٦٩,٢	٥٢,١	٥٤,٨	٩٢,٩
الخدمات المستوردة	١٧٢,٠	٢١٤,٧	١٦٢,٧	٢١٤,٦	١٦٧,٦	١٢١,٥
التحويلات المالية الخاصة والخاصة	٨,٣	—	—	—	—	—
التحويلات المالية الحكومية الخاصة	١٠٩,٦	١٢٧,٣	١٤٢,٧	٢٦٧,٤	٢١١,٧	٢٤٢,٨
موازنة الحسابات الجارية	١٣٨,٨	٤٥٠,٦	٢٤٣,٢	٥٢٥,٩	١٦٦,٩	٢٦,٢
الاستثمار المباشر	—	—	—	—	—	—
باقي الاستثمارات طويلة المدى	٢٠,٩	١٢٧,٣	١٤٢,٧	٢٦٧,٤	٢١١,٧	٢٤٢,٨
الاستثمارات قصيرة المدى	١٦٣,١	٢٥٦,٢	٢٣,٢	٤٨,٥	١٤٧,٥	٢٦,٥
موازنة مدفوعات رأس المال	١٨٤,٠	٢١٣,٢	١٠٠,٨	٢٠٢,١	٢٣,٩	٤,١
التغيرات والأخطاء	٩٩,٨	٢٠٢,٦	١٦٨,٤	٢١٥,١	٢١١,٦	٤٧,٩
البضائع الخاصة بالمشاركة	٦,٦	١١,٢	٤٠,٥	١٨,٠	١٠,٤	٧,٢
الميزانيات الاستثمارية قابلة الإحصاء	—	—	—	—	—	—
أرصدة المؤسسات الأجنبية	—	—	—	—	—	—
التغير في الأرصدة مؤشر الزيادة	٦١,٢	٥٤,٠	٦٦,٥	٣٦,٧	٢١,٢	١٨,٦

Source: Imf, International, financial Statistics.

نسبة النقدية الدولية (بالمليون دولار في آخر كل عام)

نوع وجهة النقدية	١٩٨٤	١٩٨٥	١٩٨٦	١٩٨٧	١٩٨٨	١٩٨٩
المجموع ما عدا الذهب	٢٢٨,٧١	٢٩٥,٢١	٢٥٨,٥٢	٢٧٩,٦٨	٢٦١,١٢	٢٤٢,٦٩
التقرير الخاص	١٢,٢٣	١٣,٦٤	١٣,٩٩	١٤,٩١	١٢,٨٠	١٠,٦٣
حالة الأرصدة في صندوق النقد الدولي .	٤,٧١	٥,٢٩	٥,٩٢	٦,٨٧	٦,٥٢	٦,٤١
العملات الأجنبية	٢١٠,٧٦	٢٧٦,٢٧	٢٣,٨٦١	٢٥٧,٩٠	٢٤١,٨٠	٢٢٦,٦٥
الذهب	٢٤١,٦٠	٢٣٤,٧٠	٢٩٢,٤٠	٢٤٢,٣٨	٢٠٠,٧٦	٢٨٢,٠٠
المجموع	٤٧٠,٣١	٤٧٠,٩١	٥٥٠,٩٢	٦٢٢,٠٦	٥٦١,٨٨	٥٢٥,٦٩

Source: Imf, International, financial Statistics.

الديون الخارجية

كانت معظم الديون الخارجية المستحقة على أفغانستان لصالح الاتحاد السوفيتي السابق طوال فترة احتلاله لها، ثم بعد ذلك الكتلة الشرقية، وطوال هذه المدة وصلت لأفغانستان معونات قليلة من هذه الدول الغربية. وقُدِّر حجم الديون الأفغانية في عام ١٩٨٦م بأكثر من ٣٠ ملياراً من الدولارات(*) .

The military Balance, 1991- 1992, P.156 (*)

الديون العامة الأجنبية (بالمليون دولار)

مجموع الديون العامة	١٩٧٣	١٩٧٥	١٩٧٦	١٩٧٧	١٩٧٨*
٨٨١,٦	١,٤٨٥,٥	١,٦٣٦٧	١,٨١٤,٧	١,٩١٢,٠	
٦٢٧	٧٧١,٦	٨٢٠,٥	٩٦,٠	١,١٠٤,٦	
٤٧,٨	٣٦,٠	٣٣,١	٣٠,٧	٢٩,١	

Source: World Bank, world Debt tables, 1982-83

وكان عام ١٩٧٨ م هو آخر عام يتم فيه عمل إحصائية عن الديون الخارجية. و منذ عام ١٩٧٨ م حتى عام ١٩٨٢ م لم يعثر على أية إحصائية.

الديون الأجنبية عموماً (بالمليون دولار)

	١٩٨٢	١٩٨٣	١٩٨٤	١٩٨٥	١٩٨٦	١٩٨٧	١٩٨٨
على المدى الطويل	٨٠٠	٨٠٩	٨٦٦	١,١١٧	١,٢٧٠	١,٤٨٢	١,٦١٩
الدول الأعضاء في OECD	١٨٢	١٦٩	١٥٥	١٤٦	١٤٣	١٤٦	١٣٤
عوائد رأس المال	١٥٧	١٤٥	١٣٣	١٤١	١٤٢	١٤٦	١٣٤
الأوراق المالية	٢٤	٢٤	٢٢	—	—	—	—
الرسمية للتصدير	١	—	—	—	—	—	—
البنك	١١٠	١٠٩	١٠٩	١١٩	١٢٩	١٢٩	١٣٧
متعدد الجوانب	٥٠٨	٥٣١	٦٠٢	٨٥٢	٩٩٩	١,١٩٦	١,٣٤٩
الدول غير الأعضاء OECD	٤٠٠	٤٢٥	٥٠٠	٧٥٠	٩٠٠	١,١٠٠	١,٢٥٢
الدول العربية	١٠٨	١٠٦	١٠٢	١٠٢	٩٩	٩٦	٩٦

المدى القصير	١٠	٨	٦	٥	١٨	١٧	٢٠
البنك	١	٨	٦	٥	١٨	١٧	١٩
أموال التصدير	٩	—	—	—	—	—	—
مجموع الديون المعروفة	٨١٠	٨١٨	٨٧٢	١,١٢٢	١,٢٨٩	١,٤٩٩	١,٦٣٩
الامتيازات	٧٧٥	٧٨٥	٨٤٣	١,١١٢	١,٢٦٩	١,٤٨١	١,١٧

Source: OECD, Financing and external Dept of Developing countries.

حجم التضخم: (العمل)

طبقاً للإحصائيات الرسمية فإن حجم التضخم في عام ١٩٨٩م كان حوالى ٧٥,١ بالمائة، وفي عام ١٩٩٠م حوالى ٤٢,٢ بالمائة.

عجز الميزانية

كان العجز في الميزانية في عام ١٩٨٥م يقدر بحوالى ١٤,٥ مليار أفغانى، وهو ما يعادل ٥٦,٢٨٦ مليون دولار.

يشتغل القسم الأعظم من القوة العاملة بأفغانستان في الزراعة، ويأتى بعد الزراعة الصناعة والمعادن، ثم بعد ذلك الأعمال الخدمية وغير الإنتاجية، وهى القطاعات التى يشغلها العدد الأكبر من القوة العاملة.

تقدير قوة العمل

١٩٨٦-٨٥		١٩٨١-٨٠		١٩٧٦-٧٥		نوع العمل
النسبة المئوية للسكان الذين لديهم عمل	القوة العاملة بالفرد (بالآلاف عامل)	النسبة المئوية للسكان الذين لديهم عمل	القوة العاملة بالفرد (بالآلاف عامل)	النسبة المئوية للسكان الذين لديهم عمل	القوة العاملة بالفرد (بالآلاف عامل)	
٦٦,٩	٢,٧٢١	٥٧,٣	٢,١٣٨	٧١,٦	٤,٠٢٢	الزراعة
١٥,٥	٨٤٥	١٨,٥	٦٨٩	٦,٢	٣٥٠	الصناعة
				٣,٤	١٨٨	المعادن
١٤,٩	٨٢٩	١٨,٧	٦٩٩	١٢,٧	٧١٥	الأعمال غير الإنتاجية
٣,٠	١٦٥	٥,٥	٢٠٤	١٦,٠	٢٤٣	البطالة
١٠٠,٠	٥,٥٦٠	١٠٠,٠	٢,٧٣٠	١٠٠,٠	٥,٦١٨	مجموع القوة العاملة

Source: seven year Development plan (1976-77 /1982-83); Asian Development Bank, Key Indicators of Developing Member countries.

البنوك والأرصدة المالية

بدأ النشاط البنكي في عقد الثلاثينيات من القرن الحالي، ففي عام ١٩٣٠م أسس عبد المجيد الزابلي البنك الأفغاني الوطني، وكان دعم الصناعة هو أحد أهدافه الأساسية. وفي تلك الأيام كان القطن أهم البضائع المصدرة. وظل على هذه الحال حتى سنوات ما قبل الحرب. وفي الوقت الحاضر فإن (بنك أفغانستان) هو أهم بنك أفغاني؛ إذ يقوم بأعمال البنك المركزي، وفي الوقت نفسه يقوم بالأعمال التجارية والبنكية.

وأهم البنوك الأفغانية بعد بنك أفغانستان هي: البنك الوطني، والبنك التجاري البشتوني، وبنك الإسكان، وبنك التنمية الصناعية، وبنك تنمية الصادرات، وصندوق الأرصدة الصناعية، والبنك الزراعي.

والأرصدة الموجودة بالبنوك قليلة، ويتم استثمارها في القطاع التجاري، فعلى سبيل المثال كان الرصيد الموجود ببنك التنمية الصناعية، الذي تم تأسيسه في عام ١٩٧٣م ٢٤٠٠ مليون أفغانى. كما كان رأسمال بنك دعم الصادرات - الذي تأسس في عام ١٩٧٦م - في بداية أمره ١٠ ملايين أفغانى.

وفي عام ١٩٧٥م أعلنت حكومة داود خان تأميم جميع البنوك. وبهذه الطريقة يتم إعداد نظام بنكى فعال، وبناءً على هذا فقد خضعت البنوك للسيطرة الحكومية. وكان تأميم البنوك في غالب الأمر يرجع إلى اشتراكية داود خان، وذلك لرغبته في إصلاح النظام البنكى وتنشيطه ؛ ولأنه رأى أن النظام البنكى لن يتطور. ومع هذا فإن الصرافين في قصر الأمير ظلوا يمارسون أنشطتهم.

نسبة الرصيد المالى (بالمليون أفغانى)

١٩٨٧	١٩٨٦	١٩٨٥	١٩٨٤	١٩٨٣	١٩٨٢	١٩٨١	١٩٨٠
١٢٨,٠٨٩	٨٢,٩٥٦	٧٤,٤٢٤	٦٨,٧٠٧	٥٥,٦٩١	٥٢,٩٧٣	٤٥,٦٦٥	٣٩,٧٧٩
						١٩٨٩	١٩٨٨
						٢٨٨,٨٦١	١٧٤,٨٦٧

Source: Imf, International, financial Statistics.

السياحة

كانت السياحة في العقود السابقة تمثل أحد مجالات الدخل الأفغانى ؛ ففي أفغانستان توجد آثار عريقة وأماكن جذابة كثيرة مثل تمثال بوذا، وسائر الآثار المتعلقة

بيوذا (وذلك فى باميان، ومضيق خيبر) ونظام الحياة القديمة، وهى التى تعتبر أشياء رائعة بالنسبة للأوروبيين؛ حيث تصور العصور السابقة لحياة الإنسان. وهناك آثار قديمة كثيرة فى مدينة هراة، وقندهار، وغزني، ووصلت نسبة الآثار القديمة فى بعض المدن مثل هراة إلى درجة جعلت اليونسكو تختار هذه المدينة لتكون من المدن التابعة لها. وهذه الآثار تلعب دوراً مهماً ومؤثراً فى عملية جذب السياح إلى أفغانستان، ولكن منذ فترة الحرب والاحتلال السوفيتى لأفغانستان والسياحة متلاشية تماماً، ولم يذهب إلى أفغانستان إلا قليل من الصحفيين، ولم يأت إلى هذا البلد أحد؛ لأنه لا يوجد إليها طريق، ولا تتمتع بالأمن. ولذلك فإن دخل هذا القطاع منعدم تقريباً.

عدد السياح الذين ذهبوا إلى أفغانستان

اسم البلد	١٩٧٥	١٩٧٦	١٩٧٧	١٩٧٨	١٩٧٩	١٩٨٠
ألمانيا الغربية	٨٦٤٩	٨٩٠٧	٩٠٨٥	٧٤٩٦	١٨١٧	٢٥٨
فرنسا	٩٤٣١	٧٧٩٤	٦٧٧٩	٤٧٨١	١١٥٣	٢٣٤
أستراليا	١٠٩٤	١٠٥٥	٤٣٩٧	٣٠٧٠	٩٦٧	٢٨
الولايات المتحدة الأمريكية	٩٤٠١	٨٩٥٠	٩٠١١	٦٣٨٩	١٠٣٩	٧٩
الهند	٨٧١٧	٨٥٢١	١١١٨٥	٩٧٤٤	٤٣٥٠	٩٩٢
إنجلترا	٩٧٧٧	١٠١٠٨	١١٥٢٦	٩١٠٢	١٨٥٠	١٢٨
باكستان	١٣٦٤٨	٢٠١٣	٢٥١٠٥	٢٣٦٦٣	١٠١٢٦	٢٤٦٦
باقي الدول	٣٠٠٧٧	٢٤٤٧٨	٢١٧٢٠	٢٧٧٤٤	٨٩٠٢	٢٤٣٨
المجموع الكلى	٩٠٨٩٤	٩٣٠٢٦	١١٨٣٦٠	٩١٩٨٩	٣٠٢٠٤	٦٦٢٣

مستوى دخل أفغانستان من ناحية السياحة (بالمليون دولار)

١٩٨٠	١٩٨٩	١٩٧٨	١٩٧٥	١٩٧٤	١٩٧٣
١	٧	٢٨	١٢	١٢	١١

source: The far East and Australasia, 1988.

Europa publications Limited.

النقل والمواصلات

الطرق: حالة الطرق بأفغانستان سيئة للغاية، وغير مناسبة. وكانت الطرق والمواصلات قد شهدت تطورات كبيرة في سنوات عقدى الستينيات والسبعينيات طبقاً للملاحظات السياسية، وذلك بين كابل و المدن الكبرى. ولكن المواصلات بين المدن الصغيرة وباقي الولايات لم تشهد تطوراً يذكر، وظلت الطرق وعرة تقريباً حتى أن الطرق التي تربط بعض المراكز الكبرى مثل فيض آباد و فراه بكابل لا تزال وعرة، وغير معبّدة والطرق غير المعبّدة في معظمها غير مناسبة، لدرجة أن قطع الطريق الذي يصل طوله إلى ١٠٠ كيلو متر يستغرق من أربع إلى خمس ساعات، وعبر البحر أمر صعب للغاية. ولا تزال الكبارى التي تستخدم في العبور كبارى خشبية. كما تصعب عملية نقل البضائع لأن المنطقة جبلية، ولا يوجد بها طرق مناسبة، وكذلك بسبب النقص في وسائل النقل الآلية، ولا يزال حتى الآن القسم الأعظم من البضائع يتم نقله عن طريق الجمال والحمير والخيول والعربات التي تجرها الثيران، وفي حالات كثيرة يقوم الإنسان بجر هذه العربات، بالإضافة إلى أنه لا يتيسر للكثير وجود الحمير لجر هذه العربات في العادة، حتى إن نقل خشب السرو إلى باكستان يتم على ظهر الجمال.

وقد تم إنشاء معظم الطرق بأفغانستان وتنفيذ مشروعات كبيرة في عقد الستينيات بمعونات من الاتحاد السوفيتي. وقد وصل الطول الإجمالي للطرق الأفغانية

٢١٠٠٠ كيلو متر حتى عام ١٩٨٤م. ووصل الطول الإجمالي للطرق التي عُبِدَت من هذه النسبة ٢٨٠٠ كيلو متر، وهي فقط التي لها بنية تحتية قوية ومحكمة. والبقية معبدة تعبئاً بسيطاً، ولها بنية تحتية ضعيفة للغاية، وقد تعرضت لأضرار كبيرة.

أما المساحة المعبدة تعبئاً قوياً المشار إليها، والتي يصل طولها إلى ٢٨٠٠ كيلو متر فإنها تمثل طريقاً دائرياً، ورئيساً بأفغانستان، ويبدأ هذا الطريق من شمال "هراة" تقريباً في منطقة "تورغندي" (حدود أفغانستان، وروسيا) حتى يصل إلى هراة، ثم يأخذ الطريق في الانحناء صوب الجنوب حتى يصل قندهار. ومن قندهار يتجه صوب كابل حتى يصل إليها. ثم بعد ذلك من كابل نحو مزار الشريف في شمال البلاد. ومن مزار الشريف يعود مرة أخرى إلى الحدود الروسية، ولذلك فإن هذا الطريق يتصل بالاتحاد السوفيتي من جهتين. وفي الغرب يتصل بإيران عبر طريق هراة. وفي قندهار يتصل بكويته باكستان، وفي كابل كان يصل عبر الطريق الموصل إلى ترخم (حدود أفغانستان مع باكستان) بعد عبور مدينة جلال آباد. بعد ذلك يتجه صوب مدينة بيشاور في باكستان، وطبقاً لما ذكر فإن أهم الطرق الأفغانية من الممكن أن تكون:

١- طريق كابل-قندهار- أسبن بولدوك بطول ٦٢١ كيلو متراً.

٢- طريق كابل - ترخم بطول ٢٢٢ كيلو متراً.

٣- طريق قندهار- هراة - تورغندي بطول ٦٧٨ كيلو متراً.

٤- طريق هراة - أسلا على الحدود الإيرانية. ١٢٤ كيلو متراً.

٥- طريق كابل - مزار الشريف بطول ٦٢١ كيلو متراً.

٦ - نفق سالنج الكبير بطول ثلاثة آلاف متر. و ٢٥٠٠ متر ارتفاعاً عن سطح

البحر. ففي عام ١٩٦٤م أقامه الاتحاد السوفيتي السابق.

وطبقاً لتقارير هيئة الأمم المتحدة وإحصائياتها، فقد ألحقت أضرار بالطرق بطول

نحو ٥٠٠٠ كيلو متر حتى عام ١٩٨١م. وتم تفجير ٢٠٠ جسر. وفي السنوات التالية

أنزلت كذلك خسائر فادحة في الطرق، وتم تدمير عمليات تعبئتها حتى أصبحت ترابية،

فعلى سبيل المثال كان طريق هراة - إسلام قلعة، والذي يبلغ طوله ١٢٣ كيلو متراً يستغرق من أربع إلى خمس ساعات فى قطعه، ولم تتعرض الطرق الموصلة إلى المدن وحدها للضرر، وإنما تعرضت طرق أكثر المدن كذلك للضرر والتخريب، وأصبح معظمها ترابيا أو شبه ترابي، وبه الكثير من الحفر والمطبات.

وعدد وسائل المواصلات عموماً من سيارات الركوب، والأتوبيسات، والشاحنات ... إلخ محدود، والسيارات الموجودة فى غالبها قديمة ومتهاكة صناعة روسية أو مجرية وسلوفاكية، والتوكيلات الأجنبية كانت تدخل إلى أفغانستان بصعوبة عبر باكستان، وفيما يلى عرض لنسبة وسائل المواصلات طبقاً لإحصائيات غير دقيقة بدرجة كبيرة (من الصعوبة بمكان إجراء إحصائيات دقيقة فى أفغانستان، أو إحصائيات صحيحة بالمرة).

نسبة وسائل المواصلات

٢٤,٩٠٨	٢٤,٠٨٠	٢٤,١٩٤	٢٦,٠٠٠	ركوب وشخصية
٣٠,٨٠٠	٢٨,٧١٤	٢٧,٥٥٥	٢٦,٠٠٧	عاملة وتجارية

وفى أغسطس عام ١٩٨٩م وافق الاتحاد السوفيتى على إعطاء أفغانستان ٥٠٠٠ وسيلة مواصلات منها ٥٠٠ شاحنة من نوع كمار (KAMAS) لنقل البضائع الروسية لأفغانستان، ولكنه لم ينفذ ذلك.

الموانئ و الملاحة البحرية

ليس لأفغانستان طريق على البحر الحر، وليس بها ميناء أو ملاحة بحرية. كما أنه ليس بها بحار تقبل الملاحة البحرية. والبحر الوحيد الذى يمكن القيام بالملاحة فيه هو بحيرة حدودية لبحر الخزر فى شمال البلاد، والتي يقل عمقها وعرضها فى مناطق

ويزيد في أخرى، لذلك لا يتحرك فيها إلا الزوارق والنشآت الصغيرة، وقد تم إنشاء موانئ صغيرة على سواحل بحر الخزر حتى يمكن الوصول من خلالها - وبالاعتماد على جسر أفغانستان - إلى الاتحاد السوفيتي.

السكك الحديدية

لا توجد سكك حديدية في أفغانستان؛ فهي إحدى البلاد التي لم تطور فيها السكك الحديدية. وهناك سكتان حديديتان فقط، ويصل طول إحدهما إلى عشرة كيلو مترات، وتبدأ من كوشك في الاتحاد السوفيتي، وتنتهي في تورغندي في أفغانستان. ويصل طول الأخرى إلى خمسة عشر كيلو متراً من ترمز في الاتحاد السوفيتي حتى خيبر آباد في أفغانستان، وهي التي تم مدّها - من أجل نقل البضائع أو الأشياء الأخرى - على يد الاتحاد السوفيتي، وكانت البضائع الأفغانية المصدرة يتم نقلها قبل الحرب بشكل تقليدي عن طريق باكستان، فكانت البضائع تحمل على شاحنة أو أي وسيلة أخرى إلى بيشاور في باكستان، ومن تلك المدينة يتم نقلها عن طريق السكك الحديدية إلى كراتشي. وفي كراتشي كانت تحمل إلى المناطق الأخرى بالسفن. وقد تغير طريق نقل البضائع تدريجياً نحو الشمال، وذلك بعد توسيع النفوذ الاقتصادي والعسكري والسياسي من جانب الاتحاد السوفيتي، وكذلك بعد تنمية العلاقات الاقتصادية بين كل من أفغانستان وروسيا بعد نشوب الصراعات مع باكستان. وعن طريق الاتحاد السوفيتي عرفت البضائع الطريق للأسواق الأخرى، ومعنى ذلك أن خطوط السكك الحديدية وصلت إلى حدود أفغانستان عبر إيران، وباكستان، والاتحاد السوفيتي السابق، ولكنها لم تعرف الطريق إليها مطلقاً.

وبصرف النظر عن عوامل الضعف الاقتصادي الأفغاني، فإن أحد أسباب عدم توسيع شبكة السكك الحديدية بأفغانستان هو صراعات القوى العظمى وخلافاتها، وفي القرن التاسع عشر ومنتصف القرن العشرين كانت إنجلترا، وروسيا، وأمريكا،

والاتحاد السوفيتي السابق، ترى كل دولة منها أن توسيع شبكة السكك الحديدية بأفغانستان سوف يلحق بها الضرر، أو يقوى من شوكة الطرف الآخر. وكانت أفغانستان على طول القرنين الماضيين لها حدود سياسية وعسكرية مع القوى العظمى. فكان كل طرف يمانع عملية توسيع الطرق ومد الخطوط، والدليل على ذلك أنه لما لم يكن هناك سكك حديدية أو طرق لم تكن القوى العظمى على مقدرة من الهجوم فكانت تجعل قواتها تهاجم ببطء.

ولم تتحقق الخطة السبعية لداود خان، وكذلك اقتراح المعونة التي تبلغ مليار دولار من إيران لأفغانستان، لِمَ دُ لها طريق يصل طوله ١٨٠٠ كيلو متر يتصل بالسكك الحديدية الإيرانية، وعبر هذا الطريق يتم الوصول إلى المياه الدولية، ولم تنفذ هذه الخطة لأن داود خان واجه الانقلاب السابع من ثورات، وقتل فسقط نظامه، وبعد فترة انتصرت الثورة الإسلامية في إيران، وأطيح بالشاه.

المطارات

لأفغانستان مطاران دوليان في كابل وقندهار. وكذلك لها مطاران آخران من الأهمية بمكان في بگرام (بالقرب من كابل)، وشيندند (بالقرب من إيران)، وهناك مطاران عسكريان آخران. كما توجد كذلك مطارات أخرى في هراة وجلال آباد ومزار الشریف. كما أنها تمتلك أكثر من عشرين مطاراً داخلياً صغيراً ليست لها أهمية، وهناك شركة الطيران الأفغانية "أريانا" التي تمتلك أسطولاً من الطائرات روسية الصنع. وبعضها من نوع أنتونوف (an.26s).

عدد طلعات الطيران الأفغانى

١٩٨٢-٨١	١٩٨١-٨٠	١٩٨٠-٧٩	
٢,٠٧١	٣,٠١٢	٣,٦٦٥	مقدار مسافة الطيران (بالآف الكيلومترات)
٦٩٣٦٤	٨٦١٩٩	١٠١٠٠٠	عدد المسافرين المتغيرين
١٦٤,٤٥٥	١٧٣,٨٥٥	٢٣٨,٠٦٨	مسافات المسافرين (بالآف الكيلومترات)
٢١,٠٣٢٧٧	٢١,٣٦٦	١٩,٠٨٤	الأحمال بالطن
٥٢	٧٠٧٠	٦٠٠٠	المنقولات والبريد

التجارة الخارجية

التجارة الخارجية بأفغانستان مثل سائر القطاعات الصناعية والاقتصادية تماماً، فهي محدودة ولا قيمة لها، وأصناف البضائع التصديرية الأفغانية تشتمل على الغاز الطبيعى، والفواكه الطازجة والمجففة، والجلود، والسجاد. وقبل اندلاع الحرب والصراعات كان مستوردو جلود الغزلان الصغيرة(*) من الأمريكان، والإنجليز. أما مستوردو الصناعات اليدوية كالسجاد فكانوا من أوروبا الغربية، وخاصة من الألمان، ومستوردو الفواكه، والخضراوات الطازجة، والمجففة من الهند. وعلى طول العقدين الأخيرين كانت روسيا هي المستورد الأساسى للغاز الطبيعى، والأعشاب الطبيعية الأفغانية.

منذ عقد الستينيات والسبعينيات شهدت التجارة بين كل من أفغانستان والاتحاد السوفيتى نمواً وزيادة، وفى عام ١٩٧٥م كان يذهب حوالى ٣٦ بالمائة من الصادرات

(*) يطلق على الغزلان الصغيرة فى إيران اسم (قره كل) وهو المعنى هنا persian lamb، وهى أشهر الغزلان الأفغانية، ولها شهرة عالمية. حيث مركز بيعها كان فى البداية لندن ثم بعد ذلك نيويورك. ويشترط أن يؤخذ جلده بعد الرضعة الأولى أو حتى قبل أن يرضع، ولحمه لذيق. (المترجم)

الأفغانية إلى الاتحاد السوفيتي، وقد زاد هذا الرقم حتى وصل إلى ٦٦ بالمائة في عام ١٩٨٧م. وبعد الاتحاد السوفيتي تأتى أوروبا الشرقية.

وكانت أفغانستان في نهاية الثمانينيات تعتمد اعتماداً رئيسياً على تصدير الغاز، وتقدمت البلاد في طريق واحد للإنتاج. ففي عام ١٩٨٤م وصل عائد الغاز الطبيعي إلى ٢٠٠ مليون دولار. وكان هذا الرقم يعادل ٥٦ بالمائة من دخل أفغانستان.

وعندما اشتعلت نيران الحرب في أفغانستان كانت أفغانستان تتمتع بنمو ضئيل في التصدير، وطبقاً لأخبار IMF فإن نسبة نمو الصادرات كانت كما يلي:-

١٩٨٤-٨٣	١٩٨٣-٨٢	١٩٨٢-٨١
٣ بالمائة	١,٩ بالمائة	٣,٦ بالمائة

وسار هذا الرقم في عام ١٩٨٦-٨٥م، وخاصة في عامي ١٩٨٩-٨٨م و٨٩-٨٩م في طريق الانخفاض، وذلك منذ عام ١٩٨٢-٨١. وفي عام ١٩٩٢م - نظراً لتأجج نيران الحرب وشدة الصراعات - يبدو كائنه أقل من واحد بالمائة.

نسبة التجارة الخارجية (بالمليون دولار)

نوع التجارة	١٩٨٤-٨٣	١٩٨٥-٨٤	١٩٨٦-٨٥	١٩٨٧-٨٦	١٩٨٨-٨٧	١٩٨٩-٨٨	١٩٩٠-٨٩
تصدير	٧٢٨,٦	٦٣٢,٩	٥٥٦,٨	٥٥١,٩	٥١١,٩	٤٣٢,٧	٤٢٥,٩
استيراد	٨١٦,١	١,٠٩٧,٧	٨٨٣,١	٨٦١,٦	٨٨٦,٤	٧٢٥,٩	٦٨١,٢
نسبة الموازنة التجارية	٨٧,٥	٤٦٤,٨	٣٢٦,٣	٣٠٩,٧	٣٧٤,٥	٢٩٣,٢	٤٤٥,٣

Source: Imf, International, financial Statistics.

نوع البضائع المصدرة وقيمتها (بالمليون دولار)

نوع البضاعة	١٩٨١-٨٠	١٩٨٢-٨١	١٩٨٤-٨٣	١٩٨٩-٨٨	١٩٩٠-٨٩
الفواكه الطازجة	٣٩,٧	٥٠,٥	٦٦,٣		
الفواكه المجففة	١٦٩,٤	١٧٥,٩	١٩١,٩	١٤٢,١	١١٠,٢
الجلد	١٤,٤	١١,٧	١٥,٥	—	—
الجلد الأسود	٣٣,٣	١٨,٨	٩,٥	٦,١	٣,١
القطن	٣٩,٦	٢٢,٥	١٠,١	١٢,٣	٠,٩
الصوف	١٢,٣	٢٣,٣	٢٥,٣	٣٠,١	٥,٥
السجاد	١٠٣,٦	٧٢,٦	٥٠,٣	٣٩,١٠٠٠	٣٨,٠
الحبوب الزيتية	٦,٤	٢,٠	٣,٨
الأعشاب الطبية	٤,٢	١١,٥	١٦,٥	١٤٣,٠	...
الغاز الطبيعي	٢٣٣,١	٢٧٢,٥	٣٠٥,٢
سائر البضائع	٤٩,٢	٢٨,٩	٣٠,١		...

Source: Imf, International, financial Statistics, and the farEast and Austra-

lasia, 1988.

الشركاء التجاريون

كان الاتحاد السوفيتي في عقدى السبعينيات، والثمانينيات هو أكبر شريك تجارى لأفغانستان سواء في التصدير، أو في الاستيراد. وفي نفس المدة كانت الهند تحتل الترتيب الثانى بعد الاتحاد السوفيتي بالنسبة لشراء البضائع الأفغانية، أما اليابان فكانت أكبر مصدر لأفغانستان.

نوع البضائع المستوردة وقيمتها (بالمليون دولار)

نوع البضاعة	١٩٧٦-٧٥	١٩٨١-٨٠	١٩٨٢-٨١	١٩٨٤-٨٣
السكر	٣٩,٥	٤٠,٨	٥٠,٣	٢٥,٢
القمح	...	٠,٧	١٨,١	٢٨,٢
الشاي	٣٠,٥	٢٨,٣	...	٢٣,٨
المنسوجات	٢٠,٦	٦٠,١	٧٠,١	...
السجائر والدخان	١,٩	٥,١	٧,٢	١٢,٧
أنواع الأدوية	٦,٧	٤,٤	٤,١	٣,٧
وسائل النقل وقطع الغيار	١٦,٩	٨٩,٨	١٤١,٠	...
منتجات البترول	٢٧,٠	١٢٤,٠	١١٢,٠	...
المواد الكيماوية	١٠,٥	٧,٤	٦٦	...
الملابس المستعملة	١,٤	٢,٥	١,٨	٥,٣
الصابون	...	٩,٩	١٧,٢	٨,٠
البلاستيك	٢١,٦	١٦,٧	١٢,٧	٢٨,٨
السماد الكيماوي	...	٨,٢	٣,٣	٣,٩
الأبوات الكهربائية وغير الكهربائية	...	٢,٢	٠,٧	...
الدرجات	...	٢,٠	٠,٤	١,٩
سائر البضائع	١٧٠,٣	١٠٦,٦	٩٢,٣	...

Source: Imf, International, financial Statistics, and the farEast and Austra-

lasia, 1988.

الشركاء التجاريون الأساسيون لأفغانستان (بالنسبة المئوية للتجارة عموماً)
الصادرات

النسبة المئوية للدولة	١٩٧٥	١٩٨٣	١٩٨٨
الاتحاد السوفيتي	٣٤,٢	٥٩,٨	٦٣,٣
الهند	١٣,١	٦,٣	٧,٣
ألمانيا الجنوبية	٩,٨	٥,٦	٢,٩
إنجلترا	٦,٧	٤,٢	١,٩
ألمانيا الشرقية	...	١,٧	٢,٧
بلجيكا - لكسمبورج	...	٠,٦	١,٩
باكستان	١٤,٧	٣,٢	١,١

الواردات

النسبة المئوية للدولة المستورد منها	١٩٧٥	١٩٨٣	١٩٨٨
الاتحاد السوفيتي	١٢,٨	٤٣,٦	٤٨,٨
اليابان	١٨,٢	١٦,٧	١٠,٠
كوريا الجنوبية	...	٢,٦	٤,٤
سنغافورا	...	٣,٤	٦,٧
الصين	...	١,٠	٢,٢
ألمانيا الغربية	١٠,١	٣,٠	١,٦
باكستان	٢,٦	٢,٢	٢,٨

Source: Ministry of commerce, External Trade statistics; IMF, direction of trade statistics.

قيمة الواردات من كبار الشركاء التجاريين (بالمليون دولار)

الدولة المصدرة	١٩٨١-٨٠	١٩٨٢-٨١	١٩٨٤-٨٣
الاتحاد السوفيتي	٢٩٠,٤٩٧	٣٦٥,٠٠٠	٥٢٦,٣١٩
اليابان	٩٨,٢٠٧	٧٦,٦٧٠	١١١,٠٦١١
الهند	٢٠,٥٧٢	١٧,٠٢٤	٢٨,٩٨٥
هونج كونج	١٨,٥٨٦	٢٧,٣٨٦	...
ألمانيا الغربية	١٦,٧٧٩		١٧,٠٧٦
باكستان	١٤,٨٩٥	١١,٧٣٧	١٤,٨٨٢
الولايات المتحدة الأمريكية	١٤,٢١٦	٧,١٥٦	٨,٧٢١
المجموع الكلي (يشمل كذلك بقية الدول)	٥٥١,٧٤٨	٦٦٢,٤١٦	٨٤٦,٠٢٢

Source: The far east and Australasia. 1988, P.166

الواردات

وقد بلغت قيمة الواردات لأفغانستان في عام ٨٤ - ١٩٨٥م حوالي ٩٠٢ مليون دولار، وفي عام ١٩٨٦م حوالي ٨٤٨ مليون دولار، وهو ما يمثل نمواً سلبياً بالنسبة للصادرات.

قيمة الصادرات لكبار الشركاء التجاريين (بالمليون دولار)

الدولة المصدر إليها	١٩٨١-٨٠	١٩٨٢-٨١	١٩٨٤-٨٣
الاتحاد السوفيتي	٤١٧,٨٧٢	٤١٢,٦٣٥	٤٠٠,٧٥٦
الهند	٥٤,٧٤٦	٤٣,٢١٢	٤٨,٢١٢
باكستان	٥٢,١٠١	٦١,٢٤٩	١١٨,٠٨٠
ألمانيا الغربية	٥١,٥١٣	٤١,٨٠١	٢٦,١٣٠
إنجلترا	٥١,٨٤٤	٣٦,٣٤٠	٢٥,١٣٧
السعودية	٢١,١٨٨	١٩,٢١٤	...
تشيكوسلوفاكيا	١٤,٥٨٥	١٢,٠٨٨	٤,٨٣٦
المجموع الكلي (يشمل كذلك بقية الدول الأخرى)	٧٠٥,٢٤٤	٦٩٤,٢٩٢	٧٢٨,٥٧٦

Source: the far east and Australasia. 1988, P.166

وكانت قيمة الصادرات الأفغانية عام ١٩٨٤ - ١٩٨٥م حوالي ٧٧٨ مليون دولار،
وعام ١٩٨٦م حوالي ٥٦٥ مليون دولار.

وفي عام ١٩٨٥م كانت قيمة الصادرات الأفغانية لأمريكا ٧,١ مليون دولار،
والواردات من أمريكا ٣,٤ مليون دولار، وسار معدل النمو صوب الانخفاض.

العضوية في المنظمة الدولية

وأفغانستان عضو في المنظمات الدولية التالية:

- ١- هيئة الأمم المتحدة، ودخلتها في عام ١٩٤٦م. وحتى عام ١٩٧٠م كانت أفغانستان عضواً في المنظمات التالية:

- ٢- البنك الدولي.
- ٢- صندوق النقد الدولي.
- ٣- بنك التنمية الآسيوي منظمة بول عدم الانحياز ADB .
- ٤- مشروع كلمبو.
- ٥- مجموعة الـ ٧٧ .
- ٦- المنظمة الدولية للأقمار الصناعية إنتيلسات (INTELSAT).
- ٧ - مجلس التعاون الجمركي (CCC).
- ٨- هيئة التمويل والزراعة التابعة لهيئة الأمم المتحدة (FAO).
- ٩- اللجنة الاقتصادية والاجتماعية التابعة لهيئة الأمم المتحدة لآسيا، ومنطقة المحيط الهادى إسكاب (ESCAP).
- ١٠- الوكالة الدولية للطاقة النووية (IAEA).
- ١١- الهيئة الدولية للطيران المدني (إيكاو ICAO).
- ١٢- بنك التعمير الأمريكى (IDB).
- ١٣- المنتدى الدولي للتنمية (IDA).
- ١٤ - بنك التنمية الإسلامى.
- ١٥- الصندوق الدولي للتنمية الزراعية إيفاد (IFAD).
- ١٦- المؤسسة المالية الدولية إيفك (IFC).
- ١٧- منظمة العمل الدولية (إيلو ILO).
- ١٨- الاتحاد الدولي للاتصالات عن بعد (إتيلو ITLU).

١٩- المنظمة العلمية التعليمية والثقافية التابعة لهيئة الأمم المتحدة (يونسكو) (UNESCO).

٢٠- الاتحاد العالمي للبريد (UPU).

٢١- الهيئة العالمية للأرصاد (WMO).

٢٢- منظمة الصحة العالمية (WHO).

٢٣- NAM .

٢٤- WFTU .

٢٥- WTO .

٢٦- WSG .

وبذلت جهود كثيرة لكي تنضم أفغانستان بمنظمة "إكو"، وفي خريف ١٣٧١هـ. ش
تهياً المجال لعضويتها في الإكو.

الفصل السابع

المؤسسات الإدارية والحكومية

مختصر تاريخ أفغانستان

يحتوى تاريخ أفغانستان المعاصر على ثلاث مراحل أو ثلاثة أحداث مهمة:

١- انفصالها عن إيران.

٢- الاعتداء السوفيتى على أفغانستان.

٣- إخراج الاتحاد السوفيتى من أفغانستان وتشكيل حكومة المجاهدين الإسلامية.

انفصال أفغانستان عن إيران وما تلاه من أحداث :

انفصلت الأرض الأفغانية الحالية عن إيران سنة ١٢٧٣هـ . ش/١٨٥٧م وفقاً لمعاهدة باريس، ومن المؤكد أن مقدمات استقلالها بدأت منذ أواخر النصف الأول من القرن الثامن عشر، ففي سنة ١١٦٠هـ . ش/١٧٤٧م قتل "نادر شاه" على يد واحد من رؤساء القزلباش(*) فى فتح أباد وقوجان.

وفى تلك الأثناء اغتتم الفرصة "أحمد خان إبدالى" الذى كان من بين قادة "نادر شاه" وكان تحت إمرته أربعة آلاف رجل. وفى الليلة نفسها التى وقعت فيها الحادثة جمع

(*) القزلباش: لفظ تركى ومعناه أحمر الرأس، وقد لقب بهذا اللقب جميع العساكر الصفوية الشيعية ؛ لأنهم كانوا يعتمون (بأمر السلاطين الصفوية) بعمائم حمراء. انظر: نعمة البيان فى تاريخ الأفغان ، ص ٢٠٨ . (المترجم)

حواله جنده وسلحهم جميعاً وأعلمهم بواقعة القتل. وتوجه صوب "قندهار" موطن قبائل الإبدال، الذين هم من قبائل البشتون، ووقعت اضطرابات عقب قدوم "أحمد خان" إلى قندهار فأعلن الاستقلال، ولقب نفسه بأحمد شاه، وبالتأكيد لم يخضع له الملك بسهولة فقد كان ملكاً في سنين الشباب تقريباً، وحتى يصل إلى ما يريد استفاد من سلوكيات "نادرشاه" في صحراء "مغان". وبعد مجيء "أحمد خان" إلى قندهار، وعندما رأى زعماء القبائل والأقوام إصلاحاته قرروا أن يعينوه ملكاً، فشكل مجلس "لويه جرکه" وجمع رؤساء القبائل البعيدة أيضاً وتباحث معهم قرابة تسعة أيام، ورغم كثرة هذه المباحثات وطول هذه الجلسات على مدى تسعة أيام فلم ينطق أحمد خان بكلمة واحدة مثل نادر شاه، وكأنه لم يكن له ميل إلى السلطة، وكان لمجلس الحكم مدعوون كثيرون، ولم تصل المباحثات إلى نتائج، وفي الجلسة التاسعة التي وصلت فيها المباحثات إلى النهاية وقف واحد من زعماء القبائل يدعى "صابر شاه" على قدمه وقال: "أحمد خان" (Ahmad khan)

لقد خلق الله لنا واحداً من أعظم الشخصيات، يعنى "أحمد خان"، وهو أفضل الجميع من كل الوجوه، وبسبب تفوق شخصيته بين أنصاره ونفوذه الكافى، وهذا النفوذ نابع من خدماته الكثيرة وإسهاماته العظيمة؛ ولهذا السبب يتجه نفوذه نحو الزيادة.

وفي الجلسة التاسعة تم التسليم بالسيادة "لأحمد شاه"؛ فقد كان ذكياً، مهد لهذا الأمر من قبل بأعمال كثيرة، فعمل بذلك على جذب اهتمام رؤساء القبائل، وكانت إحدى تلك الخطوات مايلى :

أرسل "نادر شاه" بعد آخر غزوة له إلى الهند ما جمعه من جواهر ونفائس فى قافلة إلى إيران. ولم تكد هذه القافلة تصل حتى قتل "نادر شاه". وبعد أن توجه "أحمد خان" إلى قندهار أغار على هذه القافلة التى لم تكن قد علمت بعد بمقتل "نادر شاه" واستولى على ما تحمله، ثم قسم تلك الغنائم بين رؤساء القبائل الأفغانية الذين كانوا فى الغالب من البشتون، وبهذا أكد نفوذه عليهم وخضع الجميع له واتفقوا مع أهدافه. وبعد استيلائه على هذه القافلة وتقسيمها بين رؤساء القبائل الأفغانية ألغى لقب إبدالى لقبيلته، وأطلق عليها لقب "دارانى"، وعمل على تأكيد مكانته ونفوذه.

كان الهدف الأساسى لأحمد خان هو توحيد القبائل الأفغانية المختلفة تحت قيادته، ورأى أن اتحاد القبائل الأفغانية المختلفة سيكون عن طريق الفيدرالية الإقطاعية القومية، وأن الأسلوب الأمثل لإدارة البلاد هو الأسلوب التقليدى نفسه . وطبقاً للنظام الفيدرالى القومى يكون لقادة القبائل دور فى إدارة شئونهم الخاصة، إلا أنهم يعملون تحت إشراف الحكومة المركزية ويؤيدونها، وفى المقابل يجب على الحكومة المركزية أن تبذل قصارى جهدها لتأييد ودعم قادة القبائل. وبناء على هذا الأسلوب يجب على أى جماعة تريد أن تسيطر على أفغانستان أن تتفق مع قادة القبائل.

ومع أن أحمد خان كان قاسياً على معارضيه، فقد كان أيضاً سمحاً كريماً عطوفاً، وكان هذا الكرم مع رؤساء القبائل، فكان يرهب طائفة ويستميل أخرى. ولا يزال هذا الأسلوب رائجاً حتى اليوم.

أحد الأحداث المهمة فى حكم أحمد خان

كان غزو الهند هو أحد الأحداث المهمة فى حكم أحمد خان، وفى هذا الصدد كان يعالج هدفين، الأول أورده "مونت إستورات ألفين إستون" فى كتابه "شرح سلطنة كابل" حيث قال :

" عمل أحمد خان على إحكام سيادته، فاعتمد إلى حد كبير على الآثار السياسية للحروب الخارجية فى الداخل، إذ كان الانتصار فى الحروب الخارجية سبباً فى ذيوع صيته السياسى والعسكرى وتأييد رؤساء القبائل له، كما كان انتصاره فى الحروب الخارجية سبباً فى تزايد الرغبة فى الإغارة والغنيمة بين رؤساء القبائل، وسبباً أيضاً فى أن يلتف حوله جمع غفير من سكان أفغانستان. وكان التفاف الناس حوله بهذا الشكل سبباً فى خوف القبائل من قوته العسكرية. وترتب على ذلك أن دانوا له بالولاء والطاعة".

الهدف الثانى هو أن دعائم حكومة أحمد خان كانت قائمة على الحرب والتهديد، وبجانب ذلك كانت الغنائم التى تأتى عن طريق الحرب توزع بين رؤساء القبائل

والجنود. وكانوا يتوافقون معه إلى أبعد الحدود، فقد غزا الهند ثمانى مرات، كما قاد بعض الغزوات أيضاً إلى خراسان. وكان نتيجة ذلك بصفة عامة - ويغض النظر عن الأهداف الأخرى السالفة - تأييد القبائل لأحمد خان وانصياعهم له، وليس هذا إعمالاً للعقل والمنطق والقانون، ولكن خوفاً من قوته العسكرية وطمعاً فى الغنائم والهبات الأخرى . ولأن عماد الأمر كان قائماً على الخوف والرغبة وليس على الإقناع ؛ فلما مات انقرط عقد الأمور.

وكان من حسن طالع " أحمد خان " أيضاً أن ضعفت الحكومة المركزية فى إيران بسبب مقتل "نادر شاه" المفاجئ، بل وشمل الهرج والمرج والفوضى أنحاء البلاد. ويضاف إلى ذلك أنه بسبب غزوات نادر شاه، ثم هجوم الإنجليز على الهند، ضعفت الحكومة الهندية ، وخاصة خلفاء بابر، ولم يعد هناك أى اهتمام ذى قيمة بالأقسام الشرقية لإيران أى أفغانستان.

قبل انشقاق أحمد خان كانت أفغانستان وإيران دولة واحدة ذات كيان واحد، بحيث يصعب فصل التاريخ الأفغانى عن التاريخ الإيرانى ؛ لأن أفغانستان كانت دائماً مندمجة فى إيران ودائرة فى فلكها.

توفى "أحمد شاه" فى يونية سنة ١١٨٧هـ . ش/١٧٧٣م، وهو فى العقد الخامس بمرض الجذام، ودفن بقندهار. ويعد "أحمد خان" مؤسس أفغانستان الحديثة، وقد اتخذ من قندهار مركزاً لحكومته وسط قبائل البشتون.

وبعد وفاة "أحمد شاه" اعتلى ابنه الثانى "تيمور" العرش فى قندهار، ومن المؤكد أن ابنه الأكبر سليمان كان هو الأولى بهذا الأمر، إلا أن أحمد شاه كان يرى أن تيمور أعقل من سليمان ؛ ولذا أولاه ولاية العهد.

ومنذ أن توفى "أحمد شاه" دب الصراع على السلطة بين أبنائه، وقد أدى ضعف الحكومة إلى تمرد القبائل؛ فشق زعماء القبائل - وخاصة أبناء أحمد شاه- عصا الطاعة فى المدن المختلفة، ولم يتمكن تيمور شاه من قمع القبائل والزعماء المتمردين.

وفى سنة ١٧٩٢م مرض تيمور شاه وتوفى فى كابل. ويعتقد البعض أنه مات مسموماً، كان تيمور كثير الأبناء، وكان كل واحد منهم والياً على مدينة. ومن بينهم "همايون" الابن الأكبر الذى كان والياً على قندهار، و"محمود" الابن الثانى الذى كان والياً على هراة وغيرهما. وكان أرسقراطيو البلاط وكبار الإقطاعيين يؤيدون من الملوك من يتوافق منهم مع مصالحهم وأطماعهم، وبهذا الشكل أصبحت المصالح العامة للبلاد ضحية الأهواء والمصالح الشخصية. وهذا الأمر هو أحد المشكلات السياسية والاجتماعية فى أفغانستان، حيث إن زعماء القبائل يؤيدون الأفراد الذين يراعون مصالحهم الشخصية.

ومن بين أبناء "تيمور شاه" نجح "زمان شاه" فى أن يشكل حكومة استمرت من سنة ١٧٩٢م حتى ١٨٠١م، إلا أن حكومته لم تأخذ طابع الحكومة المركزية فى أفغانستان، وكانت كل مدينة تحت زعامة واحد من الأمراء الذين ادعوا الاستقلال والأحقية بالملك، ولم يخضعوا لزمان شاه.

وفى نهاية القرن الثامن عشر، ومع تولى الأسرة القاجارية زمام الأمور اشتد ساعد الحكومة المركزية فى إيران مرة ثانية، ومنذ هذا الوقت لجأ بعض ولاة أفغانستان إلى الحكومة الإيرانية لتوطيد نفوذهم، ومن المؤكد أن استقلال أفغانستان عن إيران لم يكن قد تأكد حينئذ، بل كان الأمر بالنسبة للرأى العام لا يعدو أن يكون حالة تمرد وعصيان مثل بعض مناطق إيران، حيث يفكر بعض الأفراد فى العصيان والتمرد وشق عصا الطاعة على الحكومة المركزية.

تبلور انفصال واستقلال هذا القسم من الأراضى الإيرانية "أفغانستان" تدريجياً منذ أوائل القرن التاسع عشر، وتصادف هذا الانفصال مع تزايد النفوذ والوجود الإنجليزى فى شبه القارة الهندية. وقد بدأ الوجود والعمل على تنمية النفوذ الإنجليزى فى الهند منذ القرن السابع عشر، وفى بداية القرن التاسع عشر كانت الهند بأسرها قد أصبحت تحت السيطرة الإنجليزية. منذ بداية القرن التاسع عشر أصبح الشغل الشاغل بالنسبة للإنجليز هو سدُّ الطرق ومحاورة النفوذ إلى الهند، وكان أهم محور

وصلت عن طريقه الغزوات على مدى القرون الخالية هو الأراضي الأفغانية، وكان الغزاة الأجانب بصفة عامة - من الإيرانيين أو غير الإيرانيين - قد جاءوا إلى الهند عن طريق إيران وأفغانستان. وكانت غاية ما يطمع فيه الجنرالات والساسة الإنجليز هو أن تنفصل أفغانستان عن إيران، وأن تتحول هذه الأراضي عن طريق تشكيل حكومة تابعة للإنجليز إلى قلعة حصينة تصد الهجومات البرية على الهند. وكان مما يعكر صفو الإنجليز أكثر من أي شيء آخر هو الوجود المباشر وغير المباشر "الاجتماعي والمعنوي" لإيران في أفغانستان، حيث يكتب السيد "جان - سي جريفي" في هذا الشأن، فيقول: "كان النفوذ الإيراني في أفغانستان أمراً مسلماً به، كما كانوا المغيرين الذين يزحفون دوماً على أفغانستان لإخضاعها لنفوذهم"، ثم يضيف: "لا يزال النفوذ الإيراني حتى الآن يمثل أساساً لحياة الأفغان، وهذا النفوذ من المؤكد أنه مهم إلى حد ما بالنسبة للنفوذ الإسلامي في هذه الأراضي".

كان أمل الإنجليز أن يتم تشكيل حكومة أفغانية ثابتة ومستقلة عن إيران، وفي الوقت نفسه دائرة في فلك الإنجليز، حتى تعضد مكانة الإنجليز في الهند، وفي هذا الصدد يكتب السيد محمود محمود فيقول: "يجب التسليم بهذه الحقيقة، فطبقاً لاعتقاد الإنجليز تمثل كل من إيران وأفغانستان خطراً على الهند، وكان سلوك الإنجليز مع الولاة المحتلين في الهند وطريقة ضبط أموالهم وأراضيهم قد ألب عليهم الهنود، إلا أنه لم يكن لديهم الاستعداد حتى يستطيعوا أن يثوروا في وجه الاحتلال، ومن ثم توجهت أنظار كل الهنود إلى إيران وأفغانستان، فربما يسعى الإيرانيون أو الأفغان يوماً ما إلى إنقاذهم؛ ولهذا السبب كان من الضرورة بمكان القضاء على أي قوة أو نفوذ لإيران".

منذ أوائل القرن التاسع عشر، ومع اشتداد ساعد الحكومة المركزية في إيران عملت الحكومات الإيرانية على ضم أفغانستان مرة ثانية، ولذا توجه محمد شاه في شهر ربيع الثاني ١٢٥٢ هـ . ش / نوفمبر ١٨٢٧م من طهران قاصداً هراة، وبعدما وصل إلى أطراف هذه المدينة قام بمحاصرتها.

وحول أهمية هذه المدينة هناك وجهات نظر كثيرة، لكن مراعاة للاختصار يمكننا القول إن الصحافة والمحافل السياسية الأوروبية تعتبران هراة "بوابة" أو "مفتاح"

الهند. وحول فضل هذه المدينة وأهميتها جفت أقلام كثيرة، من بينها قلم السيد "السير جان وليم كى" مؤلف كتاب "الحرب فى أفغانستان"؛ حيث يفصل القول بخصوص القضايا المتعلقة بأفغانستان وهرارة، فيقول:

"تتمتع هرارة - دون مبالغة - بأهمية غير عادية، فهي بمثابة بوابة الهند، وكل الطرق التى تؤدى إلى الهند تتقاطع مع بعضها فى مدينة هرارة، ويستطيع المغيرون بأسلحة بسيطة - إذا لم تواجههم معوقات صعبة - أن يجتازوا جبال الهندكوش الوعرة من خلال النقاط الواقعة بين هرارة وكابل، ويسيطروا على الموقف والمصادر الطبيعية بالشكل الذى يمكنهم من تحقيق هدفهم بنجاح، وتوجد حول هرارة المقومات الطبيعية اللازمة لتجهيز جيش جرار".

ويكتب "السير جون مك نيل" الوزير المفوض للإنجليز فى إيران خلال رسالة يبعث بها إلى الحكومة الإنجليزية الهندية "قضية هرارة هى قضية أفغانستان بأسرها. ولو سقطت قبل أن يتم اتخاذ الخطوات الصحيحة لإنقاذها فإن هذه الحادثة سيكون لها تأثير سلبي على هذه المنطقة وستكون ضربة قاصمة بالنسبة لنا...".

كان حصار هرارة(*) من جانب محمد شاه سبباً فى وقوع التوتر السياسى والعسكرى بين إيران وإنجلترا، وكانت الأخيرة ترى أن الحفاظ على مكانتها فى جنوب آسيا مرهون بالحفاظ على أفغانستان فى دائرة سيطرتها السياسية والعسكرية مما

(*) نظر الإنجليز الى هذا التحرك الفارسى ضد هرارة على أنه كان بتوجيه من الروس أو على الأقل يرضيهم، لأنه كان فى مصلحتهم على طول الخط، سواء انتصر الشاه الفارسى فى حملته لفتح هرارة أو فشل فى مهمته، وقد تعرض أحد الوثائق الإنجليز إلى هذا الأمر فقال :

إن الحملة الإيرانية على هرارة كانت تخدم المصالح الروسية، فلو نجحت لكان لروسيا الحق - بموجب معاهدة ترجمان جاي - أن تعين قنصلاً فى هرارة فيسهل عليها إتمام تخطيط حدود الأراضى الهندية، وإذا فشلت الحملة فستكون إيران منهكة، وذلك يجعلها أكثر خضوعاً للروس، كما ينشأ العداء بين إيران وبريطانيا، وبذلك تجنى روسيا الثمرة. انظر: عبد العزيز سليمان نوار، الشعوب الإسلامية، بيروت، دار النهضة العربية، ١٤١١هـ / ١٩٩١م، ص ٢٨٢. (المترجم)

حرم حكومة إيران من حقها المعترف به، وهو حق السيادة على هراة وقندهار. ثم أرسلت إنجلترا القوات العسكرية إلى داخل أفغانستان، وسيرت السفن الحربية إلى الخليج الفارسي، وقطعت العلاقات السياسية مع طهران.

امتد حصار هراة مدة عشرة أشهر، وبعد أن فشل محمد شاه في حصارها انسحب إلى طهران، وبقيت المدينة تحت إشراف قائد المدفعية الإنجليزي المدعو "الدروياتجير"، وتم التسليم بالوجود الإنجليزي في أنحاء أفغانستان.

وكما قيل سابقاً، بعد وفاة أحمد خان انفرط عقد الحكومة في أفغانستان، وتنازع الأمراء الدارانين فيما بينهم، كل يدعى الأحقية في الملك، وترتب على ذلك أن تحولت المدن الأفغانية إلى إمارات صغيرة، وهو الأمر الذي مكن الإنجليز من العمل براحة ويسر على زيادة نفوذهم ووجودهم في أفغانستان، فمن ناحية ليست هناك حكومة مركزية تقف ضد تقدم الجيش الإنجليزي، ومن ناحية أخرى فإن الأمراء المحليين أيضاً لا طاقة لهم بهذه القوة. ونظراً للخلافات الأسرية في سبيل الوصول إلى العرش؛ فلا سبيل إلى وحدتهم، وكذلك كانت إنجلترا تدخل في مباحثات مع ولاية وحكام هذه الولايات بشكل منفصل، وكانت تستميلهم إليها وتعين بعضهم على بعض عن طريق بذل المال. أما في كابل فمُنذ أوائل القرن التاسع عشر أصبح ولي العهد "شجاع الملك". وفي سنة ١٨٠٨ م خلع محمود شاه "شجاع الملك" واستولى على زمام الأمر في كابل والمناطق المجاورة لها، إلا أنه هو الآخر كان ماله إلى الضعف بعد فترة. وكان قد سمل عيني وزيره الأعظم، فحمل أخو الوزير الأعظم (أي دوست محمد خان) السلاح واستولى على كابل سنة ١٨٢٦ م.

وفي سنة ١٨٢٤ هزم "دوست محمد خان" شجاع الملك" الشاه شجاع" الذي كان قد جاء من الهند بناء على موافقة الإنجليز ودعمهم لإسقاطه. وفي سنة ١٨٢٥ م أطلق على نفسه أمير أفغانستان، إلا أن سلطته كانت مقصورة على كابل والشمال الشرقي من أفغانستان، وكانت قندهار تحت إمرة أخيه "كهندل خان" تدار بشكل مستقل، وكانت "هراة" تحت إمرة "كامران ميرزا".

وكان "دوست محمد خان" يصدد الاستيلاء على "هراة" (*) و"بيشاور" (**). وبعد الحرب الإيرانية الإنجليزية في سنة ١٨٣٨م تم احتلال قندهار وكابل من جانب الجيش الإنجليزي، وقبض على دوست محمد خان، وسيق إلى الهند. وفي الهند أودع السجن سنة ١٨٤٠م. ثم أنشأ شاه شجاع بمساعدة الإنجليز - بغرض حماية الملك العميل لهم شاه شجاع - ثكنات عسكرية في جيرسك، وكلات قيلزاي، وجلال آباد، وغرنين، وتشاريكار. لكن إذا ما تجاوزنا هذه المناطق لا نجد أي شخص يدين بالولاء لهذا الملك أو بالتبعية للإنجليز.

وكانت أطراف المدن واقعة تحت إمرة المعارضين والمتمردين، وعملت الحكومة الإنجليزية على زيادة قواتها لسحق هؤلاء المعارضين. وفي سنة ١٨٤٠م استولت عسكرياً على قسم كبير من المناطق المهمة في أفغانستان. ولم تتوافق هذه الإجراءات مع روح الشعب الأفغاني وعقائده وتقاليده، وكذلك أيضاً تضررت مصالح الأقوام والقبائل؛ ولذا شق الشعب عصا الطاعة. وفي سنة ١٨٤١م وقّع الإنجليز معاهدة مع حكومة كابل بمقتضاها أجرى الإنجليز مناورة في أفغانستان. وفي سنة ١٨٤١م فاق عدد الجيش الإنجليزي في أفغانستان خمسين ألف جندي عسكري في عواصم كابل وقندهار وجلال آباد وغرنين وكلات وباميات ... إلخ، وكان غدو هذه القوات ورواحها في الأراضي الأفغانية يتم عبر أراضي القبائل والعشائر الأفغانية، وشق ذلك على سكان تلك المناطق الأفغانية، ولذا شاع الاضطراب العام في كل أنحاء البلاد منذ سنة ١٨٤١م، فترك الجيش الذي كان قوامه ستة عشر ألفاً من الجنود الإنجليز - الذين

(*) هراة : من أهم مدن خراسان، كانت حديثاً مسرحاً للمناورات البريطانية والروسية والفارسية نظراً لموقعها الجغرافي المهم، انظر: القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ص ٢٦١. ولسترانج، بلدان الخلافة الشرقية، ص ٤٤٩. والشعوب الإسلامية، ص ٤٢٧. (المترجم)

(**) بيشاور : كان يطلق عليها شابورا، وتقع إلى شمال شرق كابل. انظر: أحمد علي كهزاد، تاريخ أفغانستان، جلد دوم، ص ٢٤٥. (المترجم)

كانوا قد عسكروا فى تلك المدينة - كابل للانضمام إلى باقى القوات الإنجليزية فى جلال آباد، وفى الطريق بين كابل وجلال آباد أغار عليهم المتمرّدون الأفغان. وفى يناير ١٨٤٢م هلكت هذه القوات عن آخرها بالقرب من جلال آباد ، ولم يبق منها على قيد الحياة آنذاك سوى ضابط طبيب كان مثخناً بالجراح يدعى الدكتور "بريدون"، حمل نفسه حتى وصل إلى جلال آباد وقص القصة على الآخرين.

وكانت لهذه الهزيمة آثار مهمة، من بينها سقوط حكومة "اللورد ملبورن". كما حدثت بعض التداعيات فى الحكومة وقيادة الجيش بعد هذه الحرب الكبرى، وأضحى الأفغان فريسة الصراعات الداخلية والقومية للحصول على الامتيازات الناجمة عن هذا الانتصار، ولم يغفلوا عن الفكر السياسى لإنجلترا القائم على رد تلك الهزيمة، وبالفعل وجه الإنجليز قوة عسكرية مجهزة بأحدث العتاد العسكرى إلى أفغانستان. ودارت حرب ضروس قتل خلالها "الشاه شجاع"، وانتصرت القوة العسكرية الإنجليزية بعد جهد، جهيد وقضت على الحركة الشعبية.

وقد أحضر الإنجليز "نوست محمد خان" لخلافة شاه شجاع، وكان "شاه شجاع" قد خلعه واغتصب الملك منه بمساعدتهم منذ ثلاث سنوات، حيث كان سجيناً لديهم ، وتوجوه ملكاً على إمارات كابل.

وفى سنة ١٢٦٧هـ . ش/١٨٥١م توفى يار محمد خان حاكم ولاية هراة. وكان يار محمد خان موالياً لإيران، ولم يكن فقط لا يسمح بتدخل الإنجليز فى هراة ، بل كان يثور ضدهم فى نجارا وخيوه أيضاً ، وحال نون تقارب سكان تلك المناطق مع الإنجليز. وأثرت أعماله هذه فى كل أنحاء أفغانستان، فكان سبباً فى أن يثور الشعب ضد الإنجليز. وبعد وفاته أصبح ابنه سعيد محمد والياً على هراة فطلب المساعدة من إيران، وبعد فترة وجيزة ترك مكانه لمحمد يوسف ميرزا الذى كان موالياً أيضاً لإيران وكان على عدااء لأمير كابل العميل.

أما عن الوضع فى إيران فبعد وفاة محمد شاه سنة ١٢٦٤هـ . ش/١٨٤٨م تولى ابنه ناصر الدين شاه الحكم، وعمل ناصر الدين شاه على تلبية مطالب محمد يوسف

ميرزا وأظهر حسن النية، وجهاز جيشاً للتوجه إلى هراة. وبناء على أمر ناصر الدين شاه استعد حسام السلطنة "سلطان مراد ميرزا ابن عباس ميرزا" للاستيلاء على هراة، وفي رجب سنة ١٢٧٢ هـ . ش / ١٨٥٦م وضعت حرب الكريمة والعزم أوزارها بعد أن استولى على غوريان وبانغستان، وكان قاب قوسين أو أدنى من هراة.

وفي ربيع الأول سنة ١٢٧٢ هـ . ش / ١٨٥٦م أرسل الإنجليز عدة سفن حربية وشرعية إلى ميناء بوشهر، وأنزلوا عدداً قليلاً من قواتهم البحرية في هذه المدينة.

وفي المقابل زاد حسام السلطنة من اقترابه من هراة؛ فكثف الإنجليز من تهديداتهم أيضاً، وكانوا يسعون عن طريق عملائهم - وخاصة "ميرزا أغاخان نوري" - إلى تغيير وجهة نظر الشاه. وبعد فترة فتح "محمد يوسف ميرزا" "بوابات هراة أمام الجنود الإيرانيين، ودخل الإيرانيون هراة، لكن نتيجة للمؤامرات والدسائس والرشاوى التي قدمها الإنجليز، قامت ثورة ضد القوات الإيرانية واضطر محمد يوسف ميرزا تحت ضغط المتأمرين أن يطلب المساعدة من الإنجليز، وبالفعل تدخل الإنجليز. ومن ناحية أخرى فقد وقع الإنجليز في السادس والعشرين من شهر يناير سنة ١٨٥٧م في بيشاور معاهدة مع دوست محمد خان، أصبحت أفغانستان بمقتضاها تحت الوصاية الإنجليزية.

وفي أوائل سنة ١٢٧٣ هـ . ش / ١٨٥٧م استولت إيران على هراة ، وقد تنبّهت إنجلترا للإجراءات التي اتخذتها إيران للاستيلاء على "قندهار" (*) ومناطق أخرى من "أفغانستان"؛ فأعلنت الحرب على "إيران"، وسأقت قواتها العسكرية إلى خليج فارس والأراضي الواقعة في جنوب إيران، وأنزلت القوات في مدن بوشهر وأبادان وخرم

(*) قندهار: تقع في الجنوب الغربي لأفغانستان ، ويجري بها نهر أرغنداب . بأطرافها بساكن ياقعة وفواكه . مشهورة بالرمان والعنب والتين ، وتعد من المراكز المهمة في أفغانستان لتصدير الصوف والفواكه . انظر: العلاقات الروسية الأفغانية، ص ٦٨ . (المترجم)

شهر" والأهواز وخارك وغيرها. وأخضعت هذه المناطق لسيطرتها، والتهبت المقاومة بين القوات المحلية الإيرانية (وخاصة الشنجستاني والشنجستاني) وبين القوات الإنجليزية، وأنزلت خسائر فادحة بالجيش الإنجليزي. وفي هذه الأثناء خشي ميرزا أغاخان نوري أن يعزله الإنجليز، فأمر فرخ خان أمين الملك أن يدخل في مباحثات مع الإنجليز بأي شكل. من ناحية أخرى أرسل "حسام السلطنة" الحمام الزاجل إلى طهران محملاً بالرسائل، وكتب للملك والحكومة ألا تقلقوا من وصول السفن الإنجليزية إلى بوشهر؛ لأنها لا تستطيع مطلقاً أن تذهب إلى أبعد من براز خان ... وفي السابع من شهر صفر سنة ١٢٧٣هـ ش أرسل "حسام السلطنة" إلى الملك يخبره بفتح هراة، وكتب إليه: إن الجنود الهنود(*) قد قاموا بثورة، ولو أعطيتي الإذن فسأتوجه بجيشي هذا إلى الهند(**). إلا أن التهديدات الإنجليزية كانت قد أثمرت، وكان فرخ خان أمين الدولة قد دخل في مباحثات في هذا الصدد مع سفير إنجلترا في باريس عن طريق وساطة إمبراطور فرنسا نابليون الثالث. وانتهى اليوم السابع من شهر رجب سنة ١٢٧٣هـ ش/مارس ١٨٥٧م بعقد معاهدة باريس بينه وبين السفير الإنجليزي، وتقرر أن تخلي إنجلترا الموانئ والجزر الإيرانية، وأن تسحب إيران أيضاً جيشها من هراة وأفغانستان، وتعترف باستقلالها رسمياً، وأن تكف إيران عن كافة أشكال الادعاء بضم أفغانستان إليها، وأن ترتضى إيران تحكيم إنجلترا في حل الخلافات التي قد تنشأ بينها وبين أفغانستان، وبذلك أصبحت أفغانستان طبقاً لمعاهدة باريس حرة تماماً من كافة أشكال التبعية لإيران، وأجبرت الحكومة الإيرانية على الاعتذار للسفير الإنجليزي(***) .

وقد عقدت معاهدة باريس بعد موقعة الكريمة بسنة، وكانت مناسبة جداً من حيث التوقيت بالنسبة للإنجليز، إلا أن الجنود وسكان الهند قد بدأوا تمرداً عاماً في تلك

(*) تاريخ العلاقات السياسية الإيرانية الإنجليزية في القرن التاسع عشر ، الجزء الثاني ص ٦٩٢ . (المترجم)

(**) حقوق بغيران إنجليز در إيران ، ص ٩ ، ٢٥٨ . (المترجم)

(***) عباس إقبال إيشياني ، تاريخ المفصل ، ص ٩ - ٨٣١ . (المترجم)

السنة نفسها - أى فى سنة ١٨٥٧م - متأثرين فى ذلك بحرب إيران وإنجلترا، وكانت الأخيرة مضطرة إلى سحب قواتها من جنوب إيران والخليج الفارسى حتى تستطيع قمع التمرد الهندى.

وفى فبراير سنة ١٨٥٧م استولى المتمردين على مدينة "دهلى"، وكان هذا الأمر ثقيلاً على الحكومة الإنجليزية، واتسع تمرد الشعب الهندى ووصل إلى أوجه، لدرجة أنه كان يطاح كل يوم بالآلاف الرقاب من الإنجليز رجالاً كانوا أو نساء أو أطفالاً ... وأرسل حسام السلطنة الرسل فأبلغوه بوقوع ثورة عظمى فى الهند، وأنه يجب أن يكون يقظاً؛ فكل ما يطلبه من الإنجليز سيقدمونه له، فلا يضيع الفرصة المواتية. وبعد ذلك دخلت القوات الإنجليزية الهند وقمعت الشعب، واستعمرت تلك البلاد بالكامل، وتم تتويج الملك الإنجليزي ملكاً على الهند أيضاً.

بعد معاهدة باريس:

كان انعقاد معاهدة باريس وانفصال أفغانستان بصورة كلية عن إيران سبباً فى زيادة السلطة والنفوذ الإنجليزي فى أفغانستان. وأصبح "نوست محمد خان" لا يجد بدءاً من موالة الإنجليز^(*)، وبات أميراً عاماً على أفغانستان. وكان مبلغ آمال "نوست محمد خان" أن يصبح مستقلاً عن القوى العظمى فى عصره ، لأنه أدرك أن اتباع إحدى القوتين العظميين "إنجلترا وروسيا" سيكون سبباً فى غضب الأخرى. ونبتت جذور "الحياد" فى السياسة الخارجية الأفغانية منذ تلك الفترة ، وسعت الحكومات التالية لأفغانستان إلى تبنى سياسة "الحيادية" تجاه إنجلترا وروسيا، ثم الاتحاد السوفيتى وأمريكا فيما بعد.

(*) حاول نوست محمد خان أن يثبت نفسه فى الحكم عن طريق التحالف مع الإنجليز، فعمل على تقوية هراة لكسب ودهم ، ولكن الروس قد أدركوا أن فى هذا الاتجاه خطراً على أهدافهم فى المنطقة فسعوا لكسبه . انظر: الشعوب الإسلامية ، ص ٤٢٧ . (المترجم)

وقد توفي "دوست محمد خان" سنة ١٨٦٢م، وخلفه ابنه "أمير شير علي خان"، وخلال فترة حكمه كانت إدارة أفغانستان تنقسم أكثر ما تنقسم بطابع ملوك الطوائف (*). وفي العهود التالية كانت أفغانستان تدار بصورة محلية، ولهذا السبب لم تسيطر الحكومات الأفغانية منذ القدم وحتى اليوم على وحدة أراضيها، وكانت تقتصر سيطرتها على كابل والمدن الكبرى، وكانت القبائل والعشائر قلما تعلن عن ولائها وانصياعها للحكومة المركزية.

وقد واجه حكم "أمير شير علي خان" مشاكل جمة، فقد وقف وجهاً لوجه إزاء معارضة إخوته خمسة العشر، كما أنه لم يكن يملك حسن تصرف "دوست محمد خان"، إضافة إلى كل ذلك اشتعال الحرب والمقاومة بين القبائل والعشائر الأفغانية، والحكومة الإنجليزية.

وأدرك "أمير شير علي خان" أن الحكومة الروسية في حالة نمو وازدهار، ومن الضروري أن يسير في ركابها إلى حد ما، أو على الأقل يراعى حالة الحياد، وفي سنة ١٨٧٧م اتسمت العلاقات الإنجليزية الأفغانية بحالة من الفتور. وفي سنة ١٨٧٨م تهيأت أسباب الحرب الأفغانية الإنجليزية الثانية، وتصاعدت شدة التمرد ضد الوجود السياسي العسكري الإنجليزي في أفغانستان. وبالفعل بدأت الاشتباكات وقتل عدد من الإنجليز، ووجهت الحكومة الإنجليزية قوة من الهند إلى أفغانستان حتى تقمع التمرد. وإزاء الإجراء الإنجليزي طلب "أمير شير علي خان" المدد من روسيا؛ حتى يتمكن من

(*) هذه الطبقة من ملوك الفرس تعرف بالإشكانيين من ولد "إشكان بن دارا الأكبر". وكانوا من أعظم ملوك الطوائف عند افتراق أمر الفرس؛ وذلك أن الإسكندر لما قتل دارا استشار معلمه "أرسطو" في أمر الفرس فأشار عليه أن يفرق رياستهم في أهل البيوت منهم، فتنفرق كلمتهم ويخلص له أمرهم. انظر: تاريخ ابن خلدون المسمى بكتاب العبر وديوان المتبدا والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي المغربي، بيروت لبنان ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩ م، المجلد الثاني ص ١٦٨. (المترجم)

الوقوف في وجه القوة الإنجليزية، إلا أن قائد الجيش الروسي في آسيا الوسطى أعلن أن هناك مشكلة بسبب الشتاء وطبيعة البلاد تحول دون إرسال الجنود.

وبسبب تدهور الأحوال في أفغانستان اختار "ديسرائيلي" رئيس الوزراء "اللورد ليتون" نائباً للملك على الهند ، ووقعت في عهده الحرب الأفغانية الإنجليزية الثانية. قرر "ليتون" أن يحتاط وأن يهيئ الظروف حتى لا تتكرر أحداث عهد "اللورد أوكلند". وما حدده "ليتون" مثل كثير من السياسة الإنجليزية هو أن هناك اختلافاً كبيراً بين هزيمة أفغانستان عسكرياً والسيطرة عليها ؛ فهزيمة أفغانستان عسكرياً واحتلالها أمر ممكن، لكن ترويضها والسيطرة عليها ليس بالأمر الممكن أو على الأقل ليس بالأمر السهل الهين. وقد شوهد في الفترة الأخيرة أن الاتحاد السوفيتي مع كل ماله من قوة عسكرية قد باء بفشل عظيم، وترك أفغانستان بمحض إرادته.

وفي السادس والعشرين من شهر مايو سنة ١٨٧٩م تم توقيع اتفاقية سلام باسم "معاهدة كندمك" بين الإنجليز والحكومة الأفغانية، وطبقاً لهذه المعاهدة حسنت بريطانيا وضعها العسكري في أفغانستان، وأحكمت سيطرتها على الشعب الجبلي في "خير" (*)، و"ميشيني" وأقسام من "سيي" و"بيشين" و"كرم"، وأنشأت مفوضيات رسمية لها في أفغانستان، وعينت بعض الضباط على المناطق الحساسة من الحدود الأفغانية ليراقبوا التحركات الروسية. وحصلت بريطانيا على بعض الصفقات التجارية، وامتياز إنشاء خط "التلغراف"، وامتياز إدارة السياسة الخارجية لأفغانستان، وبهذا الشكل سيطر الإنجليز على كافة الشؤون الداخلية في أفغانستان(**). وطبقاً لمعاهدة "كندمك" فإن

(*) أشهر ممر يخترق جبال سليمان على الحدود الشرقية لكابل، ويصل بين الهند وكابل مارا بمنطقة بيشاور، ويبلغ طول الممر ثلاثة وخمسين كيلو متراً، ويقع في واد جبلي جذب ، وترى من فوقه هضاب السند ، وكانت تمر به القوافل التجارية والقبائل. انظر: د. صلاح عبد الحميد ربحان ، الفتح الإسلامي لمدينة كابل ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠١ ، ص ٢٠ . (المترجم)

(**) بيو كاراوترنيزيد ، الصراع الروسي الإنجليزي في إيران وأفغانستان، ترجمة عباس أرزين، ص ٩٧ . (المترجم)

قسما من الأراضي الأفغانية سوف ينضم إلى الهند. وتم تقسيم الحكومة الأفغانية إلى ثلاث إمارات: "كابل" و"قندهار" و"هراة"، وتخضع كل إمارة من هذه الإمارات الثلاث لإشراف الحكومة الإنجليزية الهندية، وبهذا الشكل ظن الإنجليز أن الأمر قد انتهى وأصبحت الأوضاع على ما يرام، وأن كل شيء تحت السيطرة، إلا أن الشعب والفصائل الأفغانية لم ترض عن الأوضاع الجديدة، ولهذا فقد شقوا عصا الطاعة وهاجموا مبنى المبعوثين الإنجليز وساووه بالتراب. وفي اليوم الثالث من شهر سبتمبر ١٨٧٩م قتل "سرلولى كاوا خبارى" وكافة أعضاء البعثة الإنجليزية. وقد كان الحفاظ على أرواح هؤلاء الأفراد وأمنهم طبقاً لمعاهدة "كندمك" هو مسئولية الأمير الأفغانى "أمير شير على خان"، وقد كانت الحكومة الإنجليزية منزعة بسبب الأوضاع الأفغانية، وكانت ترسل مبعوثيها للبحث عن شخص مناسب يتمكن من إدارة البلاد والتخفيف من حدة الأزمة، ويقيم علاقات طيبة مع الإنجليز، لكن قلما يوجد شخص بهذه المواصفات. فقد كان "أمير شير على خان" ميالاً إلى الروس مما زاد من انزعاج الإنجليز من احتمالية النفوذ الروسى فى أفغانستان.

وقد أدت الحرب الأفغانية الإنجليزية والأحداث السابقة إلى سقوط حكومة "أمير شير على خان" سنة ١٨٨٠م، وتولى "عبد الرحمن خان" زمام الأمر فى تلك السنة. عبر "عبد الرحمن خان" نهر جيحون ودخل أفغانستان بعد مضى اثنتى عشرة سنة من النفى إلى روسيا، ومنحه المجلس القبلى فى أفغانستان لقب أمير فى يوليو ١٨٨٠م، وكانت إنجلترا منزعة من ضعف الحكومة المركزية وتردى الأوضاع الأفغانية. بل إن تردى الأوضاع هذا قد خلق مشكلة بالنسبة للحكومات الإنجليزية ؛ إذ كان عليها حماية الأمير "عبد الرحمن خان" ودعمه. وكانت تعتقد أن القوات التى كانت تحت إمرة "عبد الرحمن خان" هى دعم ومدد من جانب الروس. وكان أساس الاستنتاج الإنجليزي قائماً على أن "عبد الرحمن خان" يعد واحداً من الاشتراكيين، وليس ممكناً أن يتحول إلى عميل روسى أو إنجليزى، وكان استنتاج الإنجليز صحيحاً إلى حد ما ؛ لأنه فى مارس سنة ١٨٨٥م اشتبك الجيش الأفغانى مع الجيش الروسى للسيطرة على واحة تقع على نحو مائة ميل جنوب مرو.

كان "عبد الرحمن خان" واحداً من ملوك أفغانستان العظام، وقد نجح فى إدارة البلاد بأساليب استبدادية إلى حد ما. وقد تم ترسيم الحدود الفعلية لأفغانستان فى عهده. وفى سنة ١٨٧٣م تم توقيع معاهدة بين إنجلترا وروسيا تبلورت على ضوءها الحدود الأفغانية الروسية فى سنوات ١٨٨٥ - ١٨٩٥م. وطبقاً لاتفاقية ١٨٧٣م تم الاعتراف بنهر "جيحون" خطاً حدودياً بين إنجلترا وروسيا، وطبقاً لذلك تم الفصل بين الأجناس الطاجيكية والأوزبكية والتركمانية التى تعيش فى منطقة نهر جيحون.

وكانت أشهر اتفاقية حدودية لأفغانستان فى عهد "عبد الرحمن خان" اتفاقية "دوراندا" التى تم توقيعها فى سنة ١٨٩٣م بين أفغانستان والحكومة الإنجليزية الهندية، وتبلورت على ضوءها الحدود الأفغانية الهندية ثم الحدود الأفغانية الباكستانية، وقد تم رسم خط "دوراندا" بواسطة المهندسين العسكريين الإنجليز تحت إشراف "السيرمور تيمور دوراندا" مسئول الأمن الخارجى بالحكومة الإنجليزية الهندية، وقد تم توقيع هذه الاتفاقية المفروضة مع الأمير "عبد الرحمن خان"، وقد قسم هذا الخط الحدودى قبائل البشتون والبلوش والبراهوية على الرغم من وجود صلات قرابة نسبية وعرقية وقومية، والأمر الوحيد الذى يمكن أن يشار إليه بخصوص هذا الخط الحدودى الصناعى هو أنه جعل أحمد خان "الإبدالى" يتمكن من توحيد القبائل والعشائر الأفغانية تحت حكمه، وكانت قبائل البشتون التى تعيش بالقرب من خط "دوراندا" الحدودى - فى باكستان اليوم - تحت سيادة الحكومة المغولية الهندية، وكانت القبائل الأخرى التى تعيش بالقرب من خط دوراندا - أفغانستان الحالية - تحت السيادة والنفوذ الإيرانى. وقد تسبب هذا الخط الحدودى فى نشوب خلافات حدودية بين أفغانستان وباكستان.

وطوال فترة الوجود الإنجليزى فى الهند لم يكن لأفغانستان أى اعتراض على خط "دوراندا"، لكن بعد جلاء الإنجليز عن الهند سنة ١٩٤٧م ادعت أفغانستان أن "بيشاور" وسائر المناطق التى يقطنها البشتون هى من حق أفغانستان، وتعتبر بيشاور عاصمة القبائل البشتونية الباكستانية، وترى الحكومة الأفغانية أن بيشاور ضرورية

لتحصين المكانة الاستراتيجية لأفغانستان. وقد رأى "ألكسندر بارنز" أن تحصين أفغانستان يتطلب استرداد بيشاور.

حبيب الله خان(*) Habib Alloh Khan :

بعد موت "عبد الرحمن خان" سنة ١٩٠١م خلفه ابنه "حبيب الله خان"، ويعتبر من الأمراء الأفغانيين المجددين والمثقفين ثقافة غربية، وفي عهده نشبت خلافات بين أفغانستان وإنجلترا بخصوص تنفيذ معاهدة "جندمك". وكان استدلال الإنجليز هو أن العرف الشرقي وكذلك الحكومات الملكية تنفذ المعاهدات التي يتم إبرامها مع الملوك، وفي حالة وفاتهم تلغى هذه المعاهدات، وبما أن معاهدة "جندمك" قد تم إبرامها في عهد "أمير شير على خان" في سنة ١٨٧٩م فقد أصبحت غير سارية المفعول، ولذا فمن الضروري أن توقع معاهدة جديدة، وكان هدف إنجلترا أن يتم توقيع معاهدة جديدة تتفق مع الظروف المستجدة في القرن العشرين، وتتماشى مع مصالح إنجلترا وسياستها آنذاك.

ومن أهم الأحداث التي وقعت في عهد "حبيب الله خان" نشوب الحرب الثالثة بين أفغانستان وإنجلترا منذ سنة ١٩١٨م، وعمت الثورة والاضطرابات أنحاء أفغانستان، ووقعت اشتباكات بين القبائل والقوات المحلية وأذناب الإنجليز وقواتهم، ويعتقد البعض أن هذه الثورة كانت متأثرة بثورة أكتوبر ١٩١٧م في روسيا، وعلى الرغم من أن ثورة أكتوبر الروسية لم يكن لها أي تأثير على أحداث أفغانستان؛ فقد نشبت حربان قبل ذلك بين إنجلترا وأفغانستان.

(*) حبيب الله خان : كان أكثر الناس احتياطا في علاقاته مع الروس ، واستفاد من الخبراء والمهرة الأتراك في المشروعات العسكرية والصحية والاجتماعية والطباعة . وحتى آخر دقيقة لم يسمح لأى روسى أن يدخل أفغانستان تحت اسم هذه الوظائف ، ولكن إقرار العلاقات التجارية مع الروس قد حطم هذا السد وهيا أفضل طريق وأحسن فرصة كان الروس فى انتظارها منذ سنوات. انظر: العلاقات الأفغانية الروسية ، ص ١١٥ . (المترجم)

أثناء الاشتباكات الإنجليزية قتل "حبيب الله خان" في العشرين من شهر فبراير سنة ١٩١٩م على يد قاتل مجهول، وبعد قتله بأسبوع تولى ابنه "أمان الله خان". واستمرت الاشتباكات حتى نجحت إنجلترا إلى حد ما في قمع الثورة بعد أن استخدمت الأسلحة المتقدمة، علاوة على هذا قبلت أن تمنح أفغانستان استقلالها، وأن تسحب قواتها من أراضيها، وبهذا الشكل حصلت أفغانستان على استقلالها سنة ١٩١٩م واستقر فيها الهدوء النسبي.

وفي سنة ١٩٢٣م غير "أمان الله خان" لقبه من أمير إلى ملك، وكان بصدد تحديث بلاده، وكان يعتقد أن تحديث البلاد يتطلب اقتفاء أثر الغرب وثقافته. وقد كان متأثراً غاية التأثير "برضا شاه" في إيران، و"كمال أتاتورك" في تركيا. وفي سنة ١٩٢٤م سافر إلى الغرب، وبعد عودته أعد أول برنامج إصلاحى، وكان من بين بنود برنامجه الإصلاحى تفعيل دور السيدات الذى يهدف إلى إنهاء السلطة المطلقة للرجال على النساء، وخلق المساواة بين الرجل والمرأة.

وفي سنتى ١٩٢٧، و١٩٢٨م ذهب مرة أخرى إلى أوروبا، وزار لندن وروما وأنقرة وموسكو، ثم عاد إلى بلاده بسيارة رولز رويس، وأبدى تشجيعاً كبيراً لعملية الإصلاح، وأعلن عن برامج كثيرة منها: كشف الحجاب بالنسبة للسيدات، وإنشاء مدارس مشتركة للأولاد والبنات، والارتداء الجبرى للزى الغربى من الحذاء حتى القبعة، والتأكيد على مبدأ فصل الدين عن السياسة والتعليم، ومنع تعدد الزوجات، وتغيير يوم العطلة الرسمية ليصبح يوم الأحد بدلا من يوم الجمعة، ومجموعة أخرى من التغيرات.

واجهت إجراءات "أمان الله خان" معارضة شديدة من جانب علماء الدين والشعب، وقد ألقى القبض على عدد من علماء الدين لأنهم قالوا عنه: "عندما يأتى يذهب الدين". ولكن لم تكن هناك فائدة من هذا الإجراء؛ فقد ساند الشعب ثورة علماء الدين، وأصبحت حكومة أمان الله خان فى موقف صعب، وفى النهاية سقطت سنة ١٩٢٩م.

وعلى الرغم من مساعى أمان الله خان لإحداث تغيير وتطوير على نمط النظام الغربى فإنه لم ينجح، ولم يعتر الأوضاع الاقتصادية والسياسية والاجتماعية الأفغانية أى تغيير.

وصف بعض المحليين "أمان الله خان" بأنه اشتراكي، إلا أن هذا التحليل لم يكن صحيحاً بدرجة كبيرة، ومن المؤكد أنه قد ظهرت الروح المعادية لكل ما هو إنجليزي بسبب الحروب الإنجليزية الأفغانية في سنتي ١٩١٨ و ١٩١٩م، وأن ميل أمان الله خان إلى الاتحاد السوفيتي لم يكن بسبب اعتناقه المبادئ الاشتراكية أو تأييده الاتحاد السوفيتي، بل كان بسبب ضغط الإنجليز من ناحية، وعدم دعمهم ومساعدتهم لأفغانستان من ناحية أخرى.

كانت أفغانستان أول دولة اعترفت رسمياً بالحكومة الاشتراكية في الاتحاد السوفيتي وعقدت معها علاقات صداقة، وكتب أمان الله خان في بداية حكمه عدة رسائل وجهها إلى لينين، وأبدى خلالها ميلاً لعقد معاهدة مودة وصداقة مع الاتحاد السوفيتي، وطلب من لينين العمل على خلق هذه الصلات، لكن لينين كتب في رده أن أفضل ضمان لعقد صلات المودة والصداقة هو أن تتخذ أفغانستان من الاتحاد السوفيتي قدوة ونموذجاً يحتذى، وأن يسعى لتحويل بلاده إلى بلاد اشتراكية.

كان هدف أمان الله خان هو التخلص من السلطة والنقوذ الإنجليزي، ولذلك وضعه لينين أمام الطريق الصعب، وكان قبول ذلك الطريق بالنسبة للحكومة الأفغانية أمراً محالاً.

من المؤكد أن رد لينين على إقامة علاقات طيبة كان ردّاً إيجابياً، ولكن كانت متطلباته صعبة، ومع هذا فإن الاتحاد السوفيتي قد قام ببعض الأعمال، منها إرسال الأسلحة إلى أفغانستان، وتقديم الدعم في مقابل محدودة المساعدات الإنجليزية. وقد بدأ ازدهار العلاقات الأفغانية السوفيتية منذ ذلك الوقت، وازدهرت هذه العلاقات أكثر بمرور الأيام، وتبنى الاتحاد السوفيتي سياسات التضييق على إنجلترا ثم أمريكا وسائر الدول الغربية.

حكومة ابن السقا 'بچه سقا': Bach Saka

في بداية ١٩٢٩م ونتيجة للضغط العام كان لا مفر من عزل أمان الله خان، الذي هرب إلى الهند، ومن هناك ذهب إلى إيطاليا، وتوفي في زيورخ سنة ١٩٦٠م، وقد خلفه

أخوه "عناية الله" الذي لم يحكم سوى ثلاثة أيام. وفي هذه الأثناء استولى شخص من الطاجيك يدعى "حبيب الله" المشهور بابن السقا على كابل - وكان ذلك في أواسط يناير سنة ١٩٢٩م - وأنهى حكم عناية الله، ثم أطلق على نفسه حبيب الله الثانى. ونهج الروس حيال ابن السقا سياسة الحياد إلا أن بعض الشيوعيين كانوا يدافعون عنه.

استمر حكم ابن السقا مدة تسعة أشهر. وفي أكتوبر ١٩٢٩م شنت بتواطؤ سبعة عشر رجلا من أعوانه بعد هجوم "محمد نادر خان". وكان "حبيب الله خان" الذي أدرك مكانة الإسلام في المجتمع الأفغانى قد طالب بتكوين حكومة دستورها الشريعة الإسلامية، وذلك حتى يوطد نفوذه في أفغانستان، وبذلك يكسب تأييد علماء الدين.

وقد ثار الروس على محمد نادر شاه حتى يستفيدوا من الأوضاع في أفغانستان ويستغلوا المكانة التي كانت مخولة لأمان الله خان، ولذلك وضعت موسكو - بحجة تأييد أمان الله خان - جيشاً قوامه من ٨٠٠ إلى ١٠٠٠ جندي قرغيزي تحت تصرف غلام نبي سفير أفغانستان في موسكو، وذلك حتى يعيد أمان الله خان إلى العرش مرة ثانية، لكن في هذه الأثناء تحرك من أوروبا محمد خان السفير السابق لأفغانستان في باريس، ووصل إلى الهند، ومن هناك وصل إلى أفغانستان بدعم من الحكومة الإنجليزية والهندية، وفي أكتوبر سنة ١ٹ٢٩م استولى على كابل.

وفي السادس عشر من السنة نفسها تم تتويجه ملكاً. وأثناء الاستيلاء على كابل وإخضاع المناطق الثائرة هزم محمد نادر خان "غلام نبي"، وتم القبض عليه وإعدامه سنة ١٩٣٢م.

وعمل "محمد نادر خان" على تهدئة الأزمة العارمة، فعمد إلى إيقاف الإصلاحات الغربية التي كان أمان الله خان قد تبناها من قبل، بغرض دفع الأوضاع لمزيد من الاستقرار، وأصبح مؤيداً للشريعة، وإن كان قد حاول تنفيذ إصلاحات أمان الله خان بشكل تدريجي، وبأقصى درجات الحيطة والحذر. وفي سنة ١٩٣٠م عمل على تحقيق تنمية اقتصادية، وخاصة في مجال المواصلات ونظم الري والتنقيب عن الثروة المعدنية.

اعتمد محمد خان في بداية أمره على الثوار والمتمردين، وكان قد أوكل الوظائف المهمة إلى إخوته، لكن نظراً لأنه كان يتمتع بشخصية قوية وكفاءة فقد نجح في توحيد القبائل الأفغانية، وقد اشتهر بأنه شخصية محافظة.

ومع اعتلاء "محمد نادر خان" العرش زاد النفوذ الإنجليزي في أفغانستان وتراجع نفوذ الاتحاد السوفيتي الذي كان في حالة من النمو والازدهار في عهد أمان الله خان، ومع هذا سعى نادر شاه لعمل توازن بين إنجلترا وروسيا؛ فقام بتقسيم الامتيازات بين روسيا وإنجلترا، وكلما منح إنجلترا امتيازاً حاول قدر المستطاع منح روسيا امتيازاً مثله. وفي المقابل كانت روسيا أول دولة تعترف بنظام محمد نادر شاه. ومع أن نادر شاه حصل على ١٠٠٠٠ قطعة سلاح، و١٨٠٠٠٠ جنيه إسترليني مساعدة مالية من إنجلترا، بل إنه عمل على تقليل الوجود السوفيتي في القوات الجوية الأفغانية، فإن روسيا لم تكن له أي عداوة أو منافسة.

وفي عصر محمد نادر شاه ازداد النفوذ الألماني في أفغانستان، فقد تزايد نشاط الخبراء الألمان في هذا البلد، مثلما كان الحال في إيران والعراق وسائر دول الشرق الأوسط، وقد أنشئ خط اتصال بين برلين وكابل عن طريق تيرانا وأثينا ورودرس ودمشق وبغداد وطهران. وكان محمد نادر شاه ميالاً لأن يستبدل بموسكو أو بلندن برلين، ويخصها بمزيد من التعاون.

محمد ظاهر شاه M.Zaher Shah :

قتل محمد نادر شاه في الثاني من شهر نوفمبر سنة ١٩٢٣م على يد طالب يقال إنه كان ابناً غير شرعي لغلام نبي، ويقال أيضاً إن سبب القتل سبب شخصي. وبعد وفاة "محمد نادر شاه" خلفه ابنه الوحيد وهو في سن التاسعة عشرة ويدعى "محمد ظاهر شاه"، وفي بداية عهد "محمد ظاهر شاه" كانت السلطة الحقيقية في يد أعمامه الثلاثة، وهم محمود خان وولي خان وهاشم خان، وكان هاشم خان رئيساً للوزراء،

وفى سنة ١٩٤٦م كان لابد من تنحيته بسبب كهولته، كما أنه كان يحاول التدخل فى شئون البلاد، ثم تأججت المنافسة الشديدة بين ولى خان وابنه عبد الولى وبين الجنرال محمد داود خان، وفى سنة ١٩٥٣م قام ظاهر شاه بما يشبه الانقلاب بمساعدة داود خان، واستطاع ظاهر شاه بهذا الأمر أن يزيع بنى أعمامه عن الحكم والسلطة ، وعين داود خان الذى كان ابن عمه وزوج أخته رئيساً للوزراء .

حاول ظاهر شاه أن يواصل الأعمال الإصلاحية لأمان الله خان ومحمد نادر شاه بشكل تدريجى، وفى البداية عمل على كسب حب الشعب والرأى العام، فأعلن تمكسه بالإسلام واتباع الشريعة الإسلامية. لكنه فيما بعد غير منهجه، ومن التغييرات التى قام بها رفع الحجاب.

كان ظاهر شاه شخصاً حسن النية، إلا أنه كان ضعيف النفس. بعد تنحية داود خان سنة ١٩٦٣م حاول القيام بمجموعة من الإصلاحات ابتدأها بسن دستور جديد فى أول أكتوبر ١٩٦٤م، ثم حاول أن يخرج أفغانستان من النظام الديكتاتورى إلى نظام أحدث، وهو الحياة النيابية الملكية ؛ ولهذا قلص عدد أفراد الأسرة الحاكمة فى الحكومة على الساحة السياسية، وشكل المجلس الذى كان بعض أعضائه معيناً وبعضهم الآخر منتخبا، إلا أن أغلب إصلاحات ظاهر شاه كانت عبارة عن شعارات رنانة، ولم تفلح فى التأثير فى الشعب الأفغانى المضطرب. وإليك بعض المعوقات التى حالت دون تحقيق الإصلاحات :

١- لم يسمح ظاهر شاه للأحزاب أن تعمل فى النسيج السياسى والنظام التعليمى الخاص بأفغانستان على المدى البعيد، ولهذا لم تتمتع الأحزاب بالحرية.

٢- عدم توزيع السلطة بشكل متوازن؛ فكان المسئول الوحيد أمامه هو رئيس الوزراء، وكان البرلمان ضعيفاً.

٣- وعلى الرغم من المشكلة السابقة فإن ظاهر شاه نفسه قلما كان يتدخل فى الأمور، ومن المحتمل أنه كان يتصور أن النظام يسير بشكل تلقائى، وأن كل شىء تم إعداده بالشكل المطلوب.

٤- كان النفوذ العائلي في المناصب والوظائف من المشاكل الأخرى. يضاف إلى كل ذلك المشاكل التي كان يعاني منها العالم الثالث بصفة عامة.

٥- بعد داود خان كان التغير السريع لرؤساء الوزارات من المشاكل التي ظهرت على الساحة، فمنذ سنة ١٩٥٢م وحتى سنة ١٩٦٣م تولى رئاسة الوزراء شخص واحد، بينما تولى رئاسة الوزراء في الفترة من ١٩٦٣م وحتى ١٩٧٧م خمسة وزراء، هم الدكتور يوسف، وميوندال، واعتمادى، وظاهر، وموسى شفيق، وقد منيت كل هذه الحكومات بالفشل. وكان نجاح داود خان في القيام بانقلاب ضد ظاهر شاه بسبب هذا الوضع غير المستقر، وفشلت كل الحكومات ولم تستطع تحقيق أية نتيجة.

الحكومات الجمهورية(*)

داود خان Daoud Khan :

وصل الجنرال "القائد" محمد داود خان إلى مقاليد السلطة خلال فترتين من عمر أفغانستان ، المرة الأولى كان رئيساً للوزراء، وقد امتدت هذه الفترة من ١٩٥٢م إلى ١٩٦٣م. ففي سنة ١٩٥٢ أصبح رئيساً للوزراء خلفاً لابن عمه شاه محمد، وفي سنة ١٩٦٣م خلفه الدكتور محمد يوسف الذي كان شخصاً ليبرالياً، ولم يكن من الأسرة الحاكمة. وعلى الرغم من أن تولى داود خان رئاسة الوزراء كان بسبب خلافات الأسرة الحاكمة ؛ فإنه لا يمكن تجاهل مظاهر الدعم من جانب خروتشوف.

يعتبر "داود خان" شخصية قوية ووطنية، وكان شغوفاً باعتلاء عرش بلاده ، كما أنه واحد من الذين أسسوا حركة عدم الانحياز، إلا أنه رغم كل هذا كان بشتونيا

(*) يقول الأفغانى عن ماهيتها وأدائها بأنها : " حكومة استبدادية مطلقة ، ولكن لها نوع مشابهة بالحكومة الشورية لأنه لا يمكن إبرام أمر مهم فيها إلا بمشاورة رؤساء القبائل ". انظر: نعمة البيان في تاريخ الأفغان، ص ٢٠٩ . (المترجم)

متعصبا، وكان يدافع عن البشتونية، وخلال فترة حكمه أصبحت كل الوظائف المهمة في يد البشتون بشكل تدريجي. وقد واصل تنمية بلاده على أساس أفضلية العنصر البشتوني؛ فكان يعتقد أن البشتون هم النواة الأساسية للأمة الأفغانية، وكان غيوراً عليهم بشدة.

ولم يكن اهتمام داود خان بالبشتونية قاصراً على داخل أفغانستان فقط، بل تعداه إلى باكستان. وكان لذلك الأمر ربود فعل كثيرة، وتوترت العلاقات بين أفغانستان وباكستان.

ترك ظاهر شاه بلاده في الخامس والعشرين من شهر يونيه ١٩٧٣م - بغرض النقاهاة وعلاج عينه - قاصداً إيطاليا، وكان الجنرال عبد الولي نائباً للملك آنذاك، فاستغل "داود خان" نفوذه وقام بانقلاب بمساعدة ضباط القوات الجوية الأفغانية اليساريين. وفي السابع عشر من يولية سنة ١٩٧٣م قاد عدداً من الضباط وعدة مئات من الجنود، واستولوا على المطار والمناطق الحساسة والرئيسية في كابل. وكانت المقاومة محدودة جداً، وأبدى عبد الولي مقاومة واهية لم تحقق أية نتيجة. وانتهى الانقلاب العسكري دون أن تراق الدماء إلا فيما ندر، حيث قتل أربعة أفراد من الشرطة. وفي تمام الساعة السابعة والثلاث صباحاً أعلن راديو كابل أن نظام الحكم في أفغانستان قد أصبح جمهورياً. وبعد إذاعة عدة مارشات عسكرية بدأ داود خان الحديث بلغة البشتون، فقد نجح الانقلاب خلال أربع وعشرين ساعة.

وفي اليوم التالي أعلن داود خان أنه قد أصبح رئيساً للجمهورية ورئيساً للوزراء، واحتفظ لنفسه بوزارة الدفاع والخارجية. وبهذا الشكل أنهى داود خان الحكم الملكي. وقضى ظاهر شاه فترة نقاهة في إيطاليا، وظل منفياً هناك، وبعد فترة لحق به أفراد أسرته.

ومع أن انقلاب داود خان قد تم بدون إراقة دماء فإنه فتح بوابة الدماء أمام مستقبل أفغانستان؛ فقد رأى داود خان أن نجاح انقلابه كان نتيجة تعاون الضباط الذين كانت لهم ميول شيوعية أو تربطهم بالشيوعيين علاقات ود، وكان عدد هؤلاء الضباط

كبيراً . وبعد نجاح الانقلاب زاد نفوذهم أيضاً فى مختلف أجهزة الدولة، وكان من نتيجة ذلك أن عدد الوزراء كان أربعة عشر فرداً منهم سبعة عسكريون يصطبغون بالصبغة السوفيتية قلباً وقالباً، وقد تلقوا تعليمهم فى روسيا أيضاً . وكان تصور خان أنه يستطيع أن يتغلب على هؤلاء العسكريين بمرور الأيام أو يقوم بتنحياتهم ويفرض عليهم سياسته .

لم يكن انقلاب "داود خان" انقلاباً شيوعياً، ولم يكن أيضاً ينوى انتهاج سياسة التقارب مع الاتحاد السوفيتى وتأسيس حكومة ماركسية، ولكن كان هدفه استغلال الإمكانية المتاحة للضباط اليساريين، علاوة على هذا فقد كان يعتقد أنه يستطيع أن يساوم السوفييت . وبعد الانقلاب كانت أول بولة باركت هذا العمل هى الاتحاد السوفيتى، على غرار ما فعلت مع أنظمة أمان الله خان ومحمد نادر شاه ونور محمد تره كى فيما بعد، وبينما أبدى الاتحاد السوفيتى ارتياحه لما قام به داود خان لازمت أمريكا جانب الحذر .

وبالنظر إلى أسباب نجاح هذا الانقلاب علاوة على مساعدة حزبى خلق ويرجم والضباط اليساريين فقد كانت هناك أسباب أخرى:

١- كان داود خان يتمتع بنفوذ كبير فى المؤسسة العسكرية مكنه من تنفيذ كل خطواته .

٢- كان حكم ظاهر شاه قبل الانقلاب غير مستقر .

٣- كان ظاهر شاه ضعيفاً غير ملم بإدارة الأمور . وعلى الرغم من أن كل شىء كان فى يده فإنه لم يكن يحسن استغلال هذه الصلاحيات .

٤- علاوة على هذا فإن داود خان كان أميراً بشتونيا، ومن ناحية أخرى كان "جنرالاً" له تاريخ سياسى وعسكرى .

٥- منذ سنة ١٩٣٦م وحتى سنة ١٩٧٣م كان داود خان يعقد الجلسات واللقاءات وكان يبحث خلالها المشاكل والمعوقات . وبهذه الطريقة خلق لنفسه شعبية واسعة، وكان العامة أيضاً لا يدركون جيداً أسباب هذه المشاكل ؛ ولذا فسرعان ما كانوا يقعون تحت تأثير حديث المعارضين والنقاد .

٦- كان الاتحاد السوفيتي يرى أنه عندما ينجح الانقلاب بمساعدة الأحزاب والضباط اليساريين فإن ذلك سيكون نجاحاً بشكل ما للاتحاد السوفيتي، وسيكون خطوة على طريق المزيد من التقارب الأفغاني الروسي وتغلغله في أفغانستان ؛ ولذا دفع الأحزاب والضباط والأفراد الموالين له إلى تأييد الانقلاب ودعمه. وتجب الإشارة إلى أن انقلاب داود خان لا يمكن إرجاعه إلى تدخل الاتحاد السوفيتي، بل كان مبعثه التنافس العائلي بين داود خان والنظام الملكي، ولم يكن له صلة بالسوفييت، فقد استغل داود خان مساعدة الأحزاب والضباط اليساريين في سبيل الوصول إلى السلطة فقط. فما كان من الروس إلا أن اشعلوا الخلافات الأسرية للنظام الملكي وجلسوا على سفرة معدة، ولو أنهم حققوا نفوذاً كبيراً في الحكومة والإدارة الأفغانية . والدليل على ذلك هو أن التطورات التي طرأت على أفغانستان خلال هذه الفترة لم تكن من تخطيط الروس ، كذلك أيضاً تبني داود خان سياسة عدم الانحياز.

ولكن على الرغم من كل هذا فإن العلاقات الأفغانية السوفيتية قد توطدت بعد انقلاب ١٩٧٣م، وتقاربت كلتا البلدين بعضهما من بعض. وكان أحد أسباب هذا التقارب أهداف داود خان الإصلاحية، فقد كان بصدد العمل على تنمية بلاده قدر المستطاع؛ حتى يستطيع أن يخرجها من الحالة القبلية والنظام الإقطاعي. ولتحقيق هذا الغرض احتاج إلى المساعدات المالية والصناعية الأجنبية ؛ ونظراً لأنه لم يحصل من الدول الغربية على المساعدات الضرورية لإنجاز هذه الإصلاحات فقد كان مضطراً للتفكير في استغلال المساعدات الروسية المختلفة.

لم يكن داود خان يعتزم "مركسة" أفغانستان ، بل كان هدفه المحض استغلال المساعدات السوفيتية. فقد كان يعتقد أن بإمكانه خداع السوفييت، وكان بعض المقربين منه يقول له: لا تلعب بالنار "السوفيتية". لكنه ادعى أن بإمكانه المراوغة مع الروس، وفي هذا الصدد يكتب جوزيف جي كالينز فيقول :

بعد وصول "داود خان" إلى السلطة سعى لتحقيق أهدافه من اقتصاد مخطط وتنمية سريعة وإحراز تقدم في القضية البشتونية، وكان اتجاهه إلى روسيا مجرد وسيلة لتحقيق هذه الأهداف.

ويؤيد هذا الكلام نفسه اقتراحات المساعدة من جانب إيران وباقي الدول. فمئذ سنة ١٩٧٤م وما تلاها عزمـت المحافل الغربية على أن تزيد من وجودها ونفوذها في أفغانستان، وقد ساعدت زيادة أسعار النفط في سنوات ١٩٧٣ و ١٩٧٤م وما تلاها السعودية والكويت وخاصة إيران على تقديم مساعدات لا ترد وتقديم قروض طويلة الأمد للحكومة الأفغانية.

وكان أهم هذه المساعدات الاعتمادات المالية الضخمة المقدمة من جانب إيران سنة ١٩٧٤م، فقد فرض شاه إيران مساعدة قيمتها ملياري دولار لتنفيذ برنامج مدته سبع سنوات في أفغانستان. وكان هذا المبلغ أكبر من المساعدات التي قدمتها دول روسيا والولايات المتحدة الأمريكية وألمانيا والهند وباقي الدول منذ سنة ١٩٥٢م، وقدمت إيران في الثاني والعشرين من أكتوبر سنة ١٩٧٤م عشرة ملايين دولار لإعداد الدراسات اللازمة للمساعدة التي تبلغ قيمتها ملياري دولار، وكانت مصارف هذه المساعدة كالآتي: الصناعات الكبرى، والنقل والشحن، ومشروع سهل هيرمند، والمشروعات العمرانية، وإنشاء شبكة من الخطوط الحديدية تربط كابل وقندهار وهراة بشبكة الخطوط الحديدية الإيرانية، وبهذا تصبح أفغانستان قادرة على الوصول إلى الموانئ الإيرانية وتصدير بضائعها من خلال هذه الموانئ. وفي سنة ١٩٧٤م عقدت اتفاقية بين الدولتين يتم بمقتضاها تصدير البضائع الأفغانية عن طريق إيران، وفي المقابل وعد داود خان بحل مشكلة ماء نهر هيرمند.

كانت برامج السياسة الخارجية الأفغانية متأثرة إلى حد ما بالتوجه الغربي، وكان الهدف من هذه المساعدات ملء الفراغ الغربي في النظام السياسي والاقتصادي الأفغاني، وفي هذه الأثناء حصلت شركة فرنسية على امتياز التنقيب عن البترول في منطقة تقدر بعشرين ألف كيلو متر جنوب أفغانستان، وحتى هذه اللحظة لم يكن الاتحاد السوفيتي قد حصل على مثل هذا الامتياز.

ومنذ سنة ١٩٧٥م وما تلاها كان "داود خان" يصدد تقليل النفوذ والوجود السوفيتي في أفغانستان، وكان قد أوفد ضباط جيشه للتعليم والتدريب في مصر

والهند والولايات المتحدة. وفي سنة ١٩٧٨م زار يوغسلافيا والهند ومصر وتركيا وليبيا، وفي شهر مارس سنة ١٩٧٨م ذهب إلى باكستان ، وفي شهر أبريل زار السعودية والكويت. وبعد مجيء كارتر إلى ساحة الحكم سنة ١٩٧٧م أعرب داود خان عن رغبته في زيارة أمريكا ، لكن نظرا للقضايا السياسية مع السوفييت آنذاك لم تكن الزيارة لأمريكا مواتية، حتى قرر في ربيع سنة ١٩٧٨م أن يقوم بزيارته للولايات المتحدة الأمريكية في سبتمبر سنة ١٩٧٨م، إلا أن وقوع انقلاب في ٢٧ أبريل سنة ١٩٧٨م حال دون القيام بهذه الزيارة.

كذلك عمل "داود خان" على زيادة نفوذه بين دول عدم الانحياز، وانتقد دور كوبا في هذه المنطقة. أما على الصعيد الداخلي فقد عمل على تقليص النفوذ الروسي غير المباشر، وبناء على ذلك، فقد قام في سنة ١٩٧٤ - ١٩٧٥م بفتحية عدد من الوزراء من بينهم وزير الحدود ووزير المواصلات ووزير التعليم ووزير الزراعة، الذين كانوا من اليساريين أو يدخلون في عداد المقربين من موسكو ، وفي سبتمبر ١٩٧٥م عزل أربعين ضابطاً ممن تلقوا تدريبهم في الاتحاد السوفيتي، ثم عمل داود خان في الفترة من سنة ١٩٧٣م وما تلاها على تصفية أعضاء حزبي الشعب والراية من الحكومة بشكل تدريجي، وإرسال الكثيرين منهم - بحجة تولى منصب رئيس المدينة - إلى المدن والمناطق النائية أو نفيهم من أفغانستان في صورة سفراء حتى لا يظلوا في كابل، ومن المؤكد أن داود خان لم يتخذ إجراءات حازمة لتصفية أعضاء حزبي الشعب والراية ؛ لأن مساعدات روسيا المختلفة وما ترتب عليها من نفوذ حال دون التصفية الجادة لرموز الشيوعية.

وقد قام داود خان من أجل مواجهة نفوذ حزبي الشعب والراية بتكوين حزب جديد يدعى "الحزب الثوري الوطني" ؛ حتى يستكثر من أنصاره، ومن الطبيعي أنذاك أن يتحد حزبا الشعب والراية خشية على مصيرهم المشئوم، وحتى يتمكنوا من الإطاحة ببعدهم المشترك، وعندما تحقق هذا الاتحاد في سنة ١٩٧٨م انتهى الأمر بالانقلاب المشترك لحزبي الشعب والراية والإطاحة بـداود خان.

لقد أثار تقارب داود خان مع الغرب - إيران خاصة - وسخطه على الأحزاب اليسارية وسائر الأفراد الشيوعيين و الموالين لروسيا استياء حكومة الاتحاد السوفيتي

وغضبه، ولقد ابتهج الروس بانتصار داود خان في بداية انقلاب ١٩٧٣م، ولكنهم بعد فترة أدركوا أن التعامل معه أمر صعب، حيث لم يول داود خان روسيا الاهتمام الكافي. ومن المؤكد أنه على الرغم من كل هذا فإنه كان يمنح الروس الامتيازات السياسية والاقتصادية، إلا أن روسيا كانت تطمح فيما هو أكبر من هذا، ولم يكن داود خان مستعداً للتسليم والخضوع.

وفي الثاني عشر من أبريل سنة ١٩٧٧م سافر داود خان إلى روسيا للمرة الثانية في زيارة استغرقت ثلاثة أيام، وكانت الزيارة الأولى قد تمت في الرابع من شهر يونية سنة ١٩٧٤م، وقد استغرقت ثلاثة أيام أيضاً، وخلال هذه الزيارة عقدت محادثات حادة ومريرة بينه وبين بريجنيف، وأعرب بريجنيف عن استيائه من تركيبة حكومة داود خان، وأنذره صراحة بالكف عن التوجه إلى "الغرب" عدا الدول التابعة للاتحاد السوفيتي، وأن يتوقف عن عزل السياسيين الأفغان الموالين لروسيا، وأن يظهر بلاده من المستشارين الإمبرياليين، إلا أن داود خان كان بارداً في رده حيث قال: إن أفغانستان دولة مستقلة، وعندما تجد أنها ليست في حاجة إلى المستشارين الأجانب فستطلب منهم جميعاً مغادرة البلاد. وكان هذا الكلام من جانب داود خان شاملاً المستشارين الروس أيضاً مما أثار حفيظة الروس؛ لأنهم نظراً للاستثمارات التي قدموها لأفغانستان لم يكونوا يتوقعون مثل هذا الرد.

الحكومة الشيوعية

عهد تره كي Tourki وأمين Amine :

تأسس الحزب الديمقراطي الشعبي الأفغاني في يناير سنة ١٩٦٥م بشكل غير رسمي ؛ مستهدفاً إنشاء مجتمع اشتراكي قائم على الأفكار الماركسية اللينينية، وكان الأعضاء المؤسسون لهذا الحزب هم نور محمد تره كي، وبيرك كارمل، وحفيظ الله أمين، وسلطان علي كشمند، وآخرون. وبعد تشكيل الحزب اختير تره كي سكرتيراً عاماً له،

واختير كارمل نائباً للسكرتير العام، وكان الحزب الديمقراطي الشعبى الأفغانى على اتصال بالحزب الشيوعى الروسى، وكان يقال إن هناك تعاوناً واتصالاً وتقارباً بينه وبين الحزب الشيوعى الهندى أيضاً.

وقد صدرت الصحيفة الناطقة باسم الحزب الديمقراطى الشعبى الأفغانى تحت اسم الشعب سنة ١٩٦٦م، والحزب الشيوعى الأفغانى مثله مثل باقى الأحزاب الشيوعية فى العالم يتوجه نحو الشباب والفتية، حتى يؤسس لنفسه قاعدة شعبية، فالأحزاب الشيوعية تختار أعضائها أساساً من طلاب السنة النهائية من المرحلة الثانوية، وطلاب السنة الأولى من المرحلة الجامعية، وكلما تحاول هذه الأحزاب اجتذاب أعضاء فى منتصف العمر أو فى خريف العمر، ومن وجهة نظرهم أن هذه المراحل العمرية قد فقدت صلاحيتها ولا فائدة من ورائها، فهم أساساً كلما يقبلون المبادئ الجديدة على عكس الشباب، فهم قليلو التجربة، وسرعان ما يقعون تحت تأثير الدعايا الماركسية، ونظراً لأنهم فى مستقبل العمر، فهم يمتلكون ديناميكية وفعالية أعلى وتطلعات أقل.

وفى سنة ١٩٦٥م كانت جامعة كابل تضم ٢٢٠٠ طالب، وكان عدد طلاب المدارس الثانوية حوالى ١٧٠.٠٠٠ طالب، وكان عدد من هؤلاء الطلاب بالمدارس الليلية، وكان معظمهم من الطبقة الكادحة، ونظراً لأن الحكومة لا تملك برنامجاً لشغل فراغ هؤلاء الشباب فقد توجه إليهم الحزب الديمقراطى الشعبى الأفغانى وجعلهم هدفاً لمساعدته المالية وحملاته الدعائية، ورجبهم وشجعهم على اعتناق المبادئ الشيوعية، وقد خلق الفقر الاقتصادى والفقر التعليمى وعدم وجود مجالات تعليمية وإعلامية ذات جدوى للمشاكل الاجتماعية ومظاهر الضعف السياسى، خلق كل ذلك بيئة مناسبة ومواتية لتوجه الأفراد نحو الشيوعية.

ولم يكن الحزب الديمقراطى الشعبى الأفغانى بدعاً من الأحزاب الاشتراكية فى العالم؛ فقد خصص جزءاً من حملاته الدعائية للعسكريين حتى يكون لنفسه من بينهم مؤيدين وموالين، وكان الفقر التعليمى والمالى بين العسكريين عاملاً مهماً لتوجههم نحو الشيوعية؛ ولذا فإن داود خان على الرغم من أنه انتصر بفضل تأييد الضباط

اليساريين فإنه بعد خمس سنوات حاصره عدد من هؤلاء الضباط وأطاحوا به، ثم قتل على أيديهم.

ولم تدم الوحدة بين زعماء الحزب الديمقراطي الشعبي وحزب الراية، فانتقلت زعامة الحزب الشعبي للسيد تره كى، وآلت زعامة حزب الراية للسيد بىرك كارمل، وقد عمل كلا الحزبين بعضهما ضد بعض، وكان كل منهما يشنع بالآخر، ومن المؤكد أن الحزب الشيوعى الروسى قد عمل على احتواء الخلاف الذى دب بين الحزب الديمقراطى الشعبى وحزب الراية.

وبعد أن تفاقم الخلاف بين الحزبين توجه حزب الراية بنشاطه ودعاياته إلى الطلاب والمثقفين فى كابل، وكانت قاعدته الشعبية من بين هذه الطبقات بينما انصب اهتمام الحزب الشعبى على العسكريين وسعى لتعميق نفوذه بينهم.

اتحاد حزب الشعب و حزب الراية :

اضطر حزبا الشعب والراية للاتحاد تحت ضغط وإلحاح الاتحاد السوفيتى على الرغم من وجود الصراعات والمشاحنات فيما بينهما، وقد بذلت الأحزاب الشيوعية فى العالم، وخاصة الحزب الشيوعى الهندى جهوداً مضنية للتقريب بين الحزبين، ومع هذا كان الاتحاد بين الحزبين اتحاداً ظاهرياً أكثر منه حقيقياً، ومع أنهما وقعا اتفاقاً فيما بينهما سنة ١٩٧٧م فإن الخصومات والعداوات ظلت باقية بشكل سرى. وعلى الرغم من ظاهرية هذا الاتحاد فإنه كان نتيجة حتمية للظروف الداخلية؛ لأن داود خان كان قد سلك مسلكاً غير طيب مع زعماء الحزب الديمقراطى الشعبى الأفغانى الذى كان يعمل على تقريب أفغانستان إلى الاتحاد السوفيتى. علاوة على ذلك توجه داود خان إلى الغرب أو الدول ذات الاتجاه الغربى، وكان هذا الاتحاد هو رد فعل عملى من جانب الروس إزاء الإجراءات المختلفة التى اتخذها داود خان ضد كل ما هو روسى، وإلى جانب ذلك كان هناك سبب آخر دعا إلى الاتحاد بين حزبي الراية والشعب؛

ألا وهو أن كل واحد منهما بمفرده لم يكن له من الأتباع والمؤيدين ما يكفيه لتحقيق أهدافه السياسية، فعندما وقع انقلاب سنة ١٩٨١م كان أتباع جناح الشعب على الأكثر ٥٠٠ شخص بينما كان أتباع جناح الراية يقدرون بحوالى ١٥٠٠ شخص. ومن الطبيعي ألا تصل حركة سياسية إلى نتيجة بهذا العدد من الأتباع والأتصار معا فما بالك بأحدهما؟!!

انقلاب هفت ثور Havet sour :

أدى اتحاد حزبى الشعب والراية فى يولييه سنة ١٩٧٧م إلى انقلاب هفت ثور فى السابع من أبريل سنة ١٩٧٨م. وكانت زعامة الانقلاب موكولة لنور محمد تره كى ونائبه بىرك كارمل ومساعدته المقرب حفيظ الله أمان، استغرق الانقلاب أربعاً وعشرين ساعة، وفى بداية الأمر لم يواجه الانقلاب مواجهة جادة؛ لأن داود خان كان بمفرده تقريباً، حيث إنه قد فقد معظم مناصريه ومعاونيه وكذلك نفوذه، فقد قام بطرد أفراد الأسرة الملكية وعمل على تقليل عدد الموالين للاتحاد السوفيتى، ولم يكن لديه ثقة فى الليبراليين أيضاً، وانحصر مؤيدوه فى مجموعة لا تعرف إلا كلمات التأييد والإشادة والجدارة، ولا تملك أدنى معرفة أو خبرة، فهى منقادة فقط لأوامر داود. وقد حرم داود نفسه من دعم أصحاب العقول الراجحة ومساندتهم بمقاطعته لأصحاب الفكر والرأى، وبهذا الشكل وقع أسيراً فى خضم المشاكل وجزئيات الحكم، وقد حاول داود خان فى أواخر عهده أن يصلح من علاقته بعلماء الدين، لكن الوقت كان قد تأخر كثيراً.

لقد اتسع نطاق الانقلاب، وأدرك القائمون بالانقلاب أن نجاحه يكمن فى الإسراع به على غرار أساليب البعثيين العراقيين حينما قصفوا محل إقامة عبد الكريم قاسم فى وزارة الدفاع سنة ١٩٦٢م، واستخدموا فى ذلك طائرات الميج ٢١ وسوخوى ٧، وخلال الانقلاب تم إطلاق النار على ما يقرب من ثلاثين فرداً من أسرة داود أمام عينه، وكذلك تم إعدام كبار رجال الدولة، بل وإعدام داود نفسه أيضاً.

وكانت أول دولة اعترفت بحكومة الانقلاب رسمياً هي الاتحاد السوفيتي، وتم هذا الأمر بشكل سريع، فبعد ساعات من نجاح الانقلاب أعلن الاتحاد السوفيتي عن اعترافه الرسمي ؛ حتى يشد من أزر الثوار ويلقى اليأس والإحباط في قلوب داود ومؤيديه، وبالإعتراف بالنظام الجديد أدرك أنصار داود خان أن الاتحاد السوفيتي هو الذي وراء هذا الانقلاب وأنهم مهزومون لا محالة.

وجدير بالذكر أن زعماء أفغانستان بصفة عامة يخافون من جارتهم الشمالية. ويصح هذا الوصف حتى في حق تره كي، بل وأمين أيضاً مع أنهما لم تكن لهما علاقات سرية مع الاتحاد السوفيتي، بل ورسخ لدى الرأي العام في أفغانستان أن الاتحاد السوفيتي هو مصدر القلق والخطر، أو أنه هو العقبة في سبيل استقلال البلاد وتحررها، لكن نظراً لأن الثوار لم تكن لهم قاعدة شعبية فقد لجأوا إلى روسيا لتثبيت مكانتهم، والحصول على المساعدات المالية والفنية.

وقوع الاختلاف مرة ثانية بين حزبي الشعب والراية :

وكما كان متوقعاً فإن الاتحاد الظاهري بين حزبي الراية والشعب لم يدم طويلاً ؛ لأنهما لم يتفقا على تقسيم السلطة والمناصب السياسية فيما بينهما ، فمن ناحية لم يكن تره كي مستعداً لأن يقدم أي تنازل لحزب الراية، وكان ينوي الاستيلاء على كل المناصب السياسية، ومن ناحية أخرى لم يكن "بيرك كارمل" وأعوانه على استعداد لتقبل ازدياد نمو حزب الشعب، وانحسار نفوذهم وقوتهم، وأن يسلموا بلا جدال لتره كي، ولم يرق لكارمل وحزب الراية الدعاية الواسعة التي قام بها تره كي وحزب الشعب. وكان تره كي يعتبر انقلاب هفت ثور مثيلاً لثورة أكتوبر ١٩١٧م السوفيتية ، وكان يطلق عليه "الثورة الكبرى"، أو "المعبر الذي ينقل المجتمع من المرتبة القبلية إلى المرتبة الإقطاعية"، وادعى أن أحداث انقلاب هفت ثور هي ثورة الثانية التي وقعت في أفغانستان سنة ١٩٧٨م، ووصفت الصحف ووسائل الإعلام تره كي بـ "الزعيم" و "المعلم الكبير" وعلقت في كل مكان.

وكانت الوزارة التي تشكلت بعد انقلاب ١٩٧٨م قد وزعت حقائبها بين أعضاء حزبي الشعب والراية بشكل غير متكافئ، حيث كان نصيب حزب الشعب إحدى عشرة حقيبة، بينما كان نصيب حزب الراية عشر حقائب، والأهم من هذا أن الوزارات الحساسة مثل وزارة الخارجية ووزارة الداخلية ووزارة الدفاع... إلخ كانت من نصيب أعضاء حزب الشعب، وتركت الوزارات الأخرى لحزب الراية، وكان حزب الراية يطمح في أكثر من ذلك، لكن طبيعة السلطة في أفغانستان كانت تتطلب أن يقدم أحد الطرفين - حزب الراية وحزب الشعب - تنازلاً للآخر، وعلاوة على هذا كان هناك عاملان آخران تسببا في وقوع الاختلاف بين حزبي الراية والشعب، وهما:

١- أن البشتون كانوا يمثلون حزب الشعب، بينما الفصائل الأخرى كانت تمثل حزب الراية، وعلى الرغم من أن كارمل نفسه قد ادعى أنه بشتوني الأصل فإنه طبقاً لاعتقاد المحليين لم يكن من البشتون.

٢- كان أنصار حزب الشعب يؤيدون الثورة الاشتراكية الفورية، بينما كان أنصار حزب الراية يؤيدون التوجه نحو الاشتراكية رويداً رويداً، مراعاة للظروف الاجتماعية والتعليمية والثقافية والدينية في أفغانستان، وكانوا يتبعون الأسلوب نفسه الذي اتبعه داود خان.

اتسعت هوة الخلاف بين الحزبين مرة ثانية، وقام حزب الشعب الذي كان يسيطر على أغلبية الحكومة بتصفية أنصار حزب الراية، وبدأت تصفية حزب الراية منذ يونية ويولية سنة ١٩٧٨م، واستمرت حتى مارس سنة ١٩٧٩م، وفي هذا التاريخ تمت تنحية كل أعضاء حزب الراية، وفي ٢٦ يونية سنة ١٩٧٨م طلب حزب الشعب من الولايات المتحدة أن تقبل "نور أحمد نور" الذي كان أحد أعضاء حزب الراية سفيراً، وفي أوائل يولية تم تصفية كارمل، ففي الخامس من يولية أعلن راديو كابل أنه تم تعيين ببرز كارمل سفيراً لأفغانستان في تشكوسلوفاكيا، وعُيِّن أخو كارمل سفيراً في باكستان وتم تصفية باقي أعضاء حزب الراية الواحد تلو الآخر، وتم إخراجهم من كابل تحت مسمى سفراء أو تحت أي مسمى آخر، وفي التاسع عشر من يولية ١٩٧٨م أعلن تره

كى أنه لم ولن يوجد شىء فى أفغانستان يدعى حزب الراية ، وقد فتحت تصفية حزب الراية الطريق أمام حفيظ الله أمين لتقاسم السلطة مع تره كى. وتحول أمين رويداً رويداً إلى قوة سياسية كبرى فى الحكومة الأفغانية.

التغيرات التى وقعت فى عصر تره كى وأمين:

عمل تره كى لتثبيت مكانة حكومته على تنفيذ عدد من الإجراءات، وطبقاً لقوله "عدد من الإصلاحات"، وكان قد ادعى هو وجناحه تبنى أحداث هفت ثور، ولذا كان من الضرورى إتمام بعض الإصلاحات، وخاصة تلك الإصلاحات ذات المغزى الاشتراكى. وكان تغيير النظام الاجتماعى والاقتصادى فى أفغانستان أمراً ضرورياً للغاية، وقد بدأت الحركة بالدستور، وفى صيف سنة ١٩٧٨م تم إعداد دستور جديد قائم على المبادئ الاشتراكية، ثم أعقب ذلك التغيير تغيير سائر جوانب الحياة، وكانت تغييرات تره كى تقوم على ثلاثة أسس:

١- تغيير النظام الفكرى الاجتماعى وذلك عن طريق تجاوز الإسلام، والتوجه نحو الاشتراكية، والخروج من النظام والفكر القبلى إلى النظام والفكر الاشتراكى، ومن المؤكد أن هذه التغييرات لم تنفذ ، حيث يكتب هاموندر فيقول:

"كيف يكون ممكناً تحويل مجتمع مسلم مائة فى المائة إلى مجتمع شيوعى؟" لقد قاوم الشعب الأفغانى بشدة التغييرات التى من شأنها أن تضعف روح الدين، فقد كانت الروح الدينية التى كانت سائدة فى الشعب الأفغانى ذى الصبغة القبلية والطائفية تمثل عائقاً كبيراً أمام نشر الشيوعية، ولم يقبل الشعب ، الذى كان مسلماً حتى النخاع وكان منقاداً تمام الانقياد لزعمائه الدينيين، هذه التغييرات.

٢- تغيير البنية الاقتصادية، أى الخروج من النظام الإقطاعى والرأسمالى التقليدى إلى الاقتصاد الاشتراكى، حيث تأتى السمة الإقطاعية فى الترتيب الثانى للسّمات المحددة للمجتمع الأفغانى بعد السمة القبلية والطائفية، حيث يعتبر الإقطاع

جزءاً من النظام القبلى لا يقبل الانفصال، وطالما كانت الأفكار والمشاعر القبلية سائدة مسيطرة كان الإقطاع مزدهراً، لأن الإمكانات الاقتصادية هي إحدى دعائم سلطة رئيس القبيلة، وبناء على هذا يعد رؤساء القبائل من أصحاب الأملاك.

وتم تنفيذ الإصلاحات الزراعية للقضاء على الإقطاع فى عهد تره كى على مرحلتين، فى المرحلة الأولى تم تقسيم الأراضى بحيث لا يتجاوز نصيب الأسرة المالكة أكثر من ثلاثين جريبة من الأراضى، وفى المرحلة الثانية تم تخفيض هذه المساحة أيضاً ووصلت إلى خمس جربيات، ثم انتهى الأمر بالمسح الكامل لكل الأملاك الشخصية، وكان أمين يقول: "إننا نحارب من أجل استئصال شائفة الإقطاع، وهدفنا هو خلق مجتمع لا يستعبد فيه الإنسان أخاه الإنسان".

ولكنه علاوة على هذا كان يسعى إلى تحقيق أهداف أخرى، من بينها إضعاف المعارضين الأقوياء للحكومة الشيوعية، وذلك عن طريق تقسيم الأراضى التى يسيطرون عليها، ومن ناحية أخرى كانت الحكومة تتصور أنه عندما يتحول المزارعون الذين كانوا يعملون لدى السادة إلى ملاك للأراضى - وليس فقط مجرد مزارعين يورثون مثل أى شىء - سيصبحون مؤيدين للاقتصاد الاشتراكى، وبهذا تكسب الحكومة المزيد من المؤيدين، وفى الواقع أراد تره كى وأمين أن يتخلصا من المعارضين وأن يصبحا أكثر قرباً من الاقتصاد الاشتراكى ويكسبا المزيد من المؤيدين والأنصار.

ولم ينجم عن تقسيم الأراضى إلا الثورة والاضطراب، وبعد فترة آلت الأراضى إلى ملاكها السابقين، ولأن رؤساء القبائل رأوا أن مصلحتهم فى عدم تنفيذ التغييرات الاشتراكية، فقد أعلنوا الإضراب العام؛ ولأن الإصلاحات الزراعية كانت دليلاً واضحاً على تبعية الحكومة الشعبية فى أفغانستان للاتحاد السوفيتى، فقد فشلت الجوانب الاشتراكية الأخرى للإصلاحات، وكان من أسباب فشل برامج الحكومة ضعف التخطيط، وعدم سيطرة الحكومة على أنحاء الدولة ودرجة التغيير.

٣- وللخروج من هذين النظامين والبنية السابقة كان لا بد من تغيير برامج التعليم وأساليبه، ووضع مناهج جديدة قائمة على أساس الفكر الاشتراكى، لذا فإنهم قد

غيروا أبنية التعليم في البلاد، وترتب على ذلك أيضاً أن ألغيت بعض البرامج الإسلامية من راديو وتليفزيون كابل، وتم منع تدريس المواد الدينية في المدارس والجامعات، وتم استبدال مناهج ماركسية بها، وقد وضعت للفلاحين وباقي الطبقات الأخرى برامج تعليمية اشتراكية.

وقد كان لهذه الإجراءات أهداف إصلاحية لكن على الطريقة الاشتراكية، فكانت سبباً في الاضطراب العام وتعرض الحكومة الشيوعية للخطر.

اختلاف تره كي - أمين، وسقوط تره كي:

وكما أشير سابقاً فإن تنحية جناح الراية قد هيا المجال لرقى حفيظ الله أمين، وخلال شهرى يونية ويولية ١٩٧٨م تم إعفاء كل أفراد حزب الراية من العمل في الحكومة، وتحول أمين تدريجياً إلى مركز قوة، وبعد انقلاب هفت ثور، أصبح أمين وزيراً للخارجية، وفي شهر يولية أصبح سكرتيراً للحزب، وفي ٢٧ مارس سنة ١٩٧٩م أصبح رئيساً للوزراء، وبهذا الشكل سلب السلطة من مخلب تره كي. وفي ٢١ مارس ١٩٧٩م شكل أمين الوزارة الجديدة، وأسند لأصدقائه والمقربين إليه المناصب المهمة فيها كمنصب وزارة الدفاع والداخلية، وفي يولية ١٩٧٩م تولى هو بنفسه وزارة الدفاع. وبهذا الشكل أصبح أمين كل شىء، وأصبح تره كي يقوم بالأعمال الشرفية التى لا طائل من ورائها، وكانت زيادة نفوذ أمين سبباً فى القلق الشديد من جانب روسيا، فقد كان أمين ذا شخصية متعددة الجوانب يكتنفها الغموض، فلم تثق فيه الحكومة السوفيتية. وقد زاد من قلق الاتحاد السوفيتى عزل أنصار تره كي، فكان لا مفر أمام الاتحاد السوفيتى من العمل على الحد من نفوذ أمين ودعم تره كي وأنصاره الذين أصبحوا على وشك الزوال من الساحة السياسية.

وفي أوائل سبتمبر سنة ١٩٧٩م عقد مؤتمر قادة عدم الانحياز فى هافانا "بكوبا"، وعقد لقاء ودى مع بريجنيف وجروميكو، فتشكك أمين فى لقاء تره كي بالقادة

السوفييت، وأيقن أن وراء ذلك اللقاء مؤامرة تحاك له، ومن المؤكد أن "شاه ولي" رفيق تره كي ووزير الخارجية الأفغانى قد حضر أيضاً هذا اللقاء، وكان هو مصدر معلومات أمين، وكان قد وقف جيداً على أعمال مباحثات تره كي. وبعد يومين من المباحثات عاد من موسكو فى الحادى عشر من سبتمبر متوجهاً إلى كابل، وأعلن أنه عقد مباحثات مهمة مع الزعماء الروس، ففهم أمين أنه تم الاتفاق بين تره كي والسوفييت على الإطاحة به، ولهذا السبب عمل أمين على تحصين مكانته، وبناء على هذا عزل عدداً من الوزراء الذين من الممكن أن تكون لهم اتصالات سرية بتره كي واستبدل بهم مجموعة من المقربين إليه، واعترض على هذا التصرف تره كي، ولكن دون جدوى. ومنذ هذا الوقت استحكم العداء الشديد بين أمين والاتحاد السوفيتى، وأخذ يتحين الفرصة لتبديد الضربات إلى الروس على الرغم من أنه لم يكن يملك الإمكانيات اللازمة.

وطبقاً للاتفاق نسق تره كي خطته مع ألكساندر بوزانف سفير روسيا فى ذلك الوقت فى أفغانستان، وطبقاً لما تم تخطيطه دعا تره كي أمين فى ١٤ سبتمبر سنة ١٩٧٩م لحضور حفلة فى قصر أرك، وقبل أمين الدعوة، وشعر أن الهدف من وراء هذه الدعوة نصب شراك له، وقد أُنذرت السفارة الأمريكية بكابل أمين من حضور هذه الحفلة، إلا أن بوزانف تعهد بسلامة أمين، وعلى الرغم من هذا فقد اصطحب معه فرقة مسلحة يرأسها رئيس الشرطة، وبمجرد دخول أمين القصر أطلق عليه الرصاص وقتل رئيس الشرطة، إلا أن الفرقة المسلحة دخلت فى اشتباك شديد انتهى بإنقاذ أمين والقبض على تره كي، وكان تره كي قد جرح، وقد سجن لفترة حتى أعلنت كابل تايمز فى ١٠ أكتوبر عن وفاته إثر إصابته بمرض عضال. وبعد القبض على تره كي ووفاته نصب أمين نفسه رئيساً جمهورياً للثورة، واحتفظ لنفسه بالسكترارية العامة للحزب، واحتفظ بالسلطة بشكل مطلق إلى حد ما. وبعد هذه الحادثة احتال الاتحاد السوفيتى وأعلن بريجنيف وكوسيجين أن العلاقات بين البلدين ستشهد تطوراً ملحوظاً.

وبعد حادث تره كي اجتهد أمين فى توطيد علاقته بجيرانه، وكان يتطلع إلى إقامة علاقات طيبة مع أمريكا، وطلب لقاء "ضياء الحق" رئيس جمهورية باكستان والسيد

شاهين وزير خارجيته، وكان أمين يسعى حثيثاً إلى دخول في تحالف جديد، وكان يسعى أيضاً لتبنى سياسة أكثر استقلالية إزاء الاتحاد السوفيتي، ولذا قام بمزيد من القمع تجاه أنصار تره كي، وألقى بمسئولية القضايا الراهنة على عاتق تره كي وأنصاره، وقبض على الماركسيين. وكان الاتحاد السوفيتي قلقاً ؛ لأن أمين توجه إلى الولايات المتحدة الأمريكية والصين لمواجهة النفوذ الروسي، وقد أوحى الصدام الشديد من جانب أمين ضد الماركسيين المواليين للاتحاد السوفيتي بهذا المشهد، وهو أن أفغانستان ستتحول إلى يوغسلافيا جديدة، خاصة وأن توجه أمين إلى الصين لم يكن بخافٍ عن روسيا.

وقد كثر الحديث عن توجهات أمين الغربية بعد واقعة تره كي، إلا أن هذه التوجهات لم تكن ذات عمق كبير أو أنه لم يتمكن من تعميقها، ومع أن أمين كان شديد النفور من الاتحاد السوفيتي فإن كليهما كان محتاجاً إلى الآخر.

وتتلخص حاجة أمين إلى الاتحاد السوفيتي فيما يلي:

١- الحصول على السلاح اللازم وياقي المعدات الروسية الأخرى لمواجهة الثوار الذين سيطروا منذ فترة على الولايات الأفغانية.

٢- الحصول على المساعدات الاقتصادية المختلفة، المالية والفنية اللازمة لإدارة البلاد.

كما تتلخص حاجة الاتحاد السوفيتي إلى أمين فيما يلي:

١- كان أمين يمثل بداية البرنامج الذي وضعه الاتحاد السوفيتي في أفغانستان على مدى العقدين الماضيين.

٢- كان يعيش في أفغانستان آلاف الروس، وكان تأمين حياتهم ووجودهم في أفغانستان لتنفيذ أهداف الاتحاد السوفيتي البعيدة المدى أمراً ضرورياً للغاية.

هجوم الاتحاد السوفيتى على أفغانستان:

فى ٢٧ ديسمبر سنة ١٩٧٩م تدخل الاتحاد السوفيتى عسكريا فى أفغانستان، وفى هذه الأثناء لم تكن هناك مجموعة متحدة من الروس تعارض الهجوم العسكرى على أفغانستان، نعم كانت هناك معارضة لكنها كانت متشرذمة.

وكان توقيت الهجوم مناسباً إلى حد ما، حيث كان الغرب مشغولاً بالعطلات وقضاء احتفالات الكريسماس، والاستعداد لعيد يناير.

لم يكن الهجوم العسكرى بلا مقدمات، بل كان المجال مهياً منذ عدة أشهر. ويرى المحللون أن الهجوم العسكرى على أفغانستان كان مسلماً به بعد وفاة ترة كى، وبعد ذلك اقتربت الثكنات الروسية من الحدود الأفغانية، ومن بينها فرغانة، وتأهبت القوات وقامت بحشد العتاد العسكرى المطلوب بالقرب من الحدود الأفغانية، وعمل الاتحاد السوفيتى على تعبئة عتاده العسكرى مما أثار قلق أمين، ولهذا السبب استمرت إلى حد ما العلاقات الودية واللقاءات المعتادة والمساعدات الدائمة. وفى الثالث من ديسمبر سنة ١٩٧٩م جاء إلى أفغانستان سفير جديد مكان بوزانف، وسلم إلى شاه ولى وزير خارجية أفغانستان رسالة شديدة الهمجة. وفى ١٢ من ديسمبر وصل فريق تجارى روسى إلى أفغانستان. وفى السادس والعشرين من ديسمبر وصل وزير النقل الروسى تاليزين إلى أفغانستان، وعلى الرغم من أنه كان فى مهمة خاصة فإنه التقى بأمين وسلمه رسالة ودية.

من المؤكد أن أمين لم يكن ساذجاً إلى هذا الحد بحيث لا يعرف أن ما يدور حوله هو تمهيد لعمل عسكرى، إلا أنه لم يخطر على باله أن يقوم الاتحاد السوفيتى بالتدخل العسكرى فى أفغانستان. فكان يرى أن الهجوم العسكرى الروسى على أفغانستان سوف يعود بالضرر عليه، على الاتحاد السوفيتى. وكان يتصور أن لدى الاتحاد السوفيتى هذا الاعتقاد نفسه أيضاً، ولهذا لم ير دليلاً يقلقه من التحركات العسكرية الروسية، كما كان يتخيل أيضاً أن مثل هذه الترتيبات والتحركات العسكرية هى لتخويفه فقط، وقد نشرت الدول الغربية لعدة مرات تقارير قائمة على الإجراءات

العسكرية الروسية، واحتمال هجومها العسكرى على أفغانستان. وكان الاتحاد السوفيتى يدرك العواقب الوخيمة التى ستترتب على هذا الهجوم.

وفى ١٩ من ديسمبر أعلنت حكومة كارتى أنه من الواضح أن الاتحاد السوفيتى يهين نفسه للهجوم على أفغانستان، وأخطرت الاتحاد السوفيتى أن عليه أن يأخذ بعين الاعتبار العواقب الوخيمة لهذا الأمر. لكن الاتحاد السوفيتى نفى وقوع أى نوع من الهجوم. وفى الوقت نفسه وتحديداً فى ٢١ من ديسمبر صرح أندره كروميكف لسفير أمريكا فى موسكو بالقول: "إن هذه التقارير خاطئة ولا نعرف عمّ تتحدثون".

وقبل الهجوم العسكرى توجهت وفود عسكرية كثيرة إلى أفغانستان حتى تدرس عملية الهجوم، وكان أحد هذه الوفود بقيادة الجنرال ألكسى يابيشف، وكان هذا الجنرال قد شارك فى حرب تشيكوسلوفاكيا، وكان قد عرض خطة الهجوم العسكرى على تشيكوسلوفاكيا قبل هجوم الاتحاد السوفيتى على أفغانستان. وفى أبريل ١٩٧٩م وصل يابيشف إلى أفغانستان، برفقته ستة من القادة العسكريين وعدد من الدبلوماسيين الروس ومكث مدة أسبوع فى تلك الدولة، ووصل إلى هذه النتيجة خلال زيارته، وهى أن القوات المسلحة الأفغانية لا تملك القدرة على إدارة البلاد وإقرار النظام فيها؛ نظرا لعدم تأييدها للآراء السياسية والعسكرية لحكومة كابل وانقسامها إلى جماعتى الراية و الشعب، وأن الحل الوحيد لإقرار النظام فيها هو التدخل العسكرى. وحدد كيفية الهجوم. وبعده وصل الجنرال إيوان جى بولوسكى الذى كان أحد قادة القوات البرية الروسية وكان قائداً لإحدى القوات التى هاجمت تشيكوسلوفاكيا، كما اشترك فى العمليات العسكرية فى إثيوبيا والقرن الإفريقى إلى أفغانستان ومعه ١٢ جنرالا و ٥٠ ضابطا آخرون، وظل وفد بولوسكى من منتصف أغسطس حتى منتصف أكتوبر، ووقف على جميع الجوانب. والوفد الآخر الذى جاء إلى أفغانستان فى ٢٨ نوفمبر ١٩٧٩م هو وفد الفريق فيكتور بابوتين. وأنداك كان يشغل منصب النائب الأول لوزارة الداخلية الروسية. وفى ١٣ من ديسمبر غادر أفغانستان، وجمع بابوتين الأخبار والمعلومات اللازمة لتهيئة المجال للتحركات العسكرية الروسية.

وبهذا هياً الاتحاد السوفيتى ما يلزمه للهجوم، وأخيراً نفذ صبره، فحطت طائرات النقل الروسية على جبال الهندكوش فى ٢٤ من ديسمبر، وقامت بإنزال الجنود وسائر المعدات الأخرى فى مطار كابل. وبدأ السوفييت هجومهم الواسع على أفغانستان فى مساء ٢٧ من ديسمبر ١٩٧٩م، وأخضعوا الأماكن المهمة مثل الإذاعة والتليفزيون والاتصالات والطرق المهمة والمطارات والمناطق الحكومية وسائر الأماكن المهمة لسيطرتهم، ثم سيطروا على الطريق المؤدى إلى كابل.

مقتل أمين وتولى كارمل

بعد التدخل العسكرى هاجم عدد من أفراد القوات الروسية قصر دار الأمان فى ٢٧ من ديسمبر، وقاموا بالاستيلاء عليه بعد أن قتلوا الحراس واستولوا على ثمانى دبابات، وقبضوا على أمين الذى كان مستقراً بداخله، ثم أطلقوا عليه الرصاص مع زوجته وابن أخيه وأولاده السبعة وما يقرب من ٢٠ إلى ٣٠ شخصاً من أنصاره، وسقطت حكومة حفيظ الله أمين بهذا الشكل.

وبقتل أمين أصبح بىرك كارمل الذى كان قد عمل منذ فترة على إقامة علاقات طيبة مع الاتحاد السوفيتى رئيساً للحكومة الجديدة. ويقال إنه حتى الأسبوع الأول من شهر يناير ١٩٨٠ لم يكن بىرك كارمل قد وصل إلى أفغانستان بعد، فقد كان سفيراً - فى المنفى - لأفغانستان فى تشيكوسلوفاكيا. على أية حال ادعت كل من حكومة كارمل والاتحاد السوفيتى أن أمين كان واحداً من عملاء وكالة الاستخبارات الأمريكية "سيا"، وأنه قد باع "انقلاب هفت ثور" للولايات المتحدة وباكستان. ونسبوا إليه أيضاً قتل دابس السفير الأمريكى، وقالوا إن هدف أمين من وراء عملية الإرهاب هذه هو إخفاء حقيقة توجهاته الغربية، ووصفته الأحزاب الشيوعية أيضاً بأنه "ناهب أفغانستان"، ولكن هذا الوضع - طبقاً لما قاله المارشال شومان - يثير سؤالاً مفاده: كيف يكون ممكناً أن يكون أمين عميلاً إمبريالياً، ويفرض على بلاده حكومة ماركسية؟! ومع سقوط أمين انتهت فترة حكم حزب الشعب، وأعقبه حزب الراية الذى كان يرأسه كارمل.

أسباب هجوم الاتحاد السوفيتي(*) :

يمكن الوقوف على أهم أسباب الهجوم السوفيتي فيما يلي:

١ - الاضطرابات التي شملت أفغانستان، والضعف الذي كان يؤل إليه النظام الشيوعي:

قوبل انقلاب أبريل سنة ١٩٧٨م بمقاومة شعبية عارمة في بداية الأمر، وكان عدد القتلى الذين أسفرت عنهم حركة المقاومة قليلاً نسبياً (حوالي ثلاثة آلاف)، وبهذا اقتنع الاتحاد السوفيتي أن الأمن قد استقر، وأن الشعب لن يعارض الظروف الجديدة، وليست هناك حاجة لإجراءات طارئة، وعلى الرغم من أنه وقعت بعض مظاهر المقاومة في السنة نفسها، فإن الاتحاد السوفيتي لم يولها كبير اهتمام، لكن تصاعدت حدة

(*) أجملها الدكتور محمد عبد القادر في عدة أسباب، وأعتقد أنها الأسباب نفسها التي حدثت بأمريكا مؤخراً في غزوها لأفغانستان إلى جعلها منطقة لتأمين نفط بحر قزوين وبوابة لعبور خط أنابيب عملاق، وهي :

- ١- أن أفغانستان تعتبر بوابة العالم الإسلامي، والاستيلاء عليها بداية لتطويق الأراضي الإسلامية.
- ٢- استغلال موارد أفغانستان الطبيعية.
- ٣- احتواء الصين.
- ٤- الوصول إلى موارد البترول في الشرق الأوسط.
- ٥- قمع حركات التحرير الإسلامية في الأقاليم الجنوبية في روسيا، كما كان الوضع الدولي والوضع الداخلي لأفغانستان، إضافة إلى زيادة التغلغل الشيوعي لأسباب أخرى مساعدة. انظر: المسلمون في أفغانستان، ص ٦٤ - ٨٤.

- ١- الحيلولة دون سقوط نظام كابل.
- ٢- تثبيت نفوذه في تلك الدولة.
- ٣- الوصول المباشر إلى المياه الدافئة في المحيط الهندي والمياه الدولية.
- ٤- الحيلولة دون وصول المد الإسلامي إلى الاتحاد السوفيتي.
- ٥- كما أنها معبر مناسب للوصول إلى المؤسسات السوفيتية في إثيوبيا واليمن الجنوبية.

هذه المعارضة المقاومة للحكومة الشيوعية منذ أوائل ١٩٧٩م، ووضعت الحكومة فى موقف لا تحسد عليه. وفى مارس ازدادت حدة الاضطرابات وشملت النورستانيين وهراة، وتأججت نار الحرب مع الحكومة، وتم الفتك بعدد من المستشارين والجنود الروس وتمزيقهم إرباً إرباً. وفى شهر أبريل عم الاضطراب منطقة بكتيا، وهاجم الثوار مخافر الحكومة. ورداً على هذه الأعمال قام النظام من جانبه بأعمال القتل فى الشعب، وفى شهر يونية اضطربت أيضاً كابل وقُتل المستشارون والمسئولون الروس، وقام سلاح الطيران بقصف هراة، حتى يتمكن من قمعها، لكن الهجوم العسكرى عاد بنتائج عكسية، وكان لثورة كابل تأثير كبير فى انتفاضة باقى الأقاليم. وفى الثالث من سبتمبر تم غلق طريق كابل المؤدى إلى مزار شريف، وقام الثوار بالسيطرة على المناطق المجاورة لنفق سالنج، وعم الاضطراب إقليم بامير الإقليم الثامن عشر فى أفغانستان، وبزغت روح التمرد فى صفوف الجيش، ورفض القيام بقمع الثورة وإدارة البلاد. وأصبح المستشارون والمواطنون الروس الذين كانوا فى أفغانستان معرضين للخطر، فكان الشعب يفتك بهم أينما وجدهم. وفى ليلة هجوم الاتحاد السوفيتى كان ثلاثة أرباع البلاد تحت سيطرة الثوار، وكان هذا الوضع قد أدى إلى إضعاف حكومة أمين. وفى أواخر سنة ١٩٧٩م أدرك الاتحاد السوفيتى أن أفغانستان قد خرجت تماماً من تحت سيطرة كابل، ولا طاقة للجيش على إقرار الأوضاع مرة ثانية. وفى ديسمبر ١٩٧٩ كانت رؤية الاتحاد السوفيتى للأوضاع فى أفغانستان - بناء على تصريحات الجنرال باولوفسكى قائد القوات البرية - كالاتى: نظام أمين على وشك السقوط، ولم تعد هناك أية قاعدة سياسية للجيش، ولم يعد قادراً على مواجهة الثوار، والاقتصاد منهار. وبناء على هذا فإن التدخل العسكرى من وجهة نظر الروس كان أمراً ضرورياً، لأن النظام إن أجلاً أو عاجلاً سيؤول إلى السقوط، وليس معلوماً ما سيؤول إليه الأمر.

ومن الممكن اعتبار الخلافات الشرقية والغربية، والخلافات الداخلية فى الحكومة، والتنافس لكسب مزيد من السلطة، والأهم من كل هذا مظاهر التغيير الماركسى التى طرأت على المجتمع الأفغانى، كانت وراء هذه الاضطرابات، فكانت الحكومة قد بدأت فى القيام بأعمال شيوعية لا تتوافق مع الإسلام؛ فهب المجتمع الأفغانى المسلم حتى النخاع لمواجهة هذه التغييرات الشيوعية بكل ما أوتى من قوة.

٢- انتصار الثورة الإسلامية الإيرانية:

كان وقوع الثورة الإسلامية في إيران شيئاً جديراً بالاهتمام من جانب الاتحاد السوفيتي من زاويتين:

أ- تأثير الثورة الإسلامية على أفغانستان، وتأثيرها المحتمل على الجمهوريات الإسلامية الواقعة في الاتحاد السوفيتي. وكان الاتحاد السوفيتي يرى أن الثورة الإسلامية سيكون لها تأثير مباشر على أفغانستان، ومن ثم سينسحب هذا التأثير على الجمهوريات الإسلامية السوفيتية، ولذا يجب أن توضع أفغانستان تحت السيطرة حتى تكون صمام الأمان الذي يمتص تأثير الثورة الإيرانية.

ب- أدت الثورة الإيرانية إلى حدوث خلل في ترتيبات الشرق الأوسط، وتدخلت أمريكا والغرب في قضاياها، ورأى الاتحاد السوفيتي أن هذه هي الفرصة الذهبية؛ فالعالم مشغول بإيران وقضاياها، وليس لديه فرصة للالتفات إلى أفغانستان.

٣- الميل النسبي الذي أبداه أمين تجاه الغرب:

بعد أحداث المؤامرة التي دبرها تراه كي للإطاحة بأمين، والتي أودت في النهاية بحياة تراه كي نفسه، انتبه أمين إلى سوء الاتحاد السوفيتي بالنسبة له، فاتجه إلى عقد صداقات مع الغرب.

٤- الوصول إلى المياه الدافئة في الجنوب:

طبقاً للوصية المنسوبة إلى "بتركبير" كان أحد الأهداف الأساسية للسياسة الخارجية الروسية هو الوصول إلى المياه الدافئة في الجنوب، وكان الهجوم على أفغانستان يعد خطوة في سبيل تحقيق هذا الهدف.

٥- الدفاع عن الأيديولوجية الماركسية:

طبقاً للمبادئ الفكرية الماركسية فإنه، لا يحق لأى دولة دخلت فى نطاق الاشتراكية أن تتراجع ؛ أى أن المجتمع الذى حقق نهضة فكرية وقام بثورة عمالية، ويدخل مرحلة الثورة الاشتراكية لا يمكن له أن يرجع مرة ثانية من حيث أتى. وكان سقوط حكومة أمين يعد فى الواقع رجوعاً إلى الأيام الخالية، وفى حالة ارتداد أفغانستان عن الأفكار الاشتراكية فإن هذا الأمر سيهيئ المجال لدول أخرى أن تحنو حنو أفغانستان، لذا كان الاتحاد السوفيتى مضطراً إلى كسر حكومة كابل التى كانت معروفة بأنها حكومة شيوعية.

٦- الحفاظ على الحدود السوفيتية:

كان الاتحاد السوفيتى يظن أنه مع سقوط حكومة أمين ستأتى حكومة تكون تابعة لباكستان وأمريكا، وستتحول أفغانستان إلى قاعدة لضرب الاتحاد السوفيتى، وبهذا يتهدد أمن الحدود السوفيتية، فظهر للاتحاد السوفيتى أنه يجب أن يبقى النظام الأفغانى على ولائه له من أجل تأمين حدوده.

مقاومة الشعب إزاء الاعتداء:

كان الجيش السوفيتى معروفاً بالجيش الأحمر، وقد ارتكب فظائع يشيب لها الولدان، وكان هذا الجيش مشهوراً بقسوته المفرطة؛ فلا يرحم أى شخص أو أى شىء. وأينما حل كان يلقي الرعب فى قلوب عدوه، وأحياناً كان العدو يلقي السلاح ويعلن الاستسلام، فعندما ثارت ألمانيا الشرقية وتشيكوسلوفاكيا والمجر ضد السيادة الروسية تدخل الجيش الروسى، وبعد ثلاثة أيام هدأت الأوضاع لصالح الاتحاد السوفيتى. وكان الاتحاد السوفيتى يعتقد أنه سيتمكن فى أفغانستان خلال عدة أيام من تحقيق ما يصبو إليه؛ نظراً لما لجيشه من صيت ذائع وشهرة مدوية، لكن رغم دخول

ما يربو على ١١٠ آلاف جندي روسي مدججين بأحدث الأسلحة فإنهم لم يتمكنوا مطلقاً من السيطرة عليها. إن مساحة الاتحاد السوفيتي تزيد عن مساحة أفغانستان قرابة ثلاثين مرة، كما يربو عدد السكان الروس على عدد السكان الأفغان حوالي خمس عشرة مرة أيضاً، هذا بالإضافة إلى الإمكانيات العسكرية والصناعية الهائلة . لكن على الرغم من كل هذه الإمكانيات، فقد هب الشعب الأفغاني بعد دخول السوفييت أرضه للنضال ضد جيش نظام كابل والجيش السوفيتي مستخدماً في ذلك أبسط الأسلحة، فكانت هذه الأسلحة عبارة عن مجموعة من البنادق التي كانت تستخدم في الحربين العالميتين الأولى والثانية. ودخلت الأحزاب السياسية - التي لم يكن لها مكان في أفغانستان - الواحد تلو الآخر ساحة المعركة، ونظمت حركة النضال الشعبي، ولم يتمكن الاتحاد السوفيتي - على الرغم من إمكانياته الهائلة التي كان يمتلكها - من قمع الشعب وتحقيق استقرار الأوضاع.

كان بعض المسؤولين الروس يرى أن التدخل العسكري في أفغانستان مخاطرة كبيرة، وقد تبلورت هذه النتيجة بسرعة، فمنذ يونية سنة ١٩٨٠م عندما سعى الاتحاد السوفيتي إلى التوصل إلى حل سلمي بات واضحاً أن القادة الروس قد خلصوا إلى هذه النتيجة، وهي أن جيش الاتحاد السوفيتي قد وقع في حرب دموية غير واضحة النهاية، وليس معلوماً ما سيجري عليها. وقد اعترف "بريجنيف" نفسه بضعف نظريته العسكرية والسياسية تجاه أفغانستان، لكن لم يكن هناك مجال لإنقاذ الجيش من أفغانستان، وكان قد توفي في نوفمبر ١٩٨٠م، وشغل مكانه أندروبوف الذي كان رئيساً لـ "ك - ج - ب". وطبقاً للمعلومات التي وصلت عن طريق "ك - ج - ب" توصل إلى هذه النتيجة، وهي أن الهجوم السوفيتي على أفغانستان كان خطأ . وكان ينوي سحب قواته من أفغانستان بالتعاون مع الغرب، لكن عمره كان قصيراً فمات في فبراير ١٩٨٤م. ولم يكن تشرنيكو موافقاً هو الآخر على الوجود العسكري السوفيتي في أفغانستان، إلا أنه مات في مارس ١٩٨٥م ولم يتخذ أي إجراء لإخراج القوات السوفيتية، إلا أن أندروبوف وتشرنيكو كانا قد فتحا الطريق أمام جورباتشوف ليطالب بخروج القوات العسكرية الروسية، وفي يولييه ١٩٨٦م اعترف علانية بأن أفغانستان قد أصبحت جرحاً دامياً بسبب السياسة السوفيتية.

ظل بىرك كارمل حتى سنة ١٩٨٦م رئيسا شرفيا لا نفوذ له لجمهوريه أفغانستان؛ فلم تكن له أية سلطة عملية. وكان يقال عن كارمل إنه ليس فقط عميلا روسيا بل إنه يعتبر أيضا سجيننا روسيا. فطبقاً لما ورد فى وثائق وزارة الخارجية الأمريكية كان حرس القصر القديم الذى كان يعيش فيه كارمل من الجنود الروس، كما أن حرسه الخاص وكبير الطهارة والسائق والطبيب، إضافة إلى ستة من مستشاريه الأساسيين كانوا جميعاً من الروس، واستمر الأمر هكذا لسنوات طويلة . وطبقاً لهذا التقرير ذكر دبلوماسى أفغانى فى خريف ١٩٨٠م أنه لا يسمح لكارمل أن يكتب الخطاب الذى يلقيه، فكل شىء واقع تحت السيطرة الروسية، ويشرف المستشارون والعسكريون الروس على ما يتعلق بكارمل . ولم يحدث فى عهده أى تغيير ذى أهمية.

ومنذ أن تولى جورباتشوف رئاسة الاتحاد السوفيتى قام بطرح سياساته الجديدة للانسحاب العسكرى من أفغانستان، فقام بعزل بىرك كارمل فى مايو ١٩٨٦م وولى الدكتور نجيب الله الذى كان هو الآخر من أعضاء حزب الراية ورئيس الشرطة السرية الأفغانية.

ومع تولى نجيب الله كان الجو قد تهيأ للانسحاب العسكرى الروسى، وحتى يتمكن نجيب الله من مقاومة المجاهدين بعد خروج القوات الروسية قام بإجراءين:

١- قام بتدريب وتجهيز الجيش الأفغانى حتى يجبر ما لحقه من ضعف.

طبقاً لما جاء فى الأطروحة السياسية الاجتماعية لجورباتشوف "كلاسنوست"، وطبقاً للمبادئ الاقتصادية التى تبناها جورباتشوف "البروسترويكا" تمكن نجيب الله من القيام بمناورة جديدة . فتمكن من تنحية الدعاية المذهبية، بما فى ذلك تلك الدعاية التى هى ضد الدين الإسلامى، ومن ناحية أخرى تمكن من إنهاء الإجراءات الشيوعية، وغير الخطة الاقتصادية وباقى الأساليب الشيوعية الأخرى حتى يكسب بهذا الشكل الرأى العام فى صفه.

وبناء على هذا تمكن من القضاء على كل الأفكار الشيوعية تدريجياً، وقام بعملية تصفية وتنقيح لكل ما يروج له من أفكار شيوعية في الإذاعة والتليفزيون والكتب الدراسية والمراكز التعليمية المختلفة، وأعقبها بنشر التعاليم الإسلامية. وكان نجيب الله قد قام هو ونظامه بتعقب الإسلاميين، وكان يعتقل علماء الدين ويذيقهم صنوف العذاب، وقد أصبح رويداً رويداً عابداً مراعيّاً للجوانب الظاهرية من الدين، فكان يصلى ويصوم ويحج ويسبح الله ويقرأ القرآن ... وقد امتصت هذه الإجراءات التدريجية من جانب نجيب الله الكثير من عملية المقاومة التي كانت موجهة ضده. وعلى الرغم من أنه لا ينسى أحد ماضيه، وعلى الرغم من وقوع نجيب الله تحت سطوة الاتحاد السوفيتي فإنه - على أية حال - كان قد هباً الجو الذي تمكن به من الحفاظ على مكانة الحكومة، وحال دون وقوع البلاد في قبضة المجاهدين حال انسحاب القوات العسكرية الروسية.

اتفاقيات جنيف

عقدت اتفاقيات جنيف في أبريل سنة ١٩٨٨م. وكانت أطراف هذه الاتفاقيات دول أفغانستان، وباكستان، والاتحاد السوفيتي، والولايات المتحدة الأمريكية، والأمم المتحدة. وبناء على ظاهر الأمر كانت أفغانستان وباكستان تمثلان الأطراف الأساسية، وكانت أمريكا والاتحاد السوفيتي هما الضامتان لتنفيذ هذه الاتفاقيات، وكانت هذه الاتفاقيات في الأساس اتفاقيات تعاون بين أمريكا والاتحاد السوفيتي بشأن أفغانستان بهدف التوصل إلى حلول سلمية غير عسكرية، ومثلما أنهى اتفاق باريس الحرب الأمريكية في فيتنام، كان يُنتظر طبقاً لاتفاقيات جنيف أن تحل قضية أفغانستان بطريقة سياسية وسلمية، فيسحب الاتحاد السوفيتي قواته من أفغانستان، وتوقف أمريكا دعمها للجماعات المعارضة للحكومة الأفغانية، ويخرج الاتحاد السوفيتي من أفغانستان بشكل يحفظ له ماء وجهه.

وبالفعل بدأ خروج القوات الروسية من أفغانستان في ١٥/٥/١٩٨٨م، وتقرر أن يكتمل هذا الانسحاب في خلال عشرة أشهر، ووفقا لمعطيات هذه الاتفاقية كان خروج آخر جندي للاتحاد السوفيتي في ١٥/٢/١٩٨٩م.

وكان متوقعا أن يسقط نظام كابل بعد خروج القوات السوفيتية من أفغانستان؛ ولهذا فقد حدد المجاهدون وقتاً لكل مدينة في أفغانستان ليستولوا خلاله عليها بعد خروج الروس مباشرة، وكان متوقعا سقوط نظام كابل في يد المجاهدين في غضون شهر على الأكثر.

لكن على الرغم من هذه التوقعات وتوقعات كثير من المحليين لم يسقط نظام كابل بعد خروج القوات السوفيتية. ويمكن استنتاج أسباب عدم سقوط نظام كابل بعد خروج القوات السوفيتية مباشرة من المواضع التالية:

١- قام الاتحاد السوفيتي بدعم نظام كابل، وحاول تلبية احتياجاته من السلاح علاوة على تفويض حماية المناطق الأفغانية للقوات الأفغانية المدربة، وقبل الخروج من المناطق تم تسليمها على سبيل التجربة لقوات الجيش الأفغاني حتى يتمكن من معرفة نقاط الضعف.

٢- بعد خروج الاتحاد السوفيتي، انخفض الدعم الدولي للقضية الأفغانية بشكل تدريجي، ولم يعد أحد يهتم بها، ولذا انقطعت المساعدات التي كانت تصل إلى المجاهدين، وتقلصت قدرتهم العسكرية والاقتصادية والسياسية، بينما كان نظام كابل في حالة دعم كامل من قلب الاتحاد السوفيتي.

٣- في العادة يؤدي الهجوم الأجنبي إلى اتحاد داخلي، فعندما تدخل الاتحاد السوفيتي وقفت عناصر الشعب والأحزاب والجماعات المختلفة للمجاهدين من شيعة وسنة صفاً واحداً حتى يواجهوا العدو المشترك، لكن بعد القضاء على العدو الأجنبي، تفككت وحدة الصف الداخلي بين الجماعات والأحزاب، ومن هنا انفرط عقد المجاهدين ولم يتمكنوا من مهاجمة النظام واستئصال شأفته.

٤- زيادة الأنشطة الدعائية للنظام فى كابل مكنته من القيام بدعاية إسلامية جعلت الرأى العام يلتفت إليه إلى حد ما، وذلك بغض النظر عن الأنشطة والدعاية الإسلامية الواسعة التى حاول النظام أن يظهر من خلالها فى صورة راعى الإسلام، وعمل على جذب اهتمام الجماعات الإسلامية، وقام أيضاً بعرض مصالحه وطنية وكان ذلك سنة ١٩٨٧م . بناء على هذا بدأت مرحلة انعطاف فى سياسة الحكومة مستفيدة فى ذلك من الدعاية الإسلامية وطرح المصالحة الوطنية، وترتفع شعبية الحكومة وتتجه إلى دعوة المجاهدين للمصالحة الوطنية، ولكن المجاهدين لم يكونوا على استعداد للتفاوض مع نظام كابل، فلعلهم كانوا يعتبرونه داعى حرب .

٥- لم تبد أمريكا رغبة فى تشكيل حكومة إسلامية ، لأن حكومة كابل كانت فى ذلك الوقت فى حالة سقوط، وكان سقوطها سيسجل انتصاراً آخر فى سجل المجاهدين وستكون زعامة الحكومة الإسلامية أكثر قوة، وهذا ما لا ترضى عنه أمريكا، ولم يكن الاتحاد السوفيتى كذلك أيضاً ليرضى عن مثل هذه الحكومة، وبهذا اتفقت المصلحة الأمريكية والسوفيتية، ولم يتورعا عن أى محاولة تعرقل انتصاراً آخر سيكون فى صالح المجاهدين.

أسباب الانسحاب العسكرى الروسى :

كان انسحاب الاتحاد السوفيتى من أفغانستان له أسباب بسيطة حيناً وأسباب أخرى قوية حيناً آخر، وإليك هذه الأسباب :

١- المقاومة المستميتة من جانب الشعب والمجاهدين الأفغان، وعجز الاتحاد السوفيتى عن قمع المقاومة الإسلامية، وعدم نجاحه فى خلق وجود هادئ بعيد عن أى ضجة.

٢- كان الوجود الروسى يجعل المشروعية السياسية الاجتماعية لنظام كابل موضع استفسار .

٢- قوبل الوجود الروسى بمعارضة شديدة، وتمت إدانته بشدة من جانب الدول الإسلامية، وخاصة إيران.

٤- أدانت دول العالم الثالث هذا الوجود وطالبت بخروج القوات السوفيتية.

٥- أدانت المنظمات الدولية ومن بينها حركة عدم الانحياز، ومنظمة المؤتمر الإسلامى، وهيئة الأمم المتحدة، الوجود الروسى وطالبت بانسحاب الاتحاد السوفيتى.

٦- طالبت دول أوروبا الغربية بالانسحاب الروسى الكامل.

٧- أدانت الدول المتحضرة التدخل الروسى وطالبت بانسحاب الاتحاد السوفيتى

٨- على الرغم من أن الدول والأحزاب الشيوعية قد نافقت الاتحاد السوفيتى وصممت فى الظاهر، فإنها أعربت عن استهجانها وقلقها ومعارضتها للعملية الروسية فى الباطن.

علاوة على هذا:

- كان الوجود العسكرى الروسى منافياً للمزاعم السياسية الاجتماعية المضادة للإمبريالية التى يتبناها الاتحاد السوفيتى.

- كان هذا الوجود عقبة كبيرة فى سبيل تنمية العلاقات السوفيتية مع دول العالم الثالث، وخاصة الدول الإسلامية.

- كان الغرب يتذرع لوجوده سياسياً فى المنطقة بإجراءات كان الهدف منها الحفاظ على وجوده.

- لم يكن لدى الجنود الروس الدافع لخوض حرب فى أفغانستان.

- كانت قد قويت تعبئة المشاعر المضادة للشيوعية على إثر التدخل الروسى فى أفغانستان.

وكانت هذه هى الأسباب العامة والبسيطة، وإليك الأسباب الأساسية الأخرى:

١- كان الاتحاد السوفيتى فى حالة انهيار، فعلى الرغم من أن كثيراً من دول العالم لم تكن لتصديق أمر انهيار الاتحاد السوفيتى سنة ١٩٨٨ - ١٩٨٩م؛ فإن الزعماء

الروس أدركوا أن بلدهم سينهار بسرعة. وكان الانهيار الذي ضرب الاتحاد السوفيتي شاملاً، يتمثل في الناحية الاقتصادية والسياسية والثقافية والأيدولوجية، وكان الاقتصاد أكثر الجوانب سحقاً وتدهوراً. وكان الاتحاد السوفيتي يحاول إنقاذ نفسه من السقوط والتدهور فقام بإجراءات إصلاحية كان من بينها الخروج من أفغانستان، التي كلفته ميزانيات طائلة، كانت تصل سنوياً إلى ثلاثة أو أربعة مليارات دولار، وعرضت شعبيته السياسية للتساؤل، كما أدت به إلى حالة واسعة من التذمر الداخلي؛ فكان مضطراً للانسحاب من أفغانستان، حتى يخفف من حدة الضغط الاقتصادي والسياسي، وملاحقة الرأي العام، والضغط الخارجي على بلاده، ولو لم يقع الاتحاد السوفيتي في مشكلة داخلية من جراء هذا الأمر لكان واصل المسير في احتلال أفغانستان.

٢- لم ينل الاتحاد السوفيتي شيئاً من أفغانستان، والواقع أن أفغانستان ليس فيها شيء يناله أحد، فهي أولاً دولة فقيرة، وشعبها شديد النفور من الوجود الأجنبي، وعلى الرغم من أن الاتحاد السوفيتي قد استثمر الكثير في أفغانستان فإنه لم يجن شيئاً، بل إنه حصد الكثير من الأضرار الجسام، وفي النهاية حاول أن ينقذ نفسه من هذا المستنقع. وحتى الإنجليز أيضاً لم يستفيدوا شيئاً من أفغانستان سوى أنها كانت قلعة تصد المغيرين على الهند.

٣- المقاومة الضروس من جانب الشعب إزاء القوات السوفيتية، والتي لم ير الاتحاد السوفيتي لها مثيلاً في أية دولة أو منطقة قام بمهاجمتها، كان الاتحاد السوفيتي يعتقد أن أفغانستان ستكون على الأكثر -من الناحية السياسية والاجتماعية- مثل جمهوريات آسيا الوسطى التي وقعت منذ أوائل القرن التاسع عشر تحت السيادة الروسية. وقد ثارت هذه الجمهوريات في العقد الثاني من القرن العشرين ضد السلطة السوفيتية والشيوعية، لكن تم قمع هذه الثورة التي عرفت بثورة عمال المطابع عن طريق قوات الاتحاد السوفيتي. لكن أفغانستان هبت بكل فصائلها القومية المختلفة لمواجهة السوفييت الذين لم يتمكنوا من تحقيق أطماعهم في أفغانستان. وكلما مرت الأيام لم تصبح الأوضاع في أفغانستان أكثر تفاقمًا فقط، بل كان يزداد تبلور الأحزاب

وجماعات المقاومة ويتسع نطاق النضال الشعبى، هذا فى الوقت الذى لم يكن للجنود الروس أى دافع لخوض غمار هذه المعارك.

٤- كان يقال للجنود الروس إنهم سيحاربون فى أفغانستان الباكستانيين والسعوديين والأمريكيين والإمبرياليين، لكنهم بعد دخولهم أفغانستان رأوا أنهم يقاتلون أناساً يرزحون تحت وطأة الفقر المدقع ويدافعون عن وطنهم، ولهذا تضاعف الدافع المحرض لدى الجنود الروس لأنهم لم يصلوا إلى شىء، ومن ناحية أخرى توهج حماس الشعب والمجاهدين وقوات المقاومة، وكان لديهم الاستعداد، حيث إن قتالهم ضد إحدى القوى العظمى - آنذاك - سيحقق لهم النصر وسيدافعون عن سيادة أراضيهم ، وإذا لم يتمكن السوفييت من قمع هذه المقاومة.

سقوط نظام نجيب الله :

استمر الجنرال نجيب الله فى الحكم منذ انسحاب القوات الروسية من أفغانستان فى ١٥/٢/١٩٨٩م وحتى أوائل سنة ١٩٩٢م. وفى سنة ١٩٩٠م كان الاتحاد السوفيتى قد بلغ غاية الضعف. وفى نهاية سنة ١٩٩١م اختفى تماماً من خريطة الوجود. ولم يدم نظام نجيب الله عدة أشهر بعد سقوط الاتحاد السوفيتى، فقد انخفضت مساعدات الاتحاد السوفيتى لأفغانستان منذ سنة ١٩٩٠م وما تلاها بشكل تدريجى. ومع سقوط حكومة الاتحاد السوفيتى انقطعت تماماً هذه المساعدات، ولم تستطع أية جمهورية أن تخلف الاتحاد السوفيتى وتنهض لدعم نظام نجيب الله. ومنذ أواخر سنة ١٩٩١م وحال النظام يتحول من ضعف إلى أضعف. وانضم عدد من العسكريين والقوات الموالية إلى المجاهدين، وكانت أهم القوات التى انضمت إلى صفوف المجاهدين هى قوات شمال أفغانستان التى كان يتزعمها الجنرال بوستم. وبانضمام الجنرال بوستم إلى المجاهدين أصبحت الولايات الشمالية فى أفغانستان تحت سيطرة المجاهدين . وفى بداية سنة ١٩٩٢م سقط نظام نجيب الله، وكان نجيب الله قد نوى الفرار من كابل، لكن قوات المجاهدين أو القوات الموالية لها - وخاصة العسكريين الذين لحقوا بالمجاهدين - حالت دون خروج نجيب الله. وكان مبعوث السكرتير العام لهيئة

الأمم يعمل على إخراج نجيب الله من كابل، وأحياناً كان يحاول الخروج إلى الهند؛ نظراً لأنه قد أرسل إليها من قبل امرأته وابنه، وبسبب فشل خطة إخراج نجيب الله فقد حملوه إلى مكتب هيئة الأمم وظل هناك لفترة ، وبهذا الشكل تم وضع نهاية للحكومات الشيوعية في أفغانستان.

تشكيل حكومة المجاهدين الأفغانية:

سقط نظام محمد نجيب الله سقوطاً كاملاً في بداية سنة ١٩٩٢م، وأنداك لم تكن هناك مقاومة تذكر، واستولى المجاهدون بجهد غير كبير على كابل. وبعد الاستيلاء على كابل تجمع زعماء المجاهدين، وتم تشكيل الحكومة الأفغانية بزعامة "صبغت الله مجددي" زعيم "حزب الإنقاذ الوطني الأفغاني".

وكان قد سبق هذا توقيع زعماء المجاهدين على اتفاقية في بيشاور، تحدد بمقتضاها أن يتولى "صبغت الله مجددي" رئاسة الحكومة المؤقتة لمدة شهرين، ثم تأتي بعدها حكومة أخرى لمدة أربعة أشهر تحت زعامة "برهان الدين رباني" زعيم حزب "الجمعية الإسلامية الأفغانية"، وخلال هذه الفترة يتم التحضير لانتخاب حكومة تالية. وقد تم مراعاة هذه الاتفاقية لمدة شهرين آخرين، وبعد ذلك أصبح برهان الدين رباني رئيساً للحكومة الأفغانية المؤقتة. وكانت زعامة هذه الحكومة "لعبد الصبور فريد" من الحزب الإسلامي التابع لحكمتيار، وتم تقسيم باقى المناصب والمسئوليات بين أحزاب وجماعات المجاهدين، وبعد مدة قصيرة تم تنحية فريد وبدأ النزاع.

الحرب في كابل:

في صيف ١٩٩٢م اشتعلت نار حرب ضروس بين فصائل المجاهدين في كابل، ودارت رحى الحرب الأساسية بين قلب الدين حكمتيار زعيم الحزب الإسلامي وبرهان

الدين ربانى زعيم الجمعية الإسلامية، وقام حكمتيار بإمطار مدينة كابل بوابل من النيران وقصفها بالصواريخ، وقامت الحكومة بزعامة برهان الدين ربانى بمناجزته ومقاومته.

وكانت ذريعة حكمتيار فى الهجوم على كابل توحيد الميلشيا الأوزبكية بزعامة الجنرال رشيد دوستم فى كابل، وكان يرى أن هذه الميلشيا كانت فيما مضى جزءاً من الجيش الشيوعى فى كابل، وأنها كانت تناصب المجاهدين العداء، والآن يجب طردها من كابل، لكن الهدف الأساسى كان الاستيلاء على كابل، وإسقاط حكومة ربانى وتشكيل حكومة جديدة. وكان سبب الإبقاء على الميلشيا الأوزبكية هو أنه كان لها تاريخ من التعاون مع حكومات سابقة أخرى، وكان لهذه القوات دور فعال ومؤثر فى كابل، وقد حالت دون تقدم قوات حكمتيار إلى داخل المدينة، وفى حالة خروج هذه القوات من كابل كان حكمتيار سيستطيع بسهولة أن يسيطر على المدينة، ويصل إلى الحكم، وقد كان العسكريون من البشتون الذين كانوا يخدمون فى المنظمة الشيوعية فى كابل كانوا قد انضموا بصفة عامة إلى حكمتيار، ومن هؤلاء الجنرال شهنواز تتانى أسلم وطنجا وآخرون، ولحق البعض الآخر من هؤلاء العسكريين بربانى.

والى جانب الحرب التى كانت بين حكمتيار وربانى دارت رحى حرب أخرى بين حزب الوحدة الإسلامية الأفغانى وحزب الاتحاد الإسلامى الأفغانى بزعامة عبد الرسول سياف. وقد بذل حزب الاتحاد الإسلامى محاولات جمة للسيطرة على مواقع حزب الوحدة الإسلامى، وإخراج زعماء هذا الحزب من المدينة والقضاء عليه. وعلى الرغم من أن هذا الأمر قد أسفر عن خسائر فادحة فإنه لم يحقق أية نتيجة بل إنه فقد بعض مواقعه. وقد قام حزب الاتحاد الإسلامى بإمطار مناطق الشيعة بنيران كثيفة، تهدم على إثرها الكثير من المنازل وأسفرت عن جرح وقتل عدد كبير من الشيعة.

وأسفرت حرب المجاهدين عن مظاهر دمار شامل أهمها ما يلى:

١- خربت الحرب أكثر من نصف مدينة كابل، وخلفت دماراً شاملاً.

٢- أصيب الاقتصاد الأفغانى الواهن بمشاكل مزمنة؛ لأن القصف الصاروخى والنيران الكثيفة كانت تغطى كل مناطق المدينة، الأسواق والأماكن الآهلة بالسكان وورش الإنتاج ومراكز الصناعة والمحلات ...إلخ.

٣- أصبحت الحكومة فى أفغانستان أكثر ضعفاً حيث شقت سائر المناطق عصا الطاعة على الحكومة المركزية.

٤- الأهم من كل هذا أن شعبية المجاهدين قد تدهورت بشدة، لقد كان الشعب الأفغانى ولفترة طويلة ينتظر بفارغ الصبر تشكيل الحكومة الإسلامية بزعامة المجاهدين، لكن الحرب فى كابل وفى بعض المناطق الأخرى جعلته يغير رأيه، فلا يتفاعل خيراً تجاه المجاهدين، واعتبر المجاهدين طلاب سلطة.

وفى سنة ١٩٩٢م تم تأسيس مجلس يدعى مجلس الحل والعقد من جانب برهان الدين ربانى، وكان أحد أعمال هذا المجلس انتخاب ربانى لرئاسة جمهورية أفغانستان لمدة عامين، ولهذا السبب دخلت الأحزاب الأخرى ومن بينها حزب حكمتيار الإسلامى الذى لم يكن راضياً عن هذا الانتخاب، فى حرب شعواء مع ربانى. كما شن حرباً أخرى لا تقل ضراوة عن الأولى فى أواخر شهر دى وأوائل شهر بهمن من العام نفسه على مدينة كابل. وقد أسفرت هذه الحرب عن خسائر فادحة، وضعت مصير الحكومة والبلاد فى هوة سحيقة. ومنذ سنة ١٩٩٣م، وخاصة سنة ١٩٩٤م تغيرت مواقف الجماعة وتبلورت طبقات جديدة، واشتعلت نيران الحرب على نطاق أوسع.

تشريع القانون فى أفغانستان:

ترجع مسيرة سن القانون وتدوينه فى أفغانستان إلى أوائل القرن الحالى، فتم تدوين أولى مبادئ الدستور فى البلاد منذ أوائل القرن العشرين.

وقد تم إعداد أول دستور فى أفغانستان خلال مدة وجيزة بعد استقلال أفغانستان سنة ١٩١٩م تحت اسم لائحة الدستور الأفغانى، إلا أنه لم ينفذ. وقد تم إعداد هذا القانون فى عهد أمان الله خان سنة ١٩٢٣م، وهو يشتمل على ٧٣ مادة. وقد

خضعت بنوده للمناقشة والدراسة من جانب ٨٧٢ ممثلاً عن الفصائل والقبائل المختلفة. وفي البداية تمت معارضته، ثم أضيفت إليه مواد أخرى وتم إجراء تعديلات فيه.

وفي عهد محمد نادر شاه سنة ١٩٢٠م تم وضع دستور بشكل أكثر وضجاً تحت لائحة الدستور، وتم التصديق عليه في سنة ١٩٢١م، وكانت هذه اللائحة تضم ١١٠ مواد اقتبست من دساتير إيران وتركيا وفرنسا.

كانت بعض مواد هذا الدستور قد اقتبست كما هي من دستور ١٣٠٢هـ، ثم أضيفت إليها مواد أخرى. وفي سنة ١٣٤٣هـ. ش تم تنظيم الديمقراطية وحقوق الإنسان والحريات السياسية والاجتماعية، وكان هذا الدستور صورة مكملة لدستور ١٣١٠هـ. ش، وبمقتضى هذا الدستور تم الفصل بين القوى الثلاث (التشريعية، والتنفيذية، والقضائية)، وتم تقليص الصلاحيات المخولة للأسرة الملكية، وتم منعها أيضاً من شغل المناصب المهمة. وفي سنة ١٣٤٧هـ. ش تمت إضافة أجزاء أخرى إلى هذا الدستور.

وفي سنة ١٣٥٢هـ. ش، بعد الانقلاب الذي قام به الجنرال محمد داود خان ضد ظاهر شاه، والذي انتهى بسقوط النظام الملكي وإقامة النظام الجمهوري أصبح الدستور الذي تم إعداده في العهد الملكي ملغى، ولهذا تم تدوين الدستور من جديد في سنة ١٣٥٥هـ. ش، وتغيرت القوانين المتعلقة بالأسرة الملكية والنظام الملكي، وتم إدخال مواد جديدة. وكان هذا الدستور عبارة عن ١٢ فصلاً و١٢٦ مادة. وقد صدق عليه المجلس سنة ١٣٥٦هـ. ش، وفيما بعد أصبح هذا الدستور أكثر شمولاً، وأضيفت إليه مواد أخرى كثيرة. وقد أخذ كثير من مواد دستور داود خان عن دستور ١٣٤٣هـ. ش إلا أنه تبلورت فيه الأسس الاشتراكية، فأصبحت الاستثمارات الكبرى، والتأمين، والشحن البري والجوي، والآثار القديمة والتاريخية، والصناعات الغذائية وغيرها تابعة للدولة.

وفي سنة ١٣٥٧هـ. ش سقط نظام داود خان، وأمسك النظام الشيوعي بزمامة تره كي بزمام الأمر. ومع تولى النظام الجديد مقاليد الأمور ألغى الدستور السابق، وتم وضع قوانين وأساليب إدارية عامة للبلاد تتوافق والأفكار الشيوعية، وحتى سنة ١٣٥٨هـ. ش لم يكن الدستور قد أعد بعد، ويعد غزو الاتحاد السوفيتي لأفغانستان وتولى ببرك

كارمل تم إعداد دستور جديد في سنة ١٣٥٩هـ.ش / ١٩٨٠م من جانب مجلس الثورة، وكان هذا الدستور يضم عشرة فصول وثمانياً وستين مادة. وتم تنظيم هذا الدستور وفقاً لأفكار الشيوعية ومبادئها وممارساتها.

وبعد تنحية ببرك كارمل وتولى محمد نجيب الله سنة ١٣٦٥هـ.ش / ١٩٨٦م تم إعداد دستور جديد. وهذا الدستور لا يختلف كثيراً عن الدستور الذي تم إعداده في عهد ببرك كارمل. وقد راعى هذا الدستور الجديد ما طرأ على العلاقات بين الاتحاد السوفيتي وأفغانستان من تطور، وأخذ في الاعتبار إلى حد ما الظروف الداخلية في أفغانستان.

يضم هذا الدستور ١٣ فصلاً و١٤٩ مادة، وتم التصديق عليه من جانب مجلس الأعيان القبلي في سنة ١٣٦٦هـ.ش / ١٩٨٧م. وفي سنة ١٣٦٩هـ.ش / ١٩٩٠م تم تشكيل مجلس آخر، وطرأت عليه تعديلات جديرة بالاهتمام. وطبقاً لهذا الدستور وما طرأ عليه من تعديل تغير اسم دولة أفغانستان أولاً من جمهورية أفغانستان الديمقراطية الشعبية إلى جمهورية أفغانستان الديمقراطية، ثم تغير ثانية إلى جمهورية أفغانستان. وقيل إن هذا الدستور كان قائماً على أحكام الإسلام، وقد اعترف في أحد مواده أن الإسلام هو الدين الرسمي للبلاد. وقد اشتهر هذا الدستور بدستور المصالحة الوطنية.

وطبقاً لهذا الدستور الجديد وما طرأ عليه من تعديل، بقيت الملكيات الأساسية مؤمنة كما هي، لكنه تم الاعتراف في المجالات الأخرى بالاقتصاد المختلط الحكومي والخاص، وكانت شركات القطاع الخاص جنباً إلى جنب مع الشركات الحكومية في الشئون المصرفية، والتأمين، والشحن الجوي والبري. وتم السماح أيضاً للبنوك والشركات الأجنبية بالعمل في أفغانستان.

وفي بداية سنة ١٣٧١هـ.ش / ١٩٩٢م سقط نظام نجيب الله، وجاءت الحكومة الإسلامية، وألغى الدستور، وتم إعلان تطبيق الشريعة الإسلامية في أفغانستان. ثم بدأت جلسات ومحادثات لإعداد دستور جديد، إلا أنه حتى الآن (مهرماه ١٣٧١هـ.ش) لم يتم إعلان أو نشر أي دستور.

وعلى مدى القرن الأخير تم وضع القوانين من جانب الحكومات بشكل دائم، وتم التصديق عليها أيضاً من جانب مجالس الأعيان القبلية التي كانت تنظمها الحكومات.

التقسيمات الإدارية:

طبقاً لآخر التقسيمات (في نهاية ١٣٧٠هـ ش) تم تقسيم أفغانستان إلى ٢٩ محافظة "ولاية"، وفيما يلي قائمة بأسماء المحافظات "الولايات" وعواصم المحافظات، ومساحة كل محافظة.

اسم المحافظة	عاصمة المحافظة	مساحة المحافظة
أرزكان	ترين كوت	٤٧٢٠, ١
بادغيس	قلعة نو	٢١٦٧٧, ٨
باميان	باميان	٣٧٧٥٧, ٩
بدخشان	فيض آباد	٤٠٨٨٥, ٥
بغلان	بغلان	١٧١٦٤, ٧
بلخ	مزار شريف	١٢٢٨٤, ٢
بروان	جاريكار	٥٩٥٩, ٩
بكتيا	كرديز	٩٧٧٨, ٥
بكتيا	شرن	٩٤٠٩, ٢
تخار	طالقان	١٢٣٢٥, ٢

اسم المحافظة	عاصمة المحافظة	مساحة المحافظة
جوزجان	شیرغان	۲۶۲۲۶,۳
زابل	کلات	۱۷۰۶۸,۳
سمنگان	سمنگان	۱۶۶۳۹,۷
غزنی	غزنی	۲۱۳۸۱,۳
غور	جغجړان	۳۸۷۵۷,۹
فاریاب	میمنه	۲۱۳۰۶,۳
فراه	فراه	۵۹۱۴۶,۶
قندهار	قندهار	۴۹۳۷۱,۶
کابل	کابل	۴۷۲۰,۱
کاپیسا	محمود راقی	۵۴۰۳,۹
کندوز	کندوز	۷۹۲۸
کتر	أسد آباد	۱۰۵۵۱,۶
لغمان	مهترلام	۷۲۷۷,۱
لوگر	برکی	۴۴۰۹,۹
میدان "وردک"	میدان شهر	۹۶۹۹,۲
ننګرهار	جلال آباد	۷۶۰۷,۴
نیمروز	زرنج	۴۷۱۲۴,۱
هراة	هراة	۳۸۷۹۸,۸
هلمند	لشکرگاه "بست"	۶۲۳۳۶,۸

أسماء مدن المحافظات في أفغانستان :

- ١- ارزگان: أجرستان، شهرستان، دایکندی، کزاب، کجران، دهرآود، ترین کوت، جوره، خاص ارزگان.
- ٢- بادغیس: غورماچ، مرغاب، قلعة نو، کشک کهنه، فارس، جوند.
- ٣- بامیان: شبر، بامیان، سیغان، کهمرو، یکاولنک، بنجاب، ورس.
- ٤- بدخشان: درواز، خواهان، راع، شهر بزرک، کشم، فیض آباد، جرم، کران و منجان، زیباک، واخان، آشکاشم، بهارک، شغنان.
- ٥- بغلان: بوکه، بغلان، پلخمري، دهنه غوري، ناله وېرک، نوشی وخنجان، اندراب، خوست وفرنک، نهرين.
- ٦- بلخ: شورتيپه، دولت آباد، چاربولک، چمتال، شولگره، کشتنده، چارکنت، دهدادی، بلخ، نهر شاهي، مزار شريف.
- ٧- پروان: سالنگ، جبل السراج، کوه صافي، بگرام، چاريکار، شيفواري، غوربند، سرخ پارسا، شيخ علي.
- ٨- پکتيا: دندوپتان، دره درنگ، جاجی، چمکنی، حسن خیل، لجمنکل، جانی خیل، موسی خیل، قلندر، سيد کرم، گريدز، زرمست، اورمه، شواک، جدران، شمل، نادرشاه کوت، سپيره، تتی، مندوزایی، گریز، خوست، تریزه، بک، سروتی، جاجی میدان.
- ٩- پکتیکا، گیان، زیلوک، نیکه، مته خان، شرن، سر روضه، آرگون، برمل، سروپی، اومنه، کتوان، گرمی، ولمی، وازه خوا.
- ١٠- تخار: چاه آب، ینگی قلعه، برقد، خواجه غار، طالقان، ینگی، آشکمش، چال، ورسج، فرخار، کلفگان، رستاق.

- ۱۱- جوزجان، قرقین، خمیاب، منگجک، مردیان، آقچه، خانقا، شیرغان، سرپل، کوهستانات، بلخ آب، سنگچارک، فیض آباد.
- ۱۲- زابل، شاه جوی، ارغنداب، دای چوبان، میزان، جلدک، کلات، شینگى، اتغر، شمولزایی.
- ۱۳- سمنگان: کدار، خلم، حضرت، سلطان، سمنگان، دره صوف، روی نوآب.
- ۱۴- غزنی: زنخان، خواجه عمری، ناور. جغتو، غزنی ده يك، رامک، اندر مالستان، جاغوری، قره باغ، گبرو، آب بند، مقر، گیلان، ناوه.
- ۱۵- غور: لعل و سر جگل، چغچران، شهرک، تولکگساغر، غور تیوره، پسه بند.
- ۱۶- فاریاب: آقینه بندر، خان چهار باغ، اند خوی، جیلاجین، قره قل، دولت آباد، شیرین تگاب، میمنه، پشتون کوت، المار، قیصار، کوهستانات، بلچراغ، درز آب.
- ۱۷- فراه: فرسی، شیندند، آنا دره، قلعه کاه، فراه، خاک سفید، بالا بلوک، بکواه، گلستان، پرچمن.
- ۱۸- قندهار: معروف، ارغستان، دامان، دهله، خاکریز، غورک، ارغنداب، قندهار، دند، میوند، پنجوایی، شگه، سبین بولدک، شورابک، ریگ.
- ۱۹- کابل: استالف، شکر دره، پغمان، قره باغ، کلکان، میریچه کوت، چهار دهی، کابل، ده سیز، بگرامی، چهار آسیاب، خاک جبار، سروبی.
- ۲۰- کاپیسا: پنجشیر ۱ (چار قریه) پنجشیر ۲ (دره هزاره) پنجشیر (رخه) کوهستان محمود راقی، دره نامه، کوه بند، نجراب، تکاب، اله سایی.

۲۱ - کندوز: ارچی، حضرت امام، قلعه زال، کندوز، چاردره، علی آباد،
خان آباد.

۲۲ - کنر: برگ منال، کامدیش، ناری، اسمار، چپه دره، اسد آباد، نرنگ،
چوکی، نورگل، خاص کنر، سرکانی، مروره، دانگام.

۲۳ - لغمان: نورستان، دولت شاه، علیشنگ، مهتر لام، عزیز خان، قرغه بی،
علینگار.

۲۴ - لوگر: محمد اغه، پل علم، برکی برک، چرخ، خوشی، ازره، کلنگار.

۲۵ - میدان(ورک): میدان شهر، جلیز، حصه اول بهود، دای میرداد، مرکز
بهود، سید آباد، چک وردک، نرخ.

۲۶ - ننگرهار: دره نور، کوز کنر، بهسود، جلال آباد حصارک، شیر زاد،
خوگیانی، پچیر، چیرهار، رودات، ده بالا، اچین، نازیان، در باب، شینوار، بتی کوت،
مهمند دره، لعل پور، گوشته، کامه، سرخ رود.

۲۷ - نیمروز: لاش، جوین، خاش رود، اصل چخانسور کنگ، زرنج، برجک.

۲۸ - هراة، هراه: کشک، گلران، کهسان، غوریان، زنده جان، هراة، هراه،
انجیل، گذره، ادر سکن، پشتون زرغون، کرخ، اوبه، چشت شریف.

۲۹ - هلمند: بغران، کجکی، ساریان قلعه (سنگین)، موسی قلعه، نوزاد، واشیر،
گرشک، نهر سراج، بست (لشکرگاه)، نادر علی، ناوه بارکزی، گرمسیر، (درویشان)،
خان نشین، دیشو.

العاصمة(*) :

مدينة كابل هي عاصمة أفغانستان. وهي المنطقة الوحيدة في أفغانستان التي تتمتع بعوامل جذب، ويمكن أن يطلق عليها مدينة. وتغلب الصفة القروية على كل مناطق أفغانستان فيما عدا المدن المهمة مثل هراة وقندهار وجلال آباد ومزار شريف وعدة مدن أخرى، ولا تتمتع بكثير من الإمكانيات، بل إن بعضها لم تدخله الكهرباء، ومعظمها يفتقر إلى المياه الجارية. والمدينة الوحيدة التي تتمتع بالمرافق الكاملة هي كابل. وتعد كابل بمقارنتها بباقي مدن العالم، بل مقارنتها بدول المنطقة من أكثر المدن تخلفاً. ولا زالت كابل حتى الآن تحتفظ بعلامتها التي مر عليها ما يقرب من مائة عام. وما طرأ عليها من تغيير هو فقط دخول بعض مستلزمات الحياة العصرية، وعلى أية حال تعد كابل هي عروس المدن الأفغانية، ويكتب السيد اليورروا:

"توجد في أفغانستان مدينة واحدة بكل ما تعنيه كلمة مدينة هي كابل"، ويقول أنتوني هي في مذكرات:

(*) هي اسم بلد فارسي معرب ، قال عنها المؤرخ اليوناني هيرودوت (+ ٤٢٥ ق.م) : إن كابل كانت تشتهر منذ فجر التاريخ بالتجارة ، حيث كانت سوقاً تجارية تتجمع فيها السلع من الصين والهند وخراسان ، وتنقل منها إلى أسواق اليونان والرومان. تبلغ مساحتها ٢١٥ ألف ميل مربع ، وهي غير منتظمة السطح . وتقع شمال شرق هضبة إيران إلى الجنوب من جبال الهندكوش على ارتفاع ١٧٦٢ متراً فوق مستوى سطح البحر ، وعلى خط عرض ٣٤ شمالاً وخط طول ٦٩ شرقاً محاطة بالجبال. انظر: الجواليقي ، المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم، تحقيق الدكتور فانيا عبد الرحيم، دار القلم، ط ١، ١٩٩٠م، ص ٥٥٦ . وانظر: ابن حوقل، صورة الأرض، طبعة ١٩٢٩م، ص ٢٤٥ . وانظر: أربري ، تراث فارس، ترجمة محمد كفاقي وآخرين، مراجعة يحيى الخشاب، مكتبة الحلبي ١٩٥٩م، ص ٤٥، ولونكويرت ديمز، أفغانستان، طبعة بيروت ١٩٨٠، ترجمة إبراهيم خورشيد وآخرين، ص ١٥ . (المترجم)

من الممكن أن تسمى كابل عالماً، لأنها لا تتشابه مع باقى مناطق أفغانستان".

تقع كابل وسط سلسلة من الجبال تشق عنان السماء، ذات طبيعة خلابة، وتقع المدينة فى وادى عميق عريض نسبياً. ويكون الوصول إلى مدينة كابل بمنحنيات متعرجاتها الطبيعية من وسط هذه الجبال. وتفصل بين مناطق المدينة عدة تباب متشعبة من الجبال. وجو مدينة كابل معتدل ولطيف نسبياً فى فصل الصيف إلا أنه بارد شتاءً.

وتعد كابل من المدن القديمة. وقد ورد اسمها فى الأساطير القديمة، وذكرت فى الشاهنامه تحت مسمى كابل وكابلستان. وبها آثار تاريخية من بينها، سور كابل التاريخى الذى يعود تاريخه إلى عصور ما قبل الإسلام، والحديقة البابرية أو حديقة بابر شاه، ومقبرة تيمور شاه، وقصر دار الأمان، وقصر جهلستون، ومنار دهمزنك، ومقبرة نادر شاه، وقصر دلگشا، ومسجد شاه دوشمشيره، ومسجد پل خشتى... إلخ.

والمدينة الوحيدة التى يشاهد فيها امتزاج الأقوام المختلفة هى كابل، وأهم هذه الأقوام: الطاجيك، والبشتون، والهزاره، والتركمان، والنورستانيين، والبلوش وغيرهم. ويمثل الشيعة عدداً كبيراً من السكان فى أفغانستان، فعددهم يبلغ تقريباً ثلث السكان. وفى فترة حكم البشتون كان ٧٥٪ من الشعب يتحدث اللغة الفارسية "الدريه"، ويتحدث باللغة البشتونية حوالى ٢٠٪. وبعد سقوط حكومة نجيب الله وتشكيل الحكومة الإسلامية بزعامة المجاهدين زاد عدد المتحدثين باللغة الفارسية، وأصبحت اللغة الرسمية لمباحثات الحكومة.

وعلى مدى التاريخ كانت أفغانستان بصفة عامة، وكابل بصفة خاصة ملتقى الطرق التجارية، واليوم تتفرغ معظم الطرق الرئيسية فى أفغانستان من كابل، فيتجه الطريق الشمالى عن طريق مرتفعات الهندكوش نحو نهر جيحون، والطريق الشرقى يمر بجلال آباد متجهاً إلى باكستان عن طريق مضيق خيبر، ويتقدم الطريق الغربى نحو هراة منتهاً بإيران، ويمتد الطريق الجنوبى عن طريق غزني وقندهار إلى باكستان.

ويغلب على سوق كابل أسلوب الأسواق التقليدية الشرقية نفسه، فيختص كل قسم فيه ببيع الأصناف المختلفة للبضاعة الواحدة كالأسواق القديمة في طهران وشيراز. ويوجد كل شيء في سوق كابل، لكنه غالى الثمن، وقد أنشئت الأسواق الجديدة على الطراز الغربى.

وتعد كابل عاصمة المجتمع المدنى فى أفغانستان، فقبل الهجوم السوفيتى كان تعداد سكان مدينة كابل حوالى مليون شخص، لكن بعد الهجوم السوفيتى، ونظراً لاستتباب الأمن وتوفر الإمكانيات وعوامل الجذب الأخرى، زاد عدد سكانها ووصل إلى أكثر من مليونى نسمة.

تنقسم كابل إلى اثنتى عشرة منطقة، وبها ثلاث حدائق لكنها ذات إمكانيات متواضعة، وبعبارة أدق لا توجد بها أية إمكانيات، وتوجد بها أربعة عشر دار سينما بعضها لم يكن يعمل أحياناً.

وتوجد فى كابل وسائل مواصلات عديدة منها: الشاحنات، والأتوبيسات، والسوارى، وعربات الكارو، والحمير، لكن نظراً لارتفاع سعر الوقود يقل استخدام السيارات، وبصفة عامة يركب السكان الدراجات الهوائية والدراجات البخارية والمينى باص، وتستخدم الشاحنات بكثرة، بينما استخدام الأتوبيس والمينى باص محدود.

وتعد كابل - مثلها فى ذلك مثل باقى عواصم العالم - مركزاً أساسياً للتطورات والتغيرات السياسية والاجتماعية والاقتصادية، ولهذا فإن سيطرة أى جماعة أو طائفة على كابل تعد سيطرة على أفغانستان بأسرها. وعلى مدى تاريخ الاستقلال وقعت معارك ضروس للاستيلاء على هذه المدينة، ومثال ذلك الأحداث التى وقعت فى سنوات: ١٣٧١ - ١٣٧٣هـ. ش.

تستحوذ كابل على كل الإمكانيات الكائنة فى أفغانستان؛ ففيها المباني الشاهقة والمطاعم، ومحلات السوبر ماركت، وباقى الإمكانيات الاجتماعية والحديثة الأخرى، حيث يقيم ما يقرب من ٨٠٪ من الأطباء الأفغان المتخصصين فى كابل، كما توجد

أرقى مستشفيات أفغانستان فى كابل أيضاً. وفى كابل يوجد لكل ألف نسمة طبيب، بينما النسبة فى باقى مناطق أفغانستان تصل إلى طبيب لكل ثلاثة عشر ألف نسمة.

وفى هذا الصدد يقول جون كريفيت:

"لقد رأيت بعينى فى المناطق الشمالية من أفغانستان أن لكل طبيب ألفى مريض بينما لا توجد مستشفيات ولا مساعدون ولا ممرضون ولا حتى صيدلية". ثم يضيف أن ٦٠٪ من ٢٧٠٠ سرير فى مستشفيات أفغانستان يقع فى كابل. وقريب من هذه النسبة استهلاك الكهرباء التى يتم إنتاجها محلياً. وكذلك أيضاً تنطبق هذه النسبة على المصادر المائية. وإلى جانب هذا تم تأسيس أرقى الجامعات والكليات الفنية الأفغانية فى كابل، ومن المؤكد أنه خلال العقد الماضى انتقلت بعض الإمكانات إلى مدن جلال آباد وهراة وكندوز ومزار الشريف وقندهار.

والطلاب الذين يأتون إلى كابل للدراسة ومختلف الأشخاص الذين يأتون إليها لغرض ما يصبحون غير مستعدين بأى حال من الأحوال للرجوع إلى قريتهم أو مدينتهم الأصلية عندما يقفون على إمكاناتها. ويصدق هذا الأمر على النساء والفتيات المتعلّمات، فأهالى القرى والمدن الأخرى محرومون من مختلف الإمكانات التعليمية والصحية والترفيهية. وكابل - التى ترتدى أزياء ترجع إلى عشرة قرون مضت ولم يطرأ عليها أى تغيير- يقع فى هواها وأسرها الشباب الأفغانى حتى الذين نقل عندهم النزعة القومية.

مزار شريف:

تلقى "مزار شريف" مزيداً من الرعاية والاهتمام بعد كابل، وتعد هذه المدينة مركزاً لتجمع الأوزبك الأفغان. وفى الماضى كان الروس يرغبون أن تصبح هذه المدينة العاصمة أو على الأقل أحد المراكز الأفغانية المهمة ؛ لأن هذه المدينة كانت قريبة من حدود الاتحاد السوفيتى، ومن السهل السيطرة عليها. وتعد مزار شريف عاصمة إحدى

المناطق الشمالية الأفغانية، علاوة على هذا كان أحد أسباب التنمية النسبية في مزار الشريف عملية التنقيب واستخراج الغاز في هذه النواحي، وخاصة في شيرغان.

البنية السياسية:

في الوقت الحاضر ليست هناك بنية سياسية معينة للحكومة الأفغانية، إلا أنه منذ القدم يقوم نظام الحكومة على أساس الفيدرالية والقبلية، وكانت الحكومات في الغالب تقيم علاقات طيبة مع رؤساء القبائل وزعمائها، وكان رؤساء القبائل وزعماءها يؤيدون الحكام الذين يراعون مصالحهم.

وعندما ضعفت الحكومة المركزية ثارت القبائل على الحكومة المركزية، وكانت سيطرة الحكومة على الأقوام والقبائل تأخذ شكلين أو ثلاثة:

١- حكومة قائمة على القوة والقمع أو التهديد.

٢- حكومة قائمة على الترغيب.

٣- حكومة قائمة على أساس المزج بين الأسلوبين السابقين.

وتولى الحكومة زمام الأمر يكون بطريقة من ثلاث:

١- عن طريق الجدارة والقدرات الشخصية مثل أحمد خان.

٢- عن طريق الانقلاب.

٣- عن طريق مجلس الأعيان القبلي "لوية جركة".

وأحياناً كانت تؤخذ بعض الحكومات إلى السلطة مثل حكومة داود خان، وتره كي، وكارمل عن طريق الانقلاب والقمع.

وأحياناً كان يؤخذ برأى مجلس الأعيان القبلي إلى جانب استخدام الأساليب العسكرية، مثلما حدث مع أحمد خان إبدالي.

وحتى الآن لم تنتخب حكومة واحدة في أفغانستان. وحتى حكومة المجاهدين التي كانت ذات صبغة شعبية لم تكن تستند إلى أغلبية الأصوات، وكان تشكيل حكومة المجاهدين المؤقتة في بيشاور بزعامة صبغت الله مجددي بعد خروج السوفييت من أفغانستان سنة ١٩٨٩م لا يحظى بمرجعية شعبية، بل إن هذه الحكومة لم تحظ بدعم المهاجرين الذين كانوا في باكستان. كذلك أيضاً بعد سقوط حكومة نجيب الله في أوائل سنة ١٣٧١ هـ. ش / ١٩٩٢م تم تشكيل حكومة المجاهدين الإسلامية الأفغانية بزعامة صبغت الله مجددي لمدة شهرين، ثم تشكيل حكومة بزعامة برهان الدين رباني لمدة أربعة أشهر دون الرجوع إلى الرأي العام، وفي الواقع تم اختيار رباني لمدة عامين آخرين عن طريق مجلس الحل والعقد دون الرجوع إلى الرأي العام.

وكانت الحكومات تأخذ في الغالب طابعاً قومياً، فعلى سبيل المثال كانت الحكومات التي تعاقبت على أفغانستان منذ عهد سقوط نجيب الله كلها من البشتون، ما عدا حكومة نجيب الله بجه سقا. وهي المرة الوحيدة التي اشتركت فيها مختلف العرقيات الأفغانية في الحكومة، وحتى تشكيل الحكومة بزعامة المجاهدين لم يكن هذا الاشتراك كاملاً، وكانت هناك مظاهر عنصرية كثيرة، ومع ذلك لم تتمكن مثل هذه الحكومات من إحراز أى نجاح ؛ لأن أى قبيلة أو طائفة كانت تنظر قبل أى شيء إلى مصالحها.

أحزاب المجاهدين:

يرجع ظهور الأحزاب في أفغانستان إلى عقد الستينيات، ففي سنة ١٩٦٢م بعد أن نجح ظاهر شاه في عزل داود خان من رئاسة الوزارة، وتولى هو زمام الأمر ، وهياً الجو لنشاط حزبي محدود، وقد عمل مع إعداد وتدوين دستور ١٩٦٤م على تحويل البلاد إلى النظام الملكي النيابي. وفي ١٢ مارس ١٩٤٦م كلف الدكتور يوسف بتشكيل الحكومة وكلف بإعداد دستور، وبعد تدوين الدستور عقدت أول انتخابات برلمانية سنة ١٩٦٥م.

وبعد الدكتور يوسف تعاقبت الحكومات الليبرالية فى عهد ظاهر شاه الواحدة تلو الأخرى. وفى هذه الفترة حدث اضطراب إلى حد ما، وتهيأت الفرصة لتشكيل الأحزاب، وكان أحد الأحزاب التى تم تشكيلها فى هذه الفترة الحزب الديمقراطى الشعبى الأفغانى، وكان ذلك فى أول يناير سنة ١٩٦٥ م .

بدأ نشاط الجماعات الإسلامية بصورة منسجمة منذ سنة ١٣٤٢-١٣٤٣هـ. ش ؛ فتبلورت "حركة الشبان المسلمين الأفغانية" فى الفترة ما بين سنة ١٣٤٢هـ.ش وسنة ١٣٤٨ هـ. ش تولى زعامة هذه الحركة عبد الرحيم نيازى، وكان من الذين تلقوا علومهم فى الأزهر، وفى عهد ظاهر شاه تولى رئاسة جامعة كابل. وكان نيازى واحداً من أتباع جماعة الإخوان المسلمين فى أفغانستان، وبعد أن كون حركة الشبان الأفغان تم اختيار برهان الدين ربانى لخلافته، وكان معظم أعضاء الحركة فى البداية من طلبة بلى تكنيك بكابل، وكان قلب الدين حكمتيار من بينهم.

وقامت الحركة بالنضال ضد ظاهر شاه ونظامه، واستعد ظاهر شاه أيضاً من جانبه لمواجهةهم، وساق زعماء الحركة إما إلى الإعدام وإما إلى السجن. وقتل عبد الرحيم نيازى سنة ١٩٧٠م على يد النظام. وبمقتله انتقلت زعامة الحركة إلى عناصر أكثر شباباً، ودب فيما بينهم الخلاف. وكان برهان الدين ربانى وقلب الدين حكمتيار من كبار زعماء الحركة الذين دب بينهم الخلاف. وفى النهاية أعلن حكمتيار سنة ١٣٥٤ هـ. ش انفصاله عن الحركة، وأنشأ "الحزب الإسلامى الأفغانى". وأسس برهان الدين ربانى حزباً جديداً تحت اسم "حزب الجمعية الإسلامية".

ومنذ سنة ١٣٥٤هـ. ش ازداد الضغط على جماعات المقاومة من جانب داود خان، وكان داود خان يعلم جيداً الأهداف السياسية لزعماء حركة الشبان الأفغانية وأقسامها ، فعمل على اعتقالهم، فهاجر الزعماء الواحد تلو الآخر إلى باكستان، وواصلوا نشاطهم من هناك.

واستمر الانفصال بين ربانى وحكمتيار حتى سنة ١٣٥٧هـ. ش، أى إلى أن جثم النظام الشيوعى على أنفاس أفغانستان. وفى تلك السنة لم يكن هناك مفر أمام الاثنين

من الاتحاد، وتكوين حزب جديد يدعى "الحركة الثورية الإسلامية الأفغانية". والحيلولة
نون وقوع الفرقة مرة ثانية تم اختيار أحد علماء الدين المحايدين إلى حد ما هو
مولوى محمد نبي محمدى لزعامة الحركة. ومع تكوين حركة الثورة الإسلامية الأفغانية
انضم إليها أفراد آخرون مشهورون منهم سيد أحمد كيلانى وصبغت الله مجددى
وغيرهم. إلا أنه فى ذلك الوقت كون يونس خالص - بحجة أنه يوجد فى "الحركة
الثورية الإسلامية الأفغانية" عناصر عميلة - حزبه الإسلامى "الجماعة الخالصة"،
وانفصل عن الحركة الثورية الإسلامية. بعد ذلك انفصل حكمتيار أيضاً بحجة وجود
عناصر مشبوهة مؤيدة لظاهر شاه - كان يقصد كيلانى ومجددى - فى الحركة، وأعاد
مرة ثانية نشاط الحزب الإسلامى "جماعة حكمتيار". وعقب انفصال خالص وحكمتيار
انفصل ربانى أيضاً، وأعاد مرة ثانية تنشيط حزب الجمعية الإسلامية وتفعيله. وكون
سيد أحمد كيلانى أيضاً جبهة محاذ الوطنية، وكون مجددى الجبهة الوطنية لإنقاذ
أفغانستان، وحافظ مولوى محمد نبي محمدى أيضاً على الحركة الثورية الإسلامية
الأفغانية تحت زعامته، ولا زالت باقية حتى اليوم.

ولأن الضرورة اقتضت ذلك ، فإن الأحزاب المذكورة اتحدت مرة ثانية فى سنة
١٣٥٨ هـ. ش، وكونت جبهة واحدة تحت اسم "الاتحاد الإسلامى لتحرير أفغانستان"،
وخولت زعامة الاتحاد الجديد إلى "عبد الرسول سياف"، لكن انفرط عقد الاتحاد
الجديد بعد فترة قصيرة، وأعاد زعماء الأحزاب الائتلافية نشاط أحزابهم مرة ثانية
إلا أن حزب "الاتحاد الإسلامى" - الذى كان نتيجة لائتلاف الأحزاب - الأخرى بقى
كما هو تحت زعامة أبى سياف.

وبعد الغزو السوفيتى ازدادت أحزاب المقاومة، ومنذ انقلاب ثور وما تلاه كانت
بيشاور - نظراً لقربها من أفغانستان وسهولة الحصول على الأخبار من داخل
أفغانستان - بيئة مناسبة لنشاط أحزاب وجماعات المقاومة، وقد عملت الحكومة
الباكستانية من أجل أن يكون نشاط هذه الجماعات أكثر اتحاداً وأكثر انسجاماً،
وحتى تتمكن من تقديم دعمها ومساعدتها عملت على تقليص عدد هذه الجماعات،

ونتيجة لضغوط باكستان أصبح عدد الأحزاب الموجودة في باكستان محدوداً جداً، وانتهى الأمر بالاعتراف رسمياً بسبعة أحزاب هي الأحزاب التالية :

- ١- حزب الجمعية الإسلامية الأفغاني، بزعامة برهان الدين رباني.
 - ٢- الحزب الإسلامي الأفغاني، بزعامة قلب الدين حكمتيار.
 - ٣- الحزب الإسلامي الأفغاني، بزعامة يونس خالص.
 - ٤- الجبهة الوطنية لإنقاذ أفغانستان، بزعامة صبغت الله مجددي.
 - ٥- محاذ الوطنية الأفغانية، بزعامة سيد أحمد كیلانی.
 - ٦- الحركة الثورية الإسلامية الأفغانية، بزعامة مولوي محمد نبي محمدی.
 - ٧- الاتحاد الإسلامي الأفغاني، بزعامة عبد الرسول سیاف.
- وفيما يلي تفصيل مختصر حول أهم الأحزاب المذكورة:

حزب الجمعية الإسلامية الأفغاني:

برهان الدين رباني هو زعيم هذا الحزب الذي يتكون من الطاجيك وأهل الشمال من بدخشان. وكان رباني خصماً عنيداً لحكمتيار. ولد سنة ١٩٤٠م في فيض آباد، ونشأ مثل حكمتيار في أسرة فقيرة، وكان معادياً للخانات وكبار الإقطاعيين. واهتم رباني منذ الطفولة بالعلوم القديمة، ثم اجتاز فترة الدراسات العليا في جامعة الأزهر. وهو صاحب مؤلفات عديدة. وترجم مقالات الإخوان المسلمين، وقد كان قبل عمليات النضال المسلح أستاذاً في كلية الإلهيات بكابل.

يعتبر رباني وحزب الجمعية الإسلامية في فترة النضال المسلح جزءاً من الأحزاب الأصولية الراديكالية، ونظراً لأسباب سياسية تبني أساليب ونظريات معتدلة في مهر ١٣٧١هـ. ش/ ١٩٩٢م. ويؤيد هذا الحزب تطبيق الشريعة الإسلامية.

وتتشابه أفكار ربانى وحزب الجمعية الإسلامية إلى حد كبير مع أفكار الإخوان المسلمين لدرجة أنهم يعتبرونه فرعاً من الإخوان المسلمين فى مصر. وكانت علاقة هذا الحزب بمصر فى الماضى جيدة، وهذا الحزب حزب تجديدى.

وتنتشر أفكار حزب الجمعية الإسلامية فى شمال شرق وشمال غرب ووسط أفغانستان، وخاصة بين الطاجيك، والمتحدثين باللغة الفارسية والأوزبك. وكانت إحدى مناطق النضال المهمة للحزب فى وادى بنجشير، ويقع هذا الوادى فى شمال شرق كابل، وهو لا يبعد كثيراً عن معبر سالتكس. ومعظم سكان هذا الوادى من العرق الطاجيكى. وكان أحمد شاه مسعود وإسماعيل خان من القادة العسكريين المشهورين فى حزب الجمعية الإسلامية، وكانت منطقة نفوذ إسماعيل خان هى هراة، وكانت منطقة نفوذ أحمد شاه مسعود وادى بنجشير. وكان أحمد شاه مسعود أقدر وأشهر قائد عسكري مجاهد فى فترة النضال ضد السوفييت.

الحزب الإسلامى الأفغانى [حزب حكمتيار] :

وكان قلب الدين حكمتيار زعيم هذا الحزب، وهو بشتونى من قبيلة خروقى، وينسب أيضاً إلى هذه القبيلة حفيظ الله أمين. كان حكمتيار طالباً فى قسم الهندسة بجامعة كابل، ترك دروسه من أجل النشاط الحزبى. وبعد انفصاله عن حركة الشبان الأفغان أسس خلايا الحزب الإسلامى، وأصدر نشرة سنة ١٣٥٢هـ. ش تحت اسم الشهادة.

كان حكمتيار قارع القد نحيف القوام ، ذا عينين نافذتين ، يتأنى فى حديثه ، ويرتدى الزى البشتونى، ولم يكن الحزب الإسلامى منذ سنة ١٩٧٨م وحتى سنة ١٩٨٠م ذا تأثير كبير فى النضال ضد نظام كابل ، وربما كان من أسباب ذلك أن قوم حكمتيار كانوا مع أمين.

لقد كانت دعوة حكمتيار فى بدايتها قائمة على الدعوة إلى الهجرة - الهجرة من الأراضى التى لا يمكن اعتبارها أراضى إسلامية - وكانت ساحة نفوذ هذا الحزب

جماعة المهاجرين؛ لكن نظراً لتبنيه ممارسات متشددة متعنتة فقد مكانته السابقة. وقد كان حكمتيار منذ سنوات مضت يفكر في الاستيلاء على كابل، ومن ثم السيطرة على أفغانستان. وكان حزب حكمتيار الإسلامي واحداً من أقوى أحزاب المجاهدين، وأحد أسباب ذلك أنه قد تكونت "لجنة مساعدات خاصة بالأفغان" لتقسيم المساعدات بين الأحزاب، وكانت هذه اللجنة لا تسوّى بين الأحزاب، وكانت تضع القسم الأكبر من المساعدات تحت تصرف حكمتيار، وكانت الأحزاب الأخرى تحصل على نصيب أقل، وسبب آخر وهو أن حكمتيار كان يملك القدرة على حشد قواته وتنظيمها.

حزب حركة الثورة الإسلامية:

تبلور هذا الحزب على أثر ائتلاف باقى الأحزاب الأخرى، وبعد انفصال هذه الأحزاب واصل هو مسيرته. ولد مولوى محمد نبى محمدى زعيم هذا الحزب فى قبيلة من البشتون لأسرة متدينة سنة ١٩٢١م، وكان يعتبر من علماء الطراز الأول، كان قبل النضال المسلح يدير مدرسة دينية فى ولاية لوكر. وفى فترة تولى داود خان حبس هذا الرجل فى بيته، وقبل ١٥ يوماً من انقلاب "هفت ثور" توجه إلى باكستان، ودعا الناس إلى "الحرب المقدسة" ضد النظام.

وكان مولوى محمد نبى محمدى وحزب حركة الثورة الإسلامية من المعتدلين ولم تكن علاقته بالشيعة وإيران سيئة، وكان محمد فيما سبق عضواً بالبرلمان الأفغانى.

وتحت لواء هذا الحزب كانت تنضوى مجموعة من الشخصيات المشهورة التى كانت تعلن أحياناً انفصالها عن الحزب، وأحياناً أخرى كانت تعلن انضمامها إليه، ومن بين هؤلاء الأفراد:

١- مولوى نصر الله منصور، الذى كان زعيم حركة الثورة الإسلامية جماعة منصور، وكانت جماعة منصور ضعيفة التأثير، وكانت علاقتها بإيران والشيعة طيبة إلى حد ما، وكان محمد أمين فروتن نائب مولوى منصور ضمن هذه الخلايا.

٢- مولوى رفيع الله مؤذن: زعيم حركة الثورة الإسلامية "جماعة مؤذن"، وكانت علاقة مؤذن بإيران والشيعة طيبة.

وبعد فترة اتحد محمد على نبي محمدى ومولوى نصر الله، ومولوى مؤذن مرة أخرى، وواصل الثلاثة نشاطهم تحت عنوان الحركة الثورية الإسلامية الأفغانية، وخولت زعامة الاتحاد الجديد لمولوى محمد نبي محمدى، وكان كل من نصر الله ومؤذن يمثلان نائبى الزعيم، ومع هذا لم تستمر هذه الوحدة طويلاً.

حزب الاتحاد الإسلامى الأفغانى:

درس عبد الرسول سياف زعيم حزب الاتحاد الإسلامى الأفغانى فى جامعة الأزهر، وكان فيما سبق أستاذًا بجامعة كابل، ولأنه كان يتعاون مع الحركات الإسلامية الأفغانية فقد سجن مع عدد من زعماء النضال الإسلامى، وبعد تولى كارمل زمام الأمر تم الإفراج عنه، وهاجر إلى باكستان.

كان سياف يجيد التحدث باللغة العربية، وعلاوة على باكستان كانت له علاقات وطيدة مع السعودية. ولم يكن لسياف وحزب الاتحاد الإسلامى نفوذ كبير فى أفغانستان، إلا أنه نظراً للمساعدات التى كان يتلقاها من السعودية استطاع أن يخلق له مكانة.

كان سياف متأثراً بالأفكار الوهابية، ولهذا غير اسمه من عبد الرسول إلى عبد رب الرسول، وكان يعد أصولياً راديكالياً.

كان سياف بشتونى الأصل، وكانت ساحة نفوذه هى البشتون، وكانت علاقة سياف وحزبه بإيران من أسوأ ما يمكن. وفى صيف ١٣٧١هـ. ش حيث انتشرت حرب المجاهدين فى كابل هاجم سياف وحزبه المناطق التى تقطنها الشيعة وحزب الوحدة الإسلامية الأفغانى، وأسفر هذا الهجوم عن خسائر فادحة.

الحزب الإسلامى الأفغانى | حزب يونس |:

ولد يونس خالص زعيم الحزب الإسلامى الأصولى الراديكالى سنة ١٩١٩م. وهو بشتونى الأصل، من أقوام خوجيانى وننكرهار، أمضى دراسته فى أفغانستان والهند،

وكان يونس خالص فيما قبل معلماً للعلوم الشرعية في المدارس الثانوية بأفغانستان. ولم يكن عدد أفراد حزبه بالكثير، إلا أنهم كانوا يتمتعون بمعنويات عالية. وترجع شهرة يونس إلى نظم الشعر، وكانت أول نشرية له مجلة شهرية تحت اسم "رسالة الحق"، ثم نشر جريدة تحت اسم "ورنك". وبعد انقلاب داود خان قتل ابنه على يد عملاء داود خان. وفي سنة ١٩٧٥م انتقل إلى باكستان، وانشغل بنظم الشعر. وفي سنة ١٩٧٨م بدأ تدريجياً النضال المسلح ضد الشيوعيين.

وكان يونس خالص في السابق متحداً مع حكمتيار، لكن نظراً لممارسات حكمتيار الفردية والسلطوية انفصل يونس وأعلن أن الحزب الإسلامي الأساسي هو جبهته. وفي فترة جهاده المسلح كان يقضى معظم أوقاته في أفغانستان. وكان يحارب من أجل تحرير البشتون في نواحي ننكرهار وجلال آباد. وكان الجزء الأكبر من منطقة نفوذه تقع في مناطق ننكرهار وبكتيا، وقد انضم جلال الدين حقاني نظراً لأسباب عرقية إلى يونس خالص، وكان معه قائد مشهور آخر هو عبد الحق. وإضافة إلى أن يونس كانت له علاقات بباكستان كانت تربطه أيضاً علاقات بالسعودية، وكان يتمتع بدعمها، ولم تكن له علاقات بإيران والشيعة.

حزب جبهة التحرير الوطنية:

ولد صبغت الله مجددي زعيم هذا الحزب سنة ١٩٢٥م في أسرة متدينة ذات نفوذ. قضى فترة دراسته في جامعة الأزهر بمصر، وحصل على درجة الدكتوراه من قسم الشريعة الإسلامية، وكان أستاذاً بجامعة كابل لفترة من الوقت. كان مجددي حفيد "شيخ المشايخ" الزعيم الديني السابق في أفغانستان، وقد تربى على يد شيخ المشايخ رجال دين عظام.

وكان مجددي قد كون جمعية العلماء المحمدية قبل أن يكون جبهة الإنقاذ الوطنية، وناضل ضد النظام وسجن لفترات طويلة. وفي سنة ١٩٥٩م تم اقتياده إلى السجن بتهمة قتل خروجشجف، وظل في السجن لمدة أربع سنوات وسبعة أشهر دون محاكمة، وفي سنة ١٩٧٣م أطلق سراحه بعد تولى داود خان، فترك أفغانستان هو

وأُسْرته، وفي البداية توجه إلى السعودية ثم كوينهاجن، وبعد انقلاب "هفت" ثور توجه إلى بيشاور، وهناك أسس جبهة التحرير الوطنية، وفي بيشاور اغتيل ابنه عظيم الله وهو في سن الثالثة والعشرين سنة ١٩٨١م.

ومجدى من خلفاء الصوفية العظام، وتربطه علاقات أسرية بالطريقة النقشبندية وسائتها. وكان وجود مجدى فى جبهة المناضلين باعثاً على الثقة بالنفس بين صفوف المجاهدين. وكان مجدى أيضاً متصلاً بالأسرة الملكية، فكان شخصاً معتدلاً، وقد طالب بالعودة إلى الوضع السابق، وكان معظم أتباعه من البشتون والمقيمين فى جنوب البلاد، وخاصة أتباع النقشبندية، فكان مجدى بشتونياً معتدلاً، تربطه علاقات طيبة بإيران والشيعة.

حزب محاذ الوطنى الأفغانى :

كان سيد أحمد كيلانى هو زعيم هذا الحزب، وهو من البشتون الأفغان المعتدلين، ويرجع نسبه فى الماضى إلى البشتون الرُّحْل، ويعتبر فى الأصل من العراقيين الذين هاجروا إلى الهند، والجزء الأكبر من ساحة نفوذهم الدرازيون.

وأُسرة كيلانى أسرة عريقة ، ويشهد بهذا سمته الشخصى ؛ فهو ملتج يرتدى بدلة مخملية أو صوفية. وأعوانه المقربون منه على درجة من حسن المظهر والنظافة. ويتصل كيلانى بالأسرة الملكية لظاهر شاه، وكان يعد واحداً من مستشارى ظاهر شاه غير الرسميين، و يبلغ من العمر ستة وأربعين عاماً، وكان ثرياً حصل على توكيل سيارات بيجو فى أفغانستان. وفى الداخل أيضاً كانت له مصادر أخرى، فهو من مصدرى جلد الغزال. وقد كان كيلانى من أنصار عودة ظاهر شاه، وبعد سقوط حكومة نجيب الله كان يرى أن الحكومة المناسبة لأفغانستان هى عودة ظاهر شاه إلى الحكم، إلا أنه كان مؤيداً لحكومة من جنس الديمقراطية الغربية.

وكيلانى من الليبراليين القوميين، سافر إلى مناطق كثيرة من العالم، وله وجهات نظر معتدلة ، وكان على علاقة طيبة بإيران والشيعة .

كان كيلانى آخر زعماء الفرقة القادرية فى أفغانستان، وكثيراً ما يعيش القاديون فى قندهار، وردك، ويكتيا. وكان وجود كيلانى فى الجهاد باعثاً أيضاً على الثقة بالنفس فى صفوف المجاهدين.

كان كيلانى يتحدث بعدة لغات حية، وكانت ابنته فاطمة قد تخرجت فى جامعة طهران، كما كانت واقفة على السياسة الأفغانية، وتعد واحدة من المثقفات الأفغانيات. وكانت علاقة كيلانى بالجماعات الشعبية تتم عن طريق خانات ورؤساء القبائل، وقبل الحرب والنضال كانت علاقته تتم بهذا الشكل أيضاً. وقليلاً ما كان يهتم بتربية الأتباع.

فر كيلانى إلى باكستان بعد ستة أشهر من الانقلاب الشيوعى. وفى بداية سنة ١٩٧٩م كون خلاياه العسكرية وأعلن عن وجوده.

الأحزاب الشيعية:

بدأ نشاط الأحزاب والجماعات المناضلة الشيعية جنباً إلى جنب مع الأحزاب والجماعات الأخرى. وكان من السباقين فى النضال الشيعى الأفغانى الشهيد بلخى الذى قضى ما يقرب من ثلاثين سنة من عمره فى السجن، وفى النهاية تم إعدامه. بدأ الشهيد بلخى نشاطه منذ القرن العشرين الميلادى. ومنذ ذلك الوقت بدأ النضال السياسى - العسكرى يأخذ شكلاً أكثر انسجاماً، وبعد إعدام الشهيد بلخى استمرت حركات النضال الشيعى، وظهرت أحزاب وجماعات مختلفة.

منظمة نصر أفغانستان:

كانت "منظمة نصر أفغانستان" أقدم جماعة أعلنت عن وجودها، وكانت زعامة نصر عبارة عن مجلس، وكانت ذات نفوذ واسع فى مناطق الهزاره وهراة والجنوب

الغربي من أفغانستان. وقد بدأ نشاط هذه المنظمة منذ سنة ١٩٦٩م، أما نشاطها السياسي - العسكري المسلح فقد بدأ منذ ١٣٥٨ هـ. ش، وقد بدأت إصدار نشراتها من قبيل "رسالة المظلومين" و "رسالة الدم" و "رسالة أصحاب الأخدود" بعد انقلاب هفت ثور.

وقد بدأت الأحزاب والجماعات الأخرى الشيعية نشاطها بشكل تدريجي منذ ١٣٤٠ هـ. ش، وبعد انقلاب هفت ثور أعادت الأحزاب والجماعات الشيعية تنظيم نفسها، وأخذت مكانها في مختلف أنحاء باكستان، ومن أشهر الجماعات الأولى التي يمكن ذكرها "الحركة الإسلامية الأفغانية" بزعامة آية الله آصف محسنی، و"مجلس الاتحاد" بزعامة سيد علي بهشتی، و"النهضة الإسلامية" بزعامة افتخاري، و"الدين والشباب" بزعامة نقوی وغيرها .

جبهة التحرير الثورية الإسلامية الأفغانية:

اتحدت الأحزاب الشيعية وكونت "جبهة التحرير الثورية الإسلامية الأفغانية" في شتاء سنة ١٣٥٨ هـ. ش، وكانت الأحزاب المتحدة والمكونة "لجبهة التحرير الثورية الإسلامية الأفغانية" عبارة عن :

- ١- منظمة نصر الأفغانية.
- ٢- الحركة الإسلامية الأفغانية.
- ٣- منظمة مجاهدي خلق الأفغانية.
- ٤- الدعوة الإسلامية الأفغانية.
- ٥- حركة المستضعفين الأفغان.
- ٦- منظمة رعد الإسلامية الأفغانية.
- ٧- النهضة الإسلامية الأفغانية.

٨- الدين والشباب الأفغان.

٩- مجلس الاتحاد الإسلامي الأفغانى.

١٠- القوة الإسلامية الأفغانية.

وكانت هذه الجبهة تنشر أفكارها فى نشرية تحت اسم عاشوراء، إلا أنها لم تستمر طويلاً وانحلت بعد فترة.

الائتلاف الرباعى :

فى سنة ١٣٦٤هـ. ش كونت الأحزاب التالية ائتلاًفأ رباعياً:

١- منظمة نصر الأفغانية.

٢- حراس الجهاد الإسلامى الأفغانى.

٣- الجبهة المتحدة للثورة الإسلامية الأفغانية.

٤- النهضة الإسلامية الأفغانية.

وقد كونت هذه الأحزاب بعد الاتحاد ما أطلق عليه "المنظمات المؤتلفة"، وكان عبد العلى مزارى متحدثاً باسمها، لكن هذه المنظمة المؤتلفة انحلت بعد فترة.

المجلس الائتلافى الإسلامى الأفغانى :

كان المجلس الائتلافى الإسلامى الأفغانى بالمقارنة بباقى التنظيمات الأخرى أطول عمراً. وقد تأسس فى شتاء ١٣٦٥هـ. ش، وأعلن عن وجوده سنة ١٣٦٦هـ. ش، وكانت الأحزاب المكونة للمجلس الائتلافى عبارة عن :

١- منظمة نصر الأفغانية.

٢- الحزب الاتحادي الثوري الإسلامي الأفغاني.

٣- حزب الله الأفغاني.

٤- الحركة الإسلامية الأفغانية.

٥- حراس الجهاد الإسلامي الأفغاني.

٦- منظمة القوى الإسلامية الأفغانية.

٧- النهضة الإسلامية الأفغانية.

٨- الدعوة الإسلامية الأفغانية.

وقد اشتهر هذا المجلس بـ "الائتلاف الثماني". وبعد فترة انضم "مجلس الاتحاد الإسلامي الأفغاني" أيضاً إلى هذا الائتلاف، وأصبح الائتلاف "تساعياً". وكانت أهداف المجلس عبارة عن إيجاد الوحدة الكاملة، والحيلولة دون اندلاع الاشتباكات والنزاعات الداخلية، ودعم النضال، وتم الاتفاق على أن يمتنع أعضاء المجلس عن التشنيع على بعضهم البعض، وأن يسمح لكل واحد أن يعمل في ساحة نشاطه بحرية، وجاء في اللائحة التأسيسية ما يلي: "الحيلولة دون وقوع النزاعات الداخلية، والعمل على عدم اصطدام القوات ببعضها وتوجيهها نحو العدو المحتل والنظام العميل، وتوحيد كل الأنشطة للوصول إلى الوحدة الكاملة بين التنظيمات الشيعية الأفغانية"، وكان خليلي وزاهدي متحدثين باسم المجلس.

حزب الوحدة الإسلامي الأفغاني:

قطعت الحركة السياسية - العسكرية الشيعية مرحلة تطور كامل، وعلى الرغم من أنه كانت تكتنف المجلس الائتلافي بعض مظاهر النقص؛ فإنه أحرز نجاحات طيبة، كان أحد هذه النجاحات أن أدى المجلس الائتلافي إلى تشكيل "حزب الوحدة الإسلامي الأفغاني" في سنة ١٣٦٨هـ. ش / ١٩٨٩م الذي أدى إلى إضعاف المجلس

الائتلافى، ومن هذه النجاحات أيضاً تجميع الزعماء السياسيين والمجاهدين وكل الغيورين على الشيعة فى أفغانستان. ولتعميق الصلات وقعوا "ميثاق الوحدة" فى تيرماه ١٣٦٨ هـ. ش/ ١٩٨٩م، وقد هيا ميثاق الوحدة المجال أمام "حزب الوحدة الإسلامى الأفغانى". ونظراً لأهمية ميثاق الوحدة سنورد متن هذا الميثاق، حتى يتضح الأساس الذى قام عليه حزب الوحدة الإسلامى.

متن ميثاق الوحدة :

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾

من البديهي أن الأمة الأفغانية الرشيدة قد سطرت على مدى التاريخ العديد من الملاحم، وحملت لواء جهادها المضمخ بالدم للدفاع عن الإسلام واستقلال البلاد، وقدمت لذلك دماءها الزكية.

١- دعم واستمرار النضال من أجل إقامة حكم إسلامى قائم على الكتاب والسنة ومبدأ ولاية الفقيه.

٢- العمل على اجتذاب القوات الشيعية التى هى خارج إطار الاتحاد.

٣- السعى للوصول إلى الوحدة مع الفصائل الإسلامية السنية.

٤- العمل فوراً على القضاء على التوتر الكائن، والحيلولة دون وقوع توتر محتمل، وتأمين حرية الشعب وأمنه فى إطار القوانين الإسلامية والمصالح العامة.

٥- السعى بجذد للحيلولة دون وقوع أى عمل مناف للوحدة، والاعتماد على روابط الأخوة القديمة.

٦- النضال الجاد ضد الأفكار الإلحادية.

- ٧- إلغاء أى نوع من المحادثات السرية والعلنية مع نظام كابل العميل، وتشديد العمليات الجهادية ضده حتى الإطاحة به.
- ٨- تعبئة كل القوى العسكرية على خطوط الجبهات الأمامية بغرض الإسراع بإسقاط نظام كابل العميل.
- ٩- العمل على تأمين العدالة الاجتماعية القائمة على الأحكام الإسلامية، مع الاعتراف رسمياً بالمذاهب الجعفرية والحنفية التى تتبعها كافة طبقات المجتمع دون أدنى تفرقة.
- ١٠- العمل على الحفاظ على استقلال البلاد وسيادتها والتضامن الوطنى فى أفغانستان، ومكافحة الحركات الانفصالية بكافة أشكالها.
- ١١- تحديد مصير الشعب الأفغانى عن طريق الأمة الأفغانية والمجاهدين، ورفض أى تدخل أجنبى.
- ١٢- إقامة علاقات ودية مع كل الدول الإسلامية ومناضلة الاستعمار.
- ١٣- التضامن مع الحركات الإسلامية التحررية على مستوى العالم.
- ١٤- تبنى مواقف سياسية إزاء التكتلات والأقطاب الاستكبارية على أساس لا شرقية ولا غربية، وشجب السيطرة والتسلط.
- ١٥- تشكيل مجلس مركزى اتحادى، وتحديد مقره الفعلى فى المدينة العريقة المحررة باميان.
- ١٦- طرح مسميات التنظيمات جانباً بعد تشكيل تيار سياسى واحد تحت عنوان وشعار واحد، وتدوين لائحة تأسيسية.
- ١٧- اتخاذ الإجراءات اللازمة لإعادة إعمار البلاد، والاستفادة من الذخائر والركائز والثروات الطبيعية لتحسين الوضع الاقتصادى، والعمل على رفاهية الشعب.

١٨- العمل على تهيئة الجو والإمكانات اللازمة للتنمية العلمية والفكرية لدى أحاد الأمة الأفغانية.

١٩- تخويل الأمر لأهل الخبرة والثقة.

٢٠- تعهد كل المسؤولين والموقعين على ميثاق الوحدة بحماية حرمة دم الشهداء الأفغان، وأن يعملوا على تحقيق وتنفيذ كل المواد السابقة، وألاً يعودوا مرة ثانية إلى أحزابهم القديمة.

الموقعون على هذا الميثاق:

من جانب منظمة نصر: أستاذ صادق، ومزارى، وحكىمى، ونويد، وسجادی، وهادى، وواحدى.

من جانب الحركة الإسلامية : هادى، وفياض، وأنورى، وعصمت إلهى، ورضوانى، ومدرسى.

من جانب حراس الجهاد الإسلامى: أكبرى، ورضوانى، وفكرت، وغفورى، وواعظى.

من جانب الجبهة الاتحادية الثورية الإسلامية: رضاى، وأحمدى.

من جانب منظمة القوى الإسلامية: قائمة، وحسينى، وجوادى.

ولم يكن هناك مندوب عن حزب الله، وقد ناب عن الدعوة الإسلامية سعيدي نهضت.

وفى البداية تم دمج سبعة أحزاب فى بعضها، وتم تشكيل "حزب الوحدة الإسلامى الأفغانى" فى سنة ١٣٦٨هـ. ش، وكانت هذه الأحزاب السبعة هى:

١- منظمة نصر الأفغانية.

٢- النهضة الإسلامية الأفغانية.

٣- حراس الجهاد الإسلامى الأفغانى.

٤- حزب الدعوة الإسلامى الأفغانى.

٥- القوى الإسلامية الأفغانية.

٦- المجلس الاتحادى الإسلامى الأفغانى.

٧- الجبهة الاتحادية الثورية الإسلامية الأفغانية.

وفى مرداد سنة ١٣٦٩هـ. ش أعلن المتحدث باسم المجلس الائتلافى حل المجلس، وفى شهر يور ١٣٦٩هـ. ش تم الاتفاق على إيقاف كافة أنشطة عناصر المجلس الائتلافى ومكاتبها، وأن يحل محله حزب الوحدة الإسلامى.

بعد تشكيل حزب الوحدة أعلنت بعض الجماعات التى انضمت إلى حزب الوحدة ائتلافها مع عدد من الأشخاص الذين كانوا خارج المجلس الائتلافى، ونقلوا مكتب المجلس الائتلافى من طهران إلى بيشاور، وبالفعل تم الترويج لهذا الأمر فى بيشاور لفترة. ولكن لم يقع هذا الأمر، وانضم هؤلاء الأفراد تدريجياً إلى حزب الوحدة.

يقع مركز حزب الوحدة الإسلامى فى باميان، وسكرتيه فى الوقت الحاضر - صيف ١٣٧٣ هـ. ش - عبد العلى مزارى.

ومن أشهر الأحزاب التى لم تنضم إلى حزب الوحدة الإسلامى الأفغانى حزبان أحدهما حزب الله والآخر الحركة الإسلامية الأفغانية.

حزب الله:

الساحة الأساسية لنشاط حزب الله هى هراة، ومعظم سكان هذه المنطقة من السنة، ولذا لم يكن نطاق ساحة نشاط حزب الله واسعاً. كان زعيم حزب الله هو "قارى أحمد" الذى كانت له جماعة مشهورة. ويهتم حزب الله بالناحية العسكرية أكثر من الناحية السياسية. ويرجع ظهور حزب الله إلى سنة ١٣٦٠هـ. ش، حيث سعى فى تكوينه قارى أحمد بالتعاون مع فقير أحمد، وعلاوة على نشاط حزب الله فى هراة فإن له أنشطة فى ولايات أخرى. انضم حزب الله فى مهر ١٣٧١هـ. ش إلى حزب الوحدة الإسلامى.

الحركة الإسلامية الأفغانية:

قام آية الله آصف محسنى زعيم حزب الحركة الإسلامية الأفغانية، بعد أن عاد من سوريا فى بداية سنة ١٣٥٨هـ. ش بتشكيل هذا الحزب، ودمج الجماعات الصغيرة مثل الدفاع عن المحراب، والأمة والتشيع، والقرآن والعزة، والدين والنضال، ومنظمة الحرية، ونداء العدالة، والمهاجرين، لتكون الحركة الإسلامية الأفغانية.

وآصف محسنى هذا من أهالى قندهار، وليس من الهزاره فى الأساس، أكثر أتباعه من القزلباش والهزاره والبشتون الشيعة، إلا أن حزبه فى البداية قد ترسخت دعائمه بين جماعات الهزاره.

كان محسنى منذ ١٩٧٣م يعيش منفيا فى إيران، وقد ذاع صيته خلال أحداث الثورة الإسلامية الإيرانية، وقد تقارب فى فكره القومى وأفكاره الكلاسيكية مع وجهات نظر الدكتور على شريعتى.

كان محسنى من تلامذة آية الله العظمى خويى، وبعد وفاة آية الله حكيم كان ميالاً إلى مرجعية آية الله العظمى خويى، وهو من المعتدلين. وفى فترة سيطرة المجاهدين على كابل فى عهد مجددى وريانى كان متحدثاً باسم مجلس زعامة أفغانستان. وكان فصيحاً لبقاً يملك التأثير فى مستمعيه.

إن ما تم عرضه بخصوص أحزاب الشيعة والسنة والمجاهدين فى أفغانستان يشمل أهم الأحزاب والفصائل الأفغانية وأشهرها. لأن هناك عدداً من الأحزاب الصغيرة قليلة الأهمية والمحلية تخرج عن حد الحصر والدراسة، وهى لا تستطيع أن تلعب دوراً مهماً فى تغيير الأوضاع فى حالة تفككها وعدم اتحادها، لكن فى حالة اتحادها من الممكن أن يكون لها دور كبير فى ظهور أفغانستان الجديدة.

الأحزاب غير الإسلامية:

ليس هناك تاريخ واضح محدد للأحزاب الاشتراكية غير الدينية فى أفغانستان، ونتيجة عملهم ليست واضحة إلى حد كبير، ومن بين هذه الأحزاب، الحزب الديمقراطى

الشعبي الأفغاني، وهو صاحب تاريخ أكثر وضوحاً، وقد تم تغيير اسم هذا الحزب بعد المؤتمر الثاني سنة ١٣٦٩هـ. ش إلى حزب الوطن. وفي سنة ١٣٧١هـ. ش تم حل هذا الحزب عن طريق حكومة المجاهدين بكابل.

وتوجد أحزاب أخرى غير الحزب الديمقراطي الشعبي الأفغاني لها اسمها وشعارها منها "شعلة الخلود"، و"الاضطهاد الوطني"، و"ساما" وغيرها .

كانت ساما "منظمة التحرير الشعبية الأفغانية" من المنظمات المعارضة للاتحاد السوفيتي، وقد تزامن تأسيسها مع تبلور عدة منظمات اشتراكية أخرى، وكانت هذه المنظمة تتبع خط مائو، وكان السوفييت يطلقون عليها اسم الاشتراكية الإمبريالية. وقد تأسس هذا الحزب في عهد ظاهر شاه، وتولى زعامته في البداية عبد المجيد كلكاني الذي قتل سنة ١٣٥٩هـ. ش على يد عملاء الروس والحكومة الأفغانية. وبعد عبد المجيد تولى زعامة "ساما" أخوه عبد القيوم كلكاني، وقد درس البروفسور عبد القيوم في الأزهر وألمانيا، وقد اغتيل عبد القيوم أيضاً سنة ١٣٦٨هـ. ش/يناير ١٩٩٠م بالقرب من بيشاور، وبعده تم تخويل زعامة ساما إلى مجلس قيادي ، وبعد اغتيال عبد القيوم تم إعدام عدد من زعماء ساما.

وكانت ساما على عدااء مع نظام كابل الشيوعي الموالي لروسيا، وكانت على عدااء مع الأصوليين أيضاً.

شعلة الخلود(*) :

انفصل هذا الحزب عن ساما، وهو يقوم على الفكر والأيدولوجية الماوية الموالية للصين. وتختلف شعلة الخلود مع البشتونية والسيطرة البشتونية، كما تختلف أيضاً مع

(*) وهذه الحركة كانت تهدف في المسائل النولية إلى إخراج جيش سلام الولايات المتحدة من أفغانستان، وكان هذا الجيش عبارة عن عدد من الرجال والنساء الأمريكيين الذين كانوا يعملون في المستشفيات والقرى والمؤسسات الصحية والاجتماعية ، وكانت تكاليفهم تدفع من بلادهم. انظر: العلاقات الأفغانية الروسية، ترجمة عفاف زيدان، ص ٤٧٢ . (المترجم)

الحزب الديمقراطي الشعبي الأفغانى سواء فى جناح الشعب أو فى جناح الراية. ولم تكن الحركة الماوية وليدة الانفصال عن الحزب الشيوعى، وترجع بدايتها إلى سنة ١٩٦٥م، حيث قام بتأسيسها الدكتور رحيم محمودى، وكانت ساحة نشاط هذا الحزب المحافل الجامعية، وخاصة كلية الطب. وقد انضم إليه عدد كبير من الطلاب خلال سنوات ١٩٦٥ - ١٩٧٠م.

ومعظم أتباع شعلة الخلود من غير البشتون، وقد اشتبك أفراد هذا الحزب مع جناح الراية و الحزب الديمقراطي الشعبي الأفغانى، مما أدى إلى هزيمتهم، وكانت جريدة هذا الحزب تسمى أيضاً "شعلة الخلود".

الاضطهاد الوطنى:

انفصل حزب الاضطهاد الوطنى عن منظمة ساما أيضاً، وكان ذا توجهات ماوية أيضاً. تم تأسيس هذا الحزب على يد طاهر بدخشانى، وكان معظم أتباعه من الطاجيك. وكان هذا الحزب يعارض النزعة البشتونية، ومن المؤكد أن طاهر بدخشانى كان من مؤسسى الحزب الديمقراطي الشعبى الأفغانى وعضو لجنته المركزية. وكان قد انفصل عن هذا الحزب فى أواخر عقد الستينيات وهو معروف بتبنيه للأيديولوجية الماوية. كانت ساحة نشاط حزب الاضطهاد الوطنى فى بدخشان وبنجشير. وفى أوائل الثمانينيات عمل نظام كابل على استئصال شأفة حزب الاضطهاد الوطنى بحجة أنه حزب خارج من عباءة الماوية، وعلى أثر ذلك وهن الحزب وقلت أهميته.

وعلاوة على هذه الأحزاب يمكن ذكر أحزاب أخرى لم يكن لها أى دور عملى مهم. وبعد المؤتمر الثانى للحزب الديمقراطي الشعبى الأفغانى، وطبقاً لما قاله نجيب فإنه قد تم الاعتراف رسمياً بعشرة أحزاب سياسية فى أفغانستان، إلا أن نشاط الفصائل والأحزاب المذكورة كانت تغلب عليها الصبغة الدعائية، وما هى أسماء بعض هذه الأحزاب:

- حزب العمال.

- سزا: منظمة كادحي "أفغانستان".

- سازا: المنظمة الثورية لكادحي "أفغانستان".

- الجمعية الوطنية.

وكان هذان الحزبان الأخيران يتعاملان مع نظام كابل. وكانت الأحزاب التالية أيضاً تتعامل مع نجيب الله ، ومشهورة بالانحياز للصين:

- سپكى.

- ساجا.

- رسپهنزا.

النظام الانتخابى:

حتى الآن لم تشهد أفغانستان انتخاباً عاماً فى اختيار رئيس الجمهورية أو رئيس الحكومة إلا فى عدد من الدورات الانتخابية لاختيار أعضاء البرلمان.

كانت عملية اختيار رئيس الحكومة ورئيس الجمهورية أو الملك تقع فى الأساس على عاتق مجلس الأعيان القبلى، وكان هذا المجلس يقوم باختيارهم أو تأييدهم.

النظام الدفاعى:

كانت حالة القوات المسلحة الأفغانية حتى نهاية سنة ١٣٧٠هـ. ش/١١٩١م كما يلى:

يبلغ العدد الفعلى للقوات المسلحة ٤٥٠٠٠ جندي تنقسم إلى ٤٠٠٠٠ قوات برية وخمسة آلاف قوات جوية، هذا وتعد أفغانستان من الدول الحبيسة التى لا تطل على شواطئ، ولذا فهى لا تملك قوات بحرية.

يمثل الجنود عصب الجيش والقوات الدفاعية الأفغانية، ويتم تجنيد القوات من سن ١٥ إلى ٤٠ سنة، مدة الخدمة العسكرية سنتان، وإذا ما اقتضت الضرورة فإنها تصبح ثلاث سنوات، وأحياناً يضاف إليها سنتان أخريان، وسن قوات الاحتياط يبدأ من عشرين حتى أربعين عاماً.

القوات البرية:

وحالة القوات البرية على النحو التالي :

خمسة ألوية CroPS HQ.

سنة عشر لواء مشاة عسكري .

خمس كتائب مشاة جبلي "حرس خاص" .

عدد واحد كتيبة مدفعية.

عدد خمس كتائب "كماندوز"

عدد كتيبة مظلات.

تجهيزات القوات البرية:

تحتوي القوات البرية على ثمانمائة دبابة مدرعة ثقيلة، عدد خمسمائة من نوع تي

٥٢ - ٥٥، وعدد ثلاثمائة من نوع تي ٦٢٠، وعدد ستين دبابة خفيفة من نوع بي تي ٧٦

الرادارات: عدد خمسة وسبعين من نوع بي آر دي إم ١-٢

ناقلات جنود مدرعة: عدد ٨٥٠ من نوع بي تي آر ت ٢٠ و ٦٠ و ٧ و ٨٠

و ١٥٢ وعجج ٤٠٠ من نوع بي إم آر ١ - ٢ .

المدفعية ذاتية الحركة: وتشمل أكثر من ٢٠٠٠ آلة من نوع ٧٦ و ٨٥ و ١٠٠ و ١٢٢ و ١٣٠ و ١٥٢ ملميمتر.

صواريخ قاذفة: من نوع ١٢٢ ملميمتر بى إم و ٢١ و ١٤٠ و ١٤٠ و ٢٢٠ ملميمتر بى إم ٢٢

مدافع الهاون: أكثر من ألف آلة من نوع ١٢ و ٣٧ و ١٠٧ و ١٢٠ و ١٠٠ ملميمتر. ٤٣ ملميمتر.

صواريخ أرض أرض: وتشمل عشرة صواريخ من نوع سكاك واثني عشر من نوع سكوى فراك ٧ .

الأسلحة (البنادق الآلية) المضادة للدبابات، وهى من نوع اسنايبر اى تى وساكرلى تى ٣ .

المدفعية الثابتة: وهى من نوع ٧٣ ملميمتر إس بى حى ٩ و ٨٢ ملميمتر بى ١٠

الدفاع الجوى: وبه أكثر من ٦٠٠ من نوع ١٢,٥ ملميمتر و ٢٣ ملميمتر و ٣٧ ملميمتر و ٥٧ ملميمتر و ٨٥ ملميمتر و ١٠٠ ملميمتر.

صواريخ أرض جو : من نوع سام ٧ وسام ٩

القوات الجوية:

ويبلغ عدد أفراد القوات الجوية ٥٠٠ فرد، كما يبلغ احتياطها ١٢٠٠٠ فرد، وقدراتها على النحو التالى:

طائرات مقاتلة قاذفة وتحتوى على تسعة أسراب، تشمل سربين من نوع

ميج ٢٣

وعدد سبعة أسراب مكونة من سوخوى ٧ وسوخوى ١٧ و ٢٢

طائرات قتالية وبه سبعة أسراب مكونة من ١٠٠ ميج ٢١ ف.

هليكوبتر حربية وتحتوى ثمانية أسراب مكونة من ٢٥ ميج ٨ و ٣٥ ميج ١٧

و ٢٠ ميج ٢٥

الطائرات الرادارية وهى واحدة من نوع أنتونوف - ٣٠ .

النقل الجوي: ويحوى ثلاثة أسراب تشمل:

سرب فى أى بى (vip)، مع عدد عشر طائرات من نوع إيليوشن، و ١٨ من نوع إيليوشن دى.

ويحتوى السرب الثانى على عدد عشر من نوع إنتونوف ٢ وعشر من إنتونوف ٢٦، وبضعة من إنتونوف ٢٢ واثنى عشرة طائرة هليكوبتر نقل من نوع مى ٤ .

الطائرات التعليمية وهى خمس وثلاثون من نوع الباتروس -٣٩ صنع بولة تشيكوسلوفاكيا، وثمانى عشرة من نوع ميج ٢١ .

صواريخ جو جو من نوع أى أى ٢

الدفاع الجوى: ويشمل لواء دفاع جوى يشمل ثلاث كتائب سام -٢ (كل واحدة منها تتكون من ثلاث سرايا)، وعدده ١١ سام ٢، وعدده ١١ سام ٢، وكتيبة دفاع جوى وتتكون من ثلاث سرايا وتحوى بنادق ٣٧ و ٨٥ و ١٠٠ ملميمتر. كما يوجد كتيبة رادارية تتكون من ثلاث فصائل.

القوات شبه النظامية (المليشيات العسكرية) :

حرس الحدود (تحت رقابة الجيش)، ويتكون من ٢٠,٠٠٠، ويشمل عشر كتائب.

وزارة الداخلية (البوليس السرى)، ويبلغ قوامها ١٢,٠٠٠ تقريبا.

قوات المليشيات ويبلغ قوامها ٦٠,٠٠٠ فرد.

قوات الداخلية ويبلغ قوامها ١٢,٠٠٠ فرد.

عدد قوات فصائل المجاهدين :

ليس معلوما على وجه الدقة عدد قوات المجاهدين، وكانت أعداد قوات الفصائل والأحزاب المقاتلة كبيرة جدا، وبعضها معلوم رسميا وكثيرها مجهول. كما أن عدد

أفراد الأحزاب والفصائل ليس محدداً على الوجه السليم؛ لأن الإحصائيات في أفغانستان ناقصة جداً؛ لأنها مرتبطة بأشهر فصائل المجاهدين ومتعلقة بسنوات سابقة أيضاً، وتستمد مصادرها من منابع خارجية، فحزب مثل حزب الوحدة الإسلامي رغم شهرته لم يأت فيها.

الفصائل السنية

جبهة الإنقاذ الوطني الأفغاني، وعددها تقريبا ١٥٠٠٠ فرد برئاسة صبغت الله مجددي.
حزب محاذ الوطني الأفغاني، ويصل عدده الى ١٥٠٠٠ فرد برئاسة سيد أحمد كيلاني.
حركة الثورة الإسلامية الأفغانية، وعددها تقريبا ٢٥٠٠٠ برئاسة مولوي محمد نبي محمدی.

الحزب الإسلامي الأفغاني، ويصل عدده إلى ٤٠,٠٠٠ فرد برئاسة يونس خالص.
الحزب الإسلامي الأفغاني، ويبلغ عدده ٥٠,٠٠٠ برئاسة قلب الدين حكمتيار.
حزب الجمعية الإسلامية الأفغانية، وعدده ٦٠,٠٠٠ برئاسة برهان الدين رباني.

الفصائل الشيعية

منظمة نصر أفغانستان، وعددها في حدود ٥٠,٠٠٠
الحركة الإسلامية الأفغانية، وعددها تقريبا ٢٠,٠٠٠
حراس الجهاد الإسلامي الأفغاني، وعددهم ٨,٠٠٠
حزب الله الأفغاني وعدده تقريبا ٤,٠٠٠
النهضة الإسلامية الأفغانية ويصل عددها إلى ٤,٠٠٠
حزب مجلس الاتفاق الإسلامي الأفغاني ويصل عدده إلى أكثر من ٣٠,٠٠٠

أهم القواعد الجوية الأفغانية

وهي عبارة عن: كندوز، وشيندند، وكابل، ومزار شريف، وهراة، وغزني،
وقندهار، وجلال آباد.

وأكثر أسلحة الجيش الأفغاني روسية، حتى قبل سقوط حكومة نجيب الله.
وكان الروس أيضا يدرسون اللغة الفنية الروسية لمختلف قطاعات الجيش الأفغاني.
ولكن بعد اضمحلال الاتحاد السوفيتي سيكون هناك وضع آخر بالنسبة للسلاح
والتعاليم العسكرية.

العضوية في الأحلاف العسكرية

أفغانستان ليست عضوا في أي من الأحلاف العسكرية.

الفصل الثامن

الأهمية الاستراتيجية لأفغانستان

تقع أفغانستان(*) فى المنطقة الحساسة من آسيا الوسطى، وترتبط من أحد الجوانب بشبه القارة الهندية، ومن جانب آخر بآسيا الوسطى والصين، ومن جانب ثالث بآسيا الغربية.

تعتبر سلسلة جبال الهندكوش(**) التى تغطى مساحة شاسعة من أرضها سدا منيعا أمام المغيرين من الشمال إلى الجنوب، ومن الجنوب إلى الشمال، وكذلك المغيرين من الغرب إلى الشرق أو العكس.

وقفت أفغانستان فى القرنين الماضيين حائلا بين الإمبراطوريات فى الشرق والغرب، وكان انفصال هذه المنطقة عن إيران بداية لظهور دولة تحت اسم أفغانستان بهذا الشكل، وكان هدفها إقامة جدار منيع بين حدود الاستعمار فى الشرق والغرب.

وفى القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين وقفت حائلا بين الاحتلال الإنجليزى والروسى، وكانت أفغانستان آنذاك فاصلة بين مستعمرات قوتين،

(*) ويعلق الدكتور نوار* على الأهمية الاستراتيجية لأفغانستان فيقول:

توصف أفغانستان (ومع تجاوز كبير) بأنها سويسرا آسيا من الناحية الجغرافية . وهذه الطبيعة الجبلية فرضت نفسها بقوة على تاريخ أفغانستان بصفة خاصة، وتاريخ المنطقة بصفة عامة، فقد كانت موطن قبائل تعتصم بالجبال كلما شعرت بخطر غزو كبير، وتهبط السهول غازية كلما شعرت ضعفا فى جيرانها، كذلك شهدت أفغانستان فى الماضى الجيوش الكبيرة التى كانت تريد الوصول إلى الهند من أبوابها الشمالية، أما بعد استخدام طريق رأس الرجاء الصالح بين الشرق والغرب فقد أصبحت الغزوات الموجهة إلى الهند تضرب أبوابها البحرية بون الشمالية. انظر: الشعوب الإسلامية ، ص ٢٧٢ . وانظر: المسلمون فى أفغانستان ، ص ٦٥ . (المترجم)

(**) تعتبر من وجهة النظر العسكرية ذات أهمية خاصة، إذ يبلغ عرضها ١٠٠ ك . م، وطولها ٦٠٠ ك . م، ويتجاوز ارتفاعها ٦٠٠٠ م . انظر: مجموعة مقالات دومين سمينار، أفغانستان ، ص ٩٨ . (المترجم)

كما كانت أيضاً مانعاً بين الاشتباكات وجها لوجه حتى في منطقة الشمال الغربي لأفغانستان، التي يقع بها "مضيق واخان" الكائن ضمن الأراضي الأفغانية، والذي وقف حائلاً بين هندوستان التي ترزح تحت الاستعمار الإنجليزي، وآسيا الوسطى الخاضعة تحت النفوذ الروسي.

وفي منتصف القرن الثاني عشر وقعت أفغانستان أيضاً حائلاً بين أمريكا والاتحاد السوفيتي، ووقفت الحكومات الأفغانية لفترة على الحياد بين الشرق والغرب. وهذا الحياد أيضاً كان مقبولا لدى الشرق والغرب، وكانت الحكومات الأفغانية تراعى ذلك أيضاً. وحينما نقض هذا الحياد من جانب الاتحاد السوفيتي كان ذلك بداية لصراعات واشتباكات شديدة، وكان لهذه الصراعات دلائل داخلية وخارجية أيضاً.

تقع أفغانستان في منطقة الحزام الشمالي أيضاً مثل إيران وتركيا، والحزام الشمالي هذا هو سلسلة الجبال الشاهقة الارتفاع والممتدة، التي تعبر من مناطق أفغانستان وإيران وتركيا. وتعرف هذه الجبال في أفغانستان بالهندكوش، والتي تتصل بسلسلة جبال الهمالايا، وتتصل في إيران بسلسلة الجبال المعروفة بالبرز التي تبدأ من خراسان وتمتد حتى غرب إيران، وهناك تصير فرعين يذهب فرع إلى تركيا والفرع الآخر ينحدر صوب غرب وجنوب إيران المعروف بـ "زاكروس"، والحزام الشمالي اصطلاح غربي لكن الروس كانوا يطلقون عليه السهم الجنوبي أو الحزام الجنوبي.

والآن تفرق الاتحاد السوفيتي، وفقد مصداقيته، ولم يعد له النفوذ الاستعماري المهم في آسيا الوسطى والشمالية مثلما كان له في الماضي ؛ ولهذا فقد زالت المنازعات والتنافس الذي كان قائماً بين الغرب والشرق المتمثل في الاتحاد السوفيتي سابقاً، وفقدت أفغانستان الأهمية الاستراتيجية التي كانت لها في الماضي بين المعسكر الشرقي والغربي، والوضع الجديد مفيد لأفغانستان ؛ نظراً لعدم تنافس القوى العظمى فيها، ويمكن لدولة أفغانستان أن تضع برامج تخطيط لمستقبلها بشكل أفضل واغتنام وضعها الجديد، وهذا الوضع ناتج عن استقلال دول آسيا الوسطى وجمهورياتها ؛ حيث إن هذه الدول ترغب في أن يكون لها اتصال مع دول العالم عن طريق المياه الدافئة في جنوب بحر عمان والمحيط الهندي وطريق عبورها عن طريق أفغانستان.

وحيثما يريدون أن يصدروا سلعهم من طريق الدخول نفسه فهذا يعنى عبورها مرة أخرى عن طريق أفغانستان؛ لهذا فإن أفغانستان اليوم هي القالب الذي يحفظ الأوضاع الراهنة في آسيا الوسطى والغربية، ويمكن أن تصبح بمثابة "ترانزيت" للسلع، ويلزم لأداء هذا الدور إقامة الطرق الجديدة بشكل أوسع، والتي سوف تساعد الاقتصاد الأفغاني بشكل أكثر فاعلية؛ ولهذا فإن التوجه مع الوضع الراهن لأفغانستان المستقبل سوف يظهر في الأهمية التجارية بشكل أكبر؛ فأفغانستان الماضي والحاضر كانت واحدة من المناطق التي كانت تمر منها قوافل الحرير وكان لها رونق. ومشاريع إقامة الطرق على أساس درب الحرير سوف تساعد بشكل أفضل على تحسين الوضع الاقتصادي لأفغانستان.

الفصل التاسع

السياسة الخارجية لأفغانستان

قامت السياسات والأهداف العامة للحكومات الأفغانية - فى القرن العشرين على وجه الخصوص - على عدة أسس، هى:

١- الحياد(*)، وعدم الانحياز للقوى العظمى فى الشرق والغرب.

٢- استقلال الدولة.

٣- الاكتفاء الذاتى، و تنمية أفغانستان.

وأهم أساس قامت عليه السياسة الخارجية الأفغانية حتى سنة ١٣٧١هـ. ش/ ١٩٩٢م هو المحافظة على حيادها بين قوى الشرق والغرب، وكلما انتهكت هذه الحيادية تعرضت البلاد للمشاكل، فعلى سبيل المثال تخلت أفغانستان عن حيادها تجاه الاتحاد السوفيتى السابق فسبب لها هذا التخلي مشاكل كبيرة.

وقد بذلت الحكومات الأفغانية الجهود من أجل استغلال التنافسات الكائنة بين الشرق والغرب، كما عملت أيضا على استغلال حيادها بين الشرق والغرب لصالح أفغانستان، بمعنى أن تبعية إحدى القوتين العظميين فى الشرق أو الغرب يؤدى نسبيا إلى الاستفادة من رد فعل الطرف الثانى، وكسب امتيازات مختلفة. ولكنها حتى الآن لم توفق فى هذا المجال، ولم تتمكن من الاستفادة من أعمال التنافس الإقليمى.

(*) بدأ هذا الاتجاه فى أفغانستان مع تادر شاه، فأمضى عدة اتفاقيات من بينها اتفاقية الحياد وعدم الاعتداء، والتي وقعها فى كابل مع الاتحاد السوفيتى سنة ١٩٢١م، كما أمضى معاهدة أخرى فى سبتمبر ١٩٣٢م مع الاتحاد السوفيتى أيضا من أجل تعيين مراقبين .

انظر: مير غلام محمد غبار، أفغانستان در مسیر تاریخ ، جلد دوم ، ويرجينا إيلات متحداأمريكا ١٩٩٩، ص ٩٧ . (المترجم)

ورغم أنه قد تلاشت الحدود السياسية للقوى الاحتلالية السابقة في أفغانستان، ولم تعد هناك ضرورة للاحتفاظ بالحيادية السابقة فإن أفغانستان ينبغي أن تظل محافظة على حيادها بين الدول الكبرى في المنطقة، وخاصة جيرانها؛ فإيران وباكستان هما أكبر جارتين لها، وينبغي المحافظة بقدر المستطاع على حيادها بين هاتين الدولتين.

ولم يكن لأفغانستان في العقود السابقة هدف؛ أي أن الحكومة الأفغانية لم يكن أمامها هدف تسعى لتحقيقه، لكن أفغانستان نفسها كانت وسيلة لتحقيق الأهداف، وفي الوقت الحاضر هناك تنافسات إقليمية حول أفغانستان ليس من أجل أفغانستان ذاتها، ولكن بجعلها وسيلة للوصول لأهداف أخرى. فالأهداف الباكستانية في أفغانستان على سبيل المثال هي أساساً من أجل الوصول لآسيا، والاستفادة منها.

والشخص المعتدى لا يستطيع أن يبقى في أفغانستان طويلاً؛ حيث إن العادات القبلية والثقافية لأفغانستان لن تمكنه من هذه الفرصة.

وكانت الحكومات الأفغانية - ولا زالت - تُدين أعمال العنصرية والاستعمار والحرب والفتنة والاعتداء وخلافه .

وكانت العلاقات الأفغانية الخارجية محدودة للغاية بسبب تخلف البلاد، والاختناق الشديد الذي تعاني منه في النواحي الاقتصادية، وكذلك الصراعات القبلية. وكانت لها علاقات بدول قليلة للغاية. ولم تكن لديها علاقات تتسم بشيء من الأهمية مع دول العالم الثالث، ومنظمة التحرير، وغيرها .

العلاقات الأفغانية الباكستانية

لم تكن العلاقات الأفغانية الباكستانية منذ بداية تأسيس باكستان ١٩٤٧م، حتى اليوم أمراً مرغوباً فيه. وكانت دائماً يشوبها التوتر، وأهم أسباب الخلاف هو منطقة

البشتون(*)). فقد انفصل خط دوران البشتوني الحدودي، وخضع قسم منه لسيادة الحكومة الإنجليزية في الهند، وتبقى جزء منه تحت الإدارة الأفغانية، وفي أعوام ١٩٠٥ و ١٩١٩ و ١٩٢١ و ١٩٣٠م كانت الحكومة الأفغانية قد أيدت خط دوران الحدودي، إلا أنه بعد خروج إنجلترا من الهند، واستقلال الهند تصور الفكر الأفغاني أن الفرصة قد حانت، ولا بد من أن يفتنمها لضم منطقة البشتون إلى أرضه، ولكن المطلب الأفغاني لم يتحقق. واستدلت الحكومة الإنجليزية بأن اتفاقية دوران المبرمة بين دوران والهند في عام ١٩٤٧م تنص على تقسيم الهند، وذلك بأن تلحق المناطق التي يسكنها المسلمون بباكستان، أو بنجلادش، ولما كانت منطقة البشتون يسكنها المسلمون، وملاصقة لباكستان فإنها تتبع باكستان. وأجرى استفتاء في قبائل البشتون حول ما إذا كانوا يرغبون في الانضمام إلى باكستان أم الهند فاختاروا الانضمام إلى باكستان. ولهذا السبب اندلع الخلاف بين كل من أفغانستان وباكستان الجديدة، ومهما شككت الحكومات الأفغانية في اتفاقية دوران الحدودية فإن ذلك لا يحقق فائدة، وكان بعض الزعماء الأفغانيين مثل محمد نادر شاه يبدأون خطاباتهم بعبارة تحت اسم منطقة البشتون.

وفي عام ١٩٤٩م ساءت العلاقات بين البلدين، وأغلقت باكستان طريق كراتشي أمام تحويل البضائع الأفغانية، وذلك للضغط على أفغانستان. ولكنها فتحت بعد فترة، وفي عام ١٩٥٠م منعت دخول، أو خروج البضائع الأفغانية عبر باكستان للمرة الثانية.

(*) تستند الحجة الأفغانية في ذلك إلى أن الأغلبية المطلقة من هذه القبائل تعيش في أراضيها، بل هي تشكل القومية السائدة ذات الأغلبية، ومن ثم يجب النظر في توحيد الأصول العرقية لتتكامل القومية البشتونية داخل أفغانستان، ووجدت روسيا في هذا الأمر الفرصة مواتية لها في توتير العلاقات بين أفغانستان وباكستان، حتى تضعف كل منهما الأخرى وتتمكن هي من الدخول إلى أفغانستان عن طريق محمد داود الذي أغرقوه بالدعم المالي والعسكري، وسعوا إلى إضفاء الشرعية عليه عن طريق مجلس الأعيان القبلي لوريه جرکه ليكون نواتهم في أفغانستان.

انظر: صلاح الدين حافظ، أفغانستان الإسلام والثورة القاهرة ١٩٨٧م، ص ١٥٤. وانظر: العلاقات الروسية الأفغانية، ص ٢٨، بتصرف. (المترجم)

وأجرت الحكومة الأفغانية مفاوضات حول البضائع المصدرة أو المستوردة مع روسيا، ولكن بعد فترة تم إلغاء هذه المقاطعة.

وفي عام ١٩٦٠-١٩٦١م تم تصعيد الخلافات بين البلدين، وفي شمال خيبر بين أفغانستان وباكستان نشب الصراع والاشتباك بين كل من أفغانستان وباكستان. وفي عام ١٩٦١م تم قطع العلاقات السياسية بين البلدين، واختارت الولايات المتحدة الأمريكية موقف الحيادية الظاهرية، وسعت أفغانستان من أجل المقاومة والانتصار في هذه الاشتباكات معتمدة على الاتحاد السوفيتي. وتم حل الخلافات بواسطة إيران، وعزل داود خان عام ١٩٦٢م، واستؤنفت العلاقات السياسية بين كل من باكستان وأفغانستان.

وفي انقلاب داود خان في عام ١٩٧٣م تم طرح مسألة البشتون مرة أخرى، واتسمت المسألة بالحدة، وطالبت أفغانستان بتشكيل حكومات مستقلة في منطقة البشتون، وبلوشستان - في باكستان - مما أثار رد فعل باكستان وإيران. وأعاد داود خان النظر في سياسته بعد فترة، وحسن علاقاته بكل من إيران وباكستان، وصرفت أفغانستان النظر عن ادعاءاتها من أجل الحصول على معونات مالية من إيران. ثم تجددت مسألة البشتون مرة أخرى بعد انقلاب الشيوعيين عام ١٩٧٨م، وادعت الحكومة الأفغانية أن حدودها الطبيعية تصل حتى نهر السند؛ ولذلك ساءت العلاقات بين البلدين. وبعد التدخل العسكري السوفيتي في أفغانستان أصبحت العلاقات بين البلدين (أفغانستان، وباكستان) أكثر تعقيدا، وفيما بعد قال برك كارمل إنه لا يوجد خط للحدود الدولية بين كل من باكستان وأفغانستان، كما أعلن نجيب الله في زيارته للهند عام ١٩٨٨م عن ضرورة حل مشكلة خط بوراند بين كل من أفغانستان والهند؛ لأنه في عام ١٨٩٣م لم يكن يوجد ما يسمى بباكستان. كما أن الاتفاقية المذكورة قد تم إبرامها مع الهند^(*). ويبدو أن مشكلة أفغانستان لن تطرح في المستقبل القريب، وذلك لما يلي:

(*) أغنى عربي، مجلة مسلم، طبعة إسلام آباد، ٢٦/٥/١٩٨٨م - ٥/٣/١٣٦٧هـ. (المترجم)

أولاً: ضعف الحكومة المركزية بأفغانستان وكثرة المشاكل المكبلة بها.

ثانياً: لم يعد هناك ما يسمى بالاتحاد السوفيتي، والذي كان من المحرضين الرئيسيين لأفغانستان في مشكلة "بشتونستان"، وإلى جانب الاتحاد السوفيتي كانت الهند هي الأخرى من المحرضين المؤثرين في هذه المشكلة، علاوة على هذا كانت الحكومة الأفغانية تواجه دعاية داخلية بخصوص مشكلة بشتونستان.

وتركت هذه المشكلة لمستقبل أفغانستان عندما تكون قوية، وبها حكومة مقتدرة بصورة كافية؛ فمن الممكن حينئذ أن يطرح هذا الموضوع مرة أخرى، وفي غير هذه الحالة سوف تترك هذه المشكلة زمناً طويلاً.

وفي العقد السابق اكتسبت باكستان دوراً حيوياً، ومكانة مهمة بالنسبة للمشكلة الأفغانية خلال فترة الاحتلال السوفيتي لأفغانستان، وذلك لأن السياسات الأمريكية والغربية المتعلقة بأفغانستان كان يتم تنفيذها عن طريق باكستان. خاصة وأن المساعدات الدولية للقضية الأفغانية كان يتم إرسالها عبر القناة الباكستانية، وبذلك تكون باكستان قد خلقت لنفسها دوراً جديداً في الشؤون الأفغانية. وقد بذلت باكستان جهوداً مضنية في السنوات الأخيرة؛ حتى تتولى زمام الأمور في أفغانستان حكومة موالية لها، وكانت باكستان قد دعمت بعض جماعات المجاهدين خلال فترة الاحتلال السوفيتي لأفغانستان، وفيما يلي أهم الجماعات التي أيدتها باكستان بالترتيب من حيث الأهمية:

- ١ - الجماعات المتشددة من البشتون، مثل حكمتيار، وأبي سياف، ويونس خالص.
- ٢ - الجماعات المعتدلة من البشتون، مثل صيغت الله مجددي، ومولوي محمد نبي محمد، وكيلاي، والمؤذن.
- ٣ - الفصائل غير البشتونية والتقليدية، مثل برهان الدين رباني.
- ٤ - بعض الجماعات المعتدلة من الشيعة مثل آصف محسني.

وكان حكمتيار، وبعض القادة الأفغان الآخرين من أفضل المقربين لباكستان، وخاصة إلى جيشها. وفي صيف عام ١٣٧١هـ. ش/ ١٩٩٢م بذلت مساع كثيرة من أجل استيلاء حكمتيار وأتباعه على كابل، لكن حكمتيار وأتباعه لم يُقدّموا على هذا الأمر.

وباكستان لها رغبة في خلق اتصال بآسيا الوسطى. ويمكنها الاتصال بآسيا الوسطى عبر الطريق البرى و الجوى لأفغانستان. وبناءً على ذلك فإنه يجب - من وجهة نظر باكستان - أن تتولى زمام الأمور حكومة موالية لها لكى يتم إنشاء الطرق اللازمة. كما أن مشكلة البشتونستان لم تطرح بسبب الحالة الراهنة.

وباكستان تميل من ناحية إلى حكومة البشتون المتشددة، وذلك لأنها تتصور أن التعصب البشتونى لن يسمح لهم بالتقارب مع إيران، ومن ناحية أخرى فإن لديها قلقاً من أن تأييد البشتون المتشدد سوف يؤدي إلى تقوية شوكتهم، وبالتالي سوف تطرح مشكلة البشتونستان مرة أخرى؛ وبناءً على هذا، فإنها تستخدم منهجين فى الظروف الراهنة إما سيادة ضعيفة للبشتون، أو سيادة لغير البشتون، مثل ريانى. وفى نهاية الأمر إذا قام البشتون بإثارة المشاكل أمام هذه الحكومة فإن أفغانستان ستحتفظ بعلاقاتها الجيدة مع باكستان(*) .

(*) إن باكستان التى تعد واحدة من القوى الإقليمية المهمة سواء من الناحية الإسلامية أو النووية تعتبر آسيا الوسطى وأفغانستان عمقا استراتيجيا لها فى مواجهه الهند عبرها التقليدى. وعدم الأمن الموجود فى أفغانستان يعد أحد العوائق الرئيسية التى تعوق اتصالها بآسيا الوسطى. (المترجم)

الفصل العاشر

العلاقات الأفغانية الإيرانية

تمتعت إيران بأكثر المجالات، وأفضلها لإقامة علاقات وتعاون مع أفغانستان، وذلك لأسباب ثقافية، وعرقية، ولغوية، وتاريخية، ومذهبية. ومع هذا فإن العلاقات الإيرانية لم تشهد التطور الكافي مع أفغانستان، وفيما يلي أهم أسباب عدم تطور العلاقات الثنائية بين البلدين:

١- التنافس بين الشرق والغرب، لتهميش الدور الإيراني(*) في المنطقة وكذلك أفغانستان، خاصة بعد انتصار الثورة الإسلامية.

٢- صعوبة التكامل الاقتصادي بين كل من إيران وأفغانستان، إذ إن كليهما تنتج بضائع متشابهة، ويصرف النظر عن المنتجات الزراعية المتشابهة نسبياً فكلاهما من النواحي الاقتصادية منتج لمواد أساسية، ومستورد لبضائع مختلفة. وقد حققت إيران تقدمات كثيرة في قطاعات مهمة من الصناعة، ولا يمكن مقارنتها بأفغانستان. إلا أن الصناعة الإيرانية عبارة عن منتجات داخلية، أو في حدود الحاجة، وفي حالة الزيادة عن الحاجة يمكن التصدير، أما أفغانستان فلا تصدر إلى إيران أية بضاعة خاصة بها. وأفغانستان فقيرة من حيث العملة الأجنبية، وتقوم بتوفير تكلفة البضائع المستوردة عن طريق منتجاتها الزراعية. والحيوانية وبعض المواد المعدنية من قبيل الغاز الطبيعي، وإيران هي الأخرى مصدرة في كل هذه المجالات. بناءً على هذا فإن العلاقات الاقتصادية لا يمكن تطويرها وتوسيعها بالشكل الكافي.

(*) تخطط الولايات المتحدة لكل شيء في المنطقة دون أن يكون لإيران فيه وجود، ولهذا فقد عارضت نقل طاقة آسيا الوسطى عن طريق إيران، وفرضت على الشركات الأمريكية قيوداً في تعاملها مع إيران بمقتضى قانون داماتو. (المترجم)

٣- تقع أهم القطاعات الاقتصادية والزراعية بأفغانستان في المناطق الشرقية والشمالية، والجنوبية، أما المناطق الغربية، والمتاخمة للحدود الإيرانية فلا تتمتع بازدهار اقتصادي. ومحافظة خراسان وسيستان المجاورتان لأفغانستان لا تتمتعان بازدهار تجاري من الناحية الاقتصادية، وكانت هذه هي أسباب الاحتلال السوفيتي السابق لآسيا الوسطى، وبسط نفوذه في أفغانستان، وإقامته سوراً حديدياً على الحدود الشمالية والشمالية الشرقية لإيران. وقد أدت إقامة هذا السور الحديدي إلى عزل المحافظات الشرقية خلافاً لباقي المحافظات الأخرى المجاورة لإيران. وعلى الرغم من الإمكانيات الطبيعية الكثيرة للاقتصاد في محافظة خراسان فإن التجارب في هذه المنطقة ما زالت تجارب محدودة وضعيفة.

وقطعاً فإن المحافظات الشرقية قد تكتسب رونقاً جديداً بعد انهيار الاتحاد السوفيتي. ومن الممكن أن تقيم مع أفغانستان علاقات اقتصادية وتجارية جديدة، ونظراً لأن دول آسيا الوسطى قد تمتعت بالاستقلال فإن العلاقات الاقتصادية معها متعددة الجوانب، ومن الممكن أن تزدهر ازدهاراً كبيراً، وكانت العلاقات الثقافية بين كل من إيران وأفغانستان محدودة. وكانت هذه القيود في العلاقات سابقاً بسبب النفوذ الإنجليزي في أفغانستان والقلق من إعادة النفوذ الإيراني فيها، وفي العهد السوفيتي لم تتسع العلاقات الثقافية بين البلدين بسبب التجارب السابقة في العلاقات الثقافية الثنائية، خاصة وأن القلاقل، والقيود ضد إيران قد زادت بعد الثورة الإسلامية.

أما العلاقات الاقتصادية بين كل من إيران وأفغانستان فقد كانت محدودة في الماضي، ولكنها قابلة للتطوير بدرجة كبيرة؛ نظراً لما اعتري المنطقة من ظروف جديدة، وفي عام ١٣٥٠ هـ. ش كان حجم العلاقات الاقتصادية بين كل من إيران وأفغانستان حوالي مائة ألف دولار. وفي عام ١٣٥٥ هـ. ش وصلت العلاقات الاقتصادية الجديدة في عهد داود خان إلى ٦ ملايين دولار. وفي عام ١٣٥٧ هـ. ش انقطعت هذه العلاقات بسقوط الأنظمة الحاكمة في كل من إيران وأفغانستان (داود خان)، ومن بعدها حتى زمان سقوط نظام نجيب الله (بداية ١٣٧١ هـ. ش) لم تحدث أية مبادلات رسمية.

وفى عام ١٢٧١هـ. ش تم حل الخلاف الإيراني مع أفغانستان على استخدام مياه هيرمند، وتم تحديد حق إيران باستخدام ٢٦ متراً مكعباً فى الثانية على طول السنة.

وفى عام ١٢٥٣هـ. ش تم تشكيل أول لجنة للتعاون الاقتصادى بين كل من إيران وأفغانستان فى كابل، وذلك فى عهد حكومة داود خان. وتم التوقيع على بروتوكول فى المجالات الزراعية، والحيوانية، والصناعية، والطرق، وغيرها .

كما تم تشكيل لجنة أخرى فى عام ١٢٥٤ هـ. ش فى طهران، وتم توقيع اتفاقيات فى مجالات صهر الحديد، والأسمنت، وقصب السكر، والسكك الحديدية، والطرق...إلخ، وكان على إيران توفير التكاليف التكميلية لهذه المشروعات.

وشكلت الجلسة الثالثة للجنة الإيرانية الأفغانية الاقتصادية المشتركة فى عام ١٢٣٥هـ. ش فى كابل، وتم التوقيع خلالها على اتفاقيات جديدة فى مجالات النسيج، وتقديم قرض لمصنع الأسمنت، وقصب السكر، والورق، وغير ذلك، وكان هذا فى إطار الإعراب عن الرضا عن الاتفاقيات السابقة، وكان على إيران أيضاً توفير الميزانية اللازمة لإنشاء هذه المشروعات فى أفغانستان.

كما كانت هناك نية لتشكيل لجنة أخرى فى عام ١٢٥٣هـ. ش إلا أنها لم تشكل بسبب سقوط حكومة داود خان، وضعف أسس النظام البهلوى. وخلال الفترة من عام ١٢٥٢هـ. ش إلى عام ١٣٥٧هـ. ش قدمت إيران لأفغانستان أكثر من ٨٥ مليون دولار تحت بند معونة على مراحل مختلفة. فهذه العلاقات لم تحقق لإيران نفعاً من نواحٍ اقتصادية^(*)، أو سياسية، أو ثقافية. ولم تعترف إيران بشكل رسمى على الإطلاق بالأنظمة الشيوعية الحاكمة فى أفغانستان، ولم تجر معها أية مفاوضات.

وكانت إيران هى الدولة الأولى التى أدانت الاعتداء السوفيتى على أفغانستان، واتخذت ضده موقفاً متشدداً. وقد وقفت إيران لتأييد مقاومة الشعب الأفغانى،

(*) P.15 Henrt. Bradsher Afghaistan and the sovietunion (المترجم)

والمجاهدين. وعلى الرغم من أنها كانت مشغولة بالحرب المفروضة فإنها كانت تعرض كل ما أمكنها من مساعدات لدعم جهاد الشعب الأفغانى ضد الاعتداء والكفر.

وبعد انتصار المجاهدين وتشكيل الحكومة الإسلامية فى كابل عام ١٣٧١هـ. ش كانت إيران واحدة من أولى الدول التى اعترفت رسميا بالحكومة الإسلامية، وأقدمت على تقديم المساعدات والدعم لها.

العلاقات الأفغانية الروسية(*)

كانت أكثر العلاقات الأفغانية فى العقود الأخيرة بالاتحاد السوفيتى. وبعد استقلال أفغانستان عام ١٩١٩م كان الاتحاد السوفيتى هو أول دولة تعترف رسمياً باستقلال أفغانستان، وأقدم أمان الله خان بعد الاستقلال على القيام بعدة إصلاحات وتطويرات لأفغانستان، ولكنه كان يفتقد الآليات التى يحتاج إليها فى تنفيذ هذه الإجراءات. وكان ينتظر أن تساعد إنجلترا فى هذا السبيل، إلا أنها رفضت تقديم الأموال والمعونات التى تحتاج إليها أفغانستان، مما اضطر الحكومة الأفغانية إلى الاتجاه نحو الاتحاد السوفيتى. وفى ١٣ سبتمبر ١٩٢٠م تم إبرام اتفاقية صداقة مع الاتحاد السوفيتى، أهدت روسيا من خلالها إلى أفغانستان مليون روبل من الذهب، كما قدمت إليها خمسة آلاف قطعة سلاح بمستلزماتها وعدة طائرات، وأسست لها مدرسة للتدريب الفنى والجوى، ومصنعا للبارود، ومعونات فنية مختلفة(**).

ولم ترض الحكومة الإنجليزية عن هذه الاتفاقية، و للرد على الحكومة الأفغانية، ومعاقبتها قامت بقطع طريق تصدير البضائع الأفغانية عن طريق الهند (باكستان

(*) بدأت بنور هذه العلاقات فى عهد أمان الله خان، واستقام عودها إبان الفترة الاولى من رئاسة محمد داود، ونضجت واستوت بعد تجديد القانون الأساسى عام ١٣٤٣ هـ. ش، وأينعت إبان فترة حكم محمد داود الذى فتح الباب أمام القروض والمساعدات الروسية التى لا طائل منها. انظر: العلاقات الأفغانية الروسية، ص ٤٦٥. (المترجم)

(**) henrt s.bradsher afghaistan and the sovietunion p.15. (المترجم)

اليوم)، وفي المقابل وقعت الحكومة الأفغانية اتفاقية أخرى مع الاتحاد السوفيتي، تقضى بإعفاء البضائع الأفغانية من دفع مقابل المرور والضرائب، وتصديرها عن طريق الاتحاد السوفيتي. وفي عام ١٩٢١م أبرمت اتفاقية أخرى بين كل من أفغانستان والاتحاد السوفيتي ألغت روسيا بمقتضاها الامتيازات غير المتساوية، وتعهدت كلتا الدولتين بالألا تستخدم إحداها الأرض في الاعتداء على الأخرى.

ولكن على الرغم من اتفاقيات الصداقة والتقارب التي أبرمت بين الطرفين، فقد ثارت المخاوف الأفغانية من احتمال الاعتداءات السوفيتية بسبب الاعتداء السوفيتي على أراضي آسيا الوسطى، وبذلت أفغانستان الجهود من أجل إقامة علاقات مناسبة مع دول الغرب.

وبخروج إنجلترا من الهند ١٩٤٧م، وعدم اهتمامها بأفغانستان أصبحت أفغانستان وحيدة أمام الاتحاد السوفيتي. فمن قبل ذلك كانت إنجلترا تعتني بأفغانستان من أجل الحيلولة دون النفوذ والتدخل السوفيتي في الهند، ولكن منذ عام ١٩٤٧م عندما خرجت من الهند فقدت أفغانستان أهميتها بالنسبة لإنجلترا. وكان خروجها قد أدى إلى سعادة بعض الشعب الأفغاني، وقلق بعضهم الآخر. فكانت سعادة بعضهم من أجل التحرر من ربة الاحتلال بخروجها من الهند وأفغانستان، وكان القلق بسبب الانفراد أمام الاتحاد السوفيتي، ومع هذا فإن الاتحاد السوفيتي لم تكن لديه الفرصة للاهتمام الكافي بأفغانستان بسبب الصراعات الداخلية المتزايدة، وكذلك الصراعات في أوروبا الشرقية ومنغوليا.

وبعد موت استالن ١٩٥٣م زاد الاهتمام الروسي بأفغانستان، خاصة وأن الاهتمام الأمريكي بباكستان كان يقوم على تسليحها منذ عام ١٩٥٢م. وكانت رئاسة داود خان للوزراء ١٩٥٢م، وأهدافه التي تقوم على تطوير أفغانستان قد ساعدت على خلق المجال للتقارب بين كل من أفغانستان، والاتحاد السوفيتي. وبدأت المعونات السوفيتية لأفغانستان منذ عهد خروشف، وزادت في عهد بريجنيف(*).

(*) كانت هذه القروض وتلك الاتفاقيات مقدمة الغزو السوفيتي لأفغانستان، فقد أترك السوفييت أن هذه البلاد مستودع لموارد هائلة، وهي حقيقة يعرفها الروس حق المعرفة بحكم تاريخهم الطويل في الكشف عن المعادن. انظر: المسلمون في أفغانستان، ص ٦٩ بتصرف. (المترجم)

ومنذ عام ١٩٥٢م، وما بعده كانت أهم وأولى فصول العلاقات الأفغانية السوفيتية، وهي كما يلي:

- اتفاقية يناير ١٩٥٤م لتقديم ٢,٥ مليون دولار قرضاً من جانب الاتحاد السوفيتي لإنشاء صوامع للذلال، و نظام للمخابز في أفغانستان.

- اتفاقية أكتوبر عام ١٩٤٥م لتقديم ٢,١ مليون دولار في شكل مستلزمات لإنشاء مصنع لتصنيع مواد الأسفلت، وفي السنة نفسها قدمت تشيكوسلوفاكيا خمسة ملايين دولار في شكل مستلزمات لإنفاقها في مصنع الأسفلت .

- زيارة خروشفوف وبولكانين لأفغانستان في ديسمبر ١٩٥٥م، وإهداؤه مستشفى يضم مائة سرير، وطائرة نقل ركاب لظاهر شاه، وعدة أتوبيسات للطرق الأفغانية في كابل، ووعده بتقديم ١٠٠ مليون دولار في صورة أشياء بمهلة طويلة تصل إلى ثلاثين سنة، وبفائدة قدرها اثنان بالمائة، وعلى هذا الأساس تقرر تقديم الإمكانيات التالية لأفغانستان:

١- طائرتين إحداهما عسكرية، والأخرى غير عسكرية.

٢- عدد ٢ آلة ذاتية الحركة لزراعة الأعشاب.

٣- عدد ٢ آلة ذاتية الحركة لإصلاح وترميم الطرق.

٤- ثلاثة مشروعات للري.

٥- إنشاء مطار عسكري في بجرام (على بعد ٢٠ ميل من كابل).

٦- إنشاء طريق في المنطقة الشمالية من أفغانستان، وإنشاء نفق سالنج.

وطبقاً لاتفاق خروشفوف، وبولكانين مع أفغانستان تقرر أن تتسلم أفغانستان المعدات التي تحتاج إليها من الاتحاد السوفيتي، كما تولت روسيا كذلك مهمة تعليم الجيش وتدريبه، وفي أغسطس عام ١٩٥٥م أبرمت اتفاقية بتكلفة ثلاثة ملايين دولار بين كل من تشيكوسلوفاكيا وأفغانستان تبيع بمقتضاها الأولى للثانية أسلحة، وترسل إليها مستشارين عسكريين.

- اتفاقية يوليو عام ١٩٥٦م بين روسيا وأفغانستان بتكلفة ٣٢,٤ مليون دولار في صورة معونات عسكرية لأفغانستان، ومنذ ذلك الحين أصبحت اللغة الفنية في المراكز العسكرية الأفغانية هي اللغة الروسية.

- اتفاقية أغسطس ١٩٥٦م، التي تنص على مد أفغانستان بما قيمته ٢٥ مليون دولار من معادن للآلات العسكرية، وما تحتاج إليه.

وطبقاً للمعونات المشار إليها فقد حضر إلى أفغانستان حتى عام ١٩٥٦م أكثر من ٤٦٠ فنيا روسيا(*)، وفي عام ١٩٥٧م قام ظاهر شاه بزيارة الاتحاد السوفيتي، وأسفرت الزيارة عن إرسال فريق للكشف والتنقيب عن الغاز الطبيعي في أفغانستان بعد مفاوضات حول التنقيب عنه وتصديره إلى الاتحاد السوفيتي.

في عام ١٩٥٨م اتسع نطاق العلاقات التجارية الأفغانية مع العالم الاشتراكي حتى وصل من ١٤,٧٪ في عام ١٩٥١م إلى ٣٣,٩٪.

- اتفاقية بتكلفة ٢٥ مليون دولار عام ١٩٥٩م لتقديم دبابات وطائرات، وباقي المعونات الفنية.

- اتفاقية ١٩٦٠م بين تشيكوسلوفاكيا، وأفغانستان لبيع أسلحة لأفغانستان.

- اكتشاف حقل عظيم للغاز الطبيعي في شمال أفغانستان في عام ١٩٦١م، وتصديره إلى روسيا منذ عام ١٩٦٧م.

- اضطراب التوازن التجاري بين أفغانستان وروسيا منذ عام ١٩٥٩م وما بعدها، ففي عام ١٩٦٣م كان حجم الصادرات الروسية لأفغانستان يقدر بـ ٧٢,٥ مليون دولار، وأما وارداتها فكانت تقدر بـ ٢٣ مليون دولار.

(*) . josep j. collins, the soviet invasion of Afgh a nistan, P.21. (المترجم)

- اتفاقية ١٩٦٣م بشأن تصدير البضائع الاستهلاكية من روسيا إلى أفغانستان.
- تكميل إنشاء طريق الحدود الروسية إلى هراة، ومن هناك إلى قندهار، ومن قندهار إلى كابل، ومن كابل إلى مزار شريف، ومن هناك إلى الحدود الروسية.
- زيادة المعونات التسليحية السوفيتية منذ ١٩٧٣م وما بعدها، وحضور كثير من المستشارين الروس إلى الجيش الأفغانى.
- الرغبة فى تقديم معونات بلغت ١٢٠ مليون دولار لأفغانستان فى عام ١٩٧٢م، وزاد هذا المبلغ بعد زيارة داود خان لروسيا حتى وصل إلى ١٥٠ مليون دولار، وتم تخطيط ٢١ مشروعاً لهذا المبلغ كان أحدها مد خط أنابيب الغاز الطبيعى من أفغانستان إلى روسيا.
- تخصيص ميزانية يبلغ حجمها ٤٢٥ مليون دولار لأفغانستان لتنفيذ الخطة السبعية الخاصة بـداود خان، وقد قُرِّرَت هذه الميزانية لمواجهة المقترحات المالية الإيرانية، وباقى الدول التى تميل إلى غرب باكستان.
- تقديم أكثر من ٥٠ مشروعاً مختلفاً لروسيا من جانب أفغانستان، ويشتمل على تطوير إنتاج السماد الكيماوى، وتطوير صادرات الغاز الطبيعى ... إلخ .
- إبرام اتفاقية لمدة ١٢ عاماً، وهى اتفاقية اقتصادية مشتركة عام ١٩٧٧م.
- اتفاق الحكومة الأفغانية الشيوعية مع روسيا عام ١٩٧٨م لتلقى ٢٥٠ مليون دولار فى صورة أسلحة.
- إبرام معاهدة دفاع مشترك بين أفغانستان وروسيا، وحضور عدد كبير من المستشارين الروس فى مهام عسكرية ومدنية بأفغانستان عام ١٩٧٨م، وما بعدها.
- ومنذ عام ١٩٧٩م عندما شن الاتحاد السوفيتى هجومه العسكرى على أفغانستان تم التوقيع على اتفاقيات ثنائية كثيرة لصالح الاتحاد السوفيتى، حيث وقعت اتفاقيات كثيرة حتى عام ١٩٨٦م كان بعضها غير عملى .

وفى عام ١٩٧٨م كان معظم أفراد الكادر القيادى للجيش الأفغانى مدربا تدريباً سوفيتياً. وفى نهاية عام ١٩٧٩م عندما اشتدت مقاومة الشعب الأفغانى، ولم يستطع نظام الانقلاب القضاء على الفتنة، وأشرفت الحكومة الشيوعية على السقوط، ولكى يحول الاتحاد السوفيتى دون تسرب الثورة الإسلامية فى إيران إلى أفغانستان، ولكى يحول كذلك دون سقوط الحكومة الشيوعية فى كابل شن هجومه العسكرى على أفغانستان، وكانت روسيا تتفق سنوياً فى أفغانستان حتى عام ١٩٩٠م، ومنذ تدخلها العسكرى حولى أكثر من ثلاثة مليارات دولار، وذلك لكى تؤسس نظاماً ترغب فيه، ولكن كل ذلك لم يحقق النتائج المرجوة.

ويمكن دراسة أسباب تطوير العلاقات الأفغانية السوفيتية خلال العقود الأخيرة فيما يلى:

كانت أهداف الحكومات الأفغانية من تلقى المعونات الروسية المختلفة هى دعم الأسس السياسية والاجتماعية، وإضعاف أو القضاء على المعارضين للتنمية الاقتصادية والصناعية فى أفغانستان. ولم يكن قصد الحكومات الأفغانية من تلقى المعونات هو تحقيق التقارب مع الاتحاد السوفيتى، بل إنه كان من أجل تحريض الغرب نحو التنمية الاقتصادية والصناعية بالبلاد.

الأهداف السوفيتية من تقديم المعونات لأفغانستان

- توسيع نطاق الماركسية، والنظام الاشتراكى، وجعل أفغانستان شيوعية من أجل دعم وتوسيع نطاق الشيوعية.
- تحقيق الأمن على الحدود الجنوبية للاتحاد السوفيتى.
- توسيع أراضى الاتحاد السوفيتى عن طريق أفغانستان وسائر الدول بالمنطقة.
- الاستفادة من المصادر الطبيعية والمعدنية بأفغانستان.

– الاستفادة من السوق الأفغانية.

احتل الاتحاد السوفيتي (السابق) أفغانستان منذ عام ١٩٧٩م في ٢٧ ديسمبر، وحتى ١٥ فبراير عام ١٩٨٩م، وكانت أفغانستان قد حصلت على معظم المعونات قبل ذلك من الاتحاد السوفيتي، إلا أنها تكبدت خسائر تقدر بعدة أضعاف معوناتها، وذلك خلال السنوات العشر للاحتلال العسكري السوفيتي لها. وهي خسائر قد لا يمكن حصرها، ومن ذلك مليون ونصف المليون شهيد، وعدد كبير من الجرحى، وأكثر من خمسة ملايين مشرد في إيران وباكستان، وعدد من المشردين داخل البلاد، وتدمير معظم المدن والقرى وتدميرها، وتدمير نظام الري، وتدمير الشوارع والجسور، والقضاء النهائي على الاقتصاد، والظروف الصناعية الضعيفة، والإضرار بالصادرات والواردات، وقطع العلاقات السياسية، والاقتصادية، والثقافية، والخارجية.

وبعد انهيار الاتحاد السوفيتي السابق تلاشت العلاقات الأفغانية السوفيتية التي كانت تنقسم بالاتساع النسبي، ولم يعد لجمهورية روسيا الاتحادية – التي تعد أكبر جمهورية سوفيتية، والوريث للاتحاد السوفيتي السابق – اهتمام كبير بأفغانستان للأسباب التالية:

– بعد الحدود الروسية عن أفغانستان.

– الصراعات الداخلية في جمهورية روسيا مع شعوبها، وسائر المشاغل السياسية والاقتصادية والاجتماعية بالداخل.

– عدم وجود مصالح خاصة في أفغانستان.

العلاقات الأفغانية الأمريكية

لم يكن لدى أمريكا، وحتى الدول الغربية اهتمام خاص بأفغانستان في العقود الأخيرة، وكان اهتمامها مقصوراً على الحد من اتساع النفوذ السوفيتي فيها، ولم تهتم بالمطالب الأفغانية للحصول على المعونات.

وكانت أمريكا والغرب منذ عقد الستينيات تنظر إلى أفغانستان على أنها منطقة وميدان للنفوذ السوفيتي، وتُحملها هذا. ولم تكن أفغانستان منطقة مهمة بالنسبة للغرب من الناحية الاقتصادية والتجارية. وكان داود خان في عام ١٩٥٩م يطالب أمريكا بمعونات عسكرية أثناء قوة وحرارة العلاقات الأفغانية السوفيتية، وذلك من أجل الحد من تزايد النفوذ السوفيتي، ولكنها رفضت قبول مطالب داود خان لأسباب ما. وبعد عزل داود خان كان رؤساء الوزراء الأفغانيون منذ رئاسة الوزراء في عام ١٩٦٣م يميلون إلى إقامة علاقات طيبة مع أمريكا، إلا أنه لم يتوفر المجال لإقامة العلاقات المطلوبة، وكانت المعونات الاقتصادية والعسكرية من جانب أمريكا لأفغانستان - في مجملها - حتى عام ١٩٧٣م قد بلغت ٢٢٥ مليون دولار. بينما كانت مساهمة روسيا تقدر في الوقت نفسه بـ ١,٥ مليار دولار.

ومن الممكن بحث ودراسة أسباب عدم الاهتمام الأمريكي بأفغانستان في النقاط التالية:

- ١ - عدم وجود مصادر معدنية قيمة وسهلة الاستخراج في أفغانستان مثل النفط في دول منطقة الخليج الفارسي.
- ٢ - وجود النظام القبلي في أفغانستان، والمشاكل والعوائق الناجمة عنه.
- ٣ - انعدام الأمن السياسي، والاقتصادي، والاجتماعي المطلوب في أفغانستان (من وجهة النظر الغربية).
- ٤ - موقع أفغانستان ، حيث كانت حبيسة الجفاف لا تطل على المياه الحرة.
- ٥ - الاقتراب الشديد لأفغانستان من الاتحاد السوفيتي (السابق).
- ٦ - دعم أمريكا لموقف باكستان ضد النفوذ والتدخل المحتملين من جانب الاتحاد السوفيتي، وكان يبدو أن القوة السياسية والعسكرية لباكستان أمام روسيا أمر كاف، كما كانت المحافظة على أفغانستان في مواجهة روسيا تكلف أمريكا ميزانيات إضافية.

٧ - لم تلعب أمريكا دوراً(*)، ولم تتخذ موقفاً معارضاً لإنجلترا في الهند ؛ ولهذا السبب فإنها لم تكن ترى مصلحة في أفغانستان، لذلك فعلى الرغم من فشل محاولات الحكومات الأفغانية التعاون مع أمريكا لمواجهة الاتحاد السوفيتي وتنمية أفغانستان فإن الحكومة الأمريكية كانت آخر الحكومات التي اعترفت رسمياً بزعامة ظاهر شاه.

واستغلت أمريكا الاعتداء السوفيتي بوصفه خطراً يوسع الشيوعية(**)، فقامت بالتأييد النسبي للمجاهدين الأفغان من أجل توجيه ضربة للاتحاد السوفيتي، وإضعافه، وإلحاق الأضرار به وتحقيق سياساتها وأهدافها، وكان تأييد أمريكا ومعوناتها للمجاهدين في الحجم المناسب لضرب الاتحاد السوفيتي، وليس في حجم الدعم المطلوب لجماعات المجاهدين؛ ولهذا السبب عندما زال الخطر السوفيتي عن أفغانستان والمنطقة قامت بقطع تأييدها لأحزاب وجماعات المجاهدين، ولكي تحول دون قيام حكومة إسلامية على يد المجاهدين قامت ببث الفرقة في صفوفهم، وظلت تدعم حكومة كابل لفترة بعد خروج القوات الروسية. وحتى بعد انهيار الاتحاد السوفيتي، وبعد قيام الحكومة الإسلامية على يد المجاهدين قامت باستخدام عملائها في المنطقة لبث الفرقة في صفوف المجاهدين، وفرضت على المجاهدين والحكومة الأفغانية حرباً وصراعات طاحنة منذ أواسط صيف عام ١٣٧١هـ. ش / ١٩٩٢م وما بعدها، وذلك بتأييداتها المباشرة، وغير المباشرة لعدد من الجماعات.

وأمريكا لا تؤمن بوجود مصالح مهمة لها في أفغانستان في الوضع الراهن(***)

(*) للمزيد حول الوجود الأمريكي في أفغانستان انظر: مجموعة مقالات دومين سمينار، أفغانستان، ص ٢٢٦. (المترجم)

(**) ترى بعض الآراء أن التدخل العسكري الروسي في أفغانستان أوجد فرصة طيبة لأمريكا لتغطي فشلها السياسي في كوبا وفيتنام وأنكولا. انظر: مجموعة مقالات دومين سمينار، أفغانستان، ص ١٨١. (المترجم)

(***) ولكن تغير الوضع تماماً بعد أحداث ١١ سبتمبر الشهيرة، حيث بدأت أمريكا في انتهاج استراتيجية الدفاع الوقائي من أجل حماية مصالحها الممتدة في جميع أنحاء العالم، فقامت بتوجيه ضربات استباقية للأهداف التي ترى أنها تشكل تهديداً مباشراً لمصالحها دون اعتبار للأعراف والقوانين الدولية، فكانت أفغانستان الصيد الأول الذي فتح شهيتها على العراق... إلخ، وهي سياسة تهدف إلى فرض نظام عالمي جديد يتواءم والمعطيات الأمريكية. (المترجم)

وعنايتها منصبه فى إطار الحيلولة دون تولى الحكومات الموالية لإيران، أو تلك المعارضة لأمريكا فى أفغانستان، وذلك حتى لا تتعرض مصالحها فى آسيا الغربية للخطر، ولكى تواصل تنفيذ هذه السياسات فإنها فتحت الطريق أكثر للنشاطات الباكستانية والسعودية.

العلاقات الأفغانىة السعودىة(*)

لم تكن هناك علاقات مهمة بين السعودىة وأفغانستان قبل الاعتداء السوفيتى على أفغانستان، وذلك لأن القضايا السعودىة - الأفغانىة والمصالح المتبادلة مختلة وغير متفقة، ولكن المملكة العربىة السعودىة وثبت لتأمين أهدافها بتأييد بعض جماعات المجاهدين بعد التدخل العسكرى السوفيتى. وكانت السعودىة تقدم المعونات طوال فترة جهاد الشعب الأفغانى ومقاومته، وقدمت كذلك عدة وعود بعد هزيمة الاتحاد السوفيتى. وكانت السعودىة تقدم الجزء الأعظم من مساعدتها للأحزاب المجاهدة والجماعات التابعة للحركة الوهابىة أو المؤيدة لها، وكان سياف وخالص، وغيرهما من الأشخاص الذين يتلقون أكبر المعونات السعودىة، ويأتى فى الترتيب الثانى بعد هذه الطائفة الجماعات المعتدلة مثل: مجددى، وربانى، وكيلانى، ومحمدى، ومن الجماعات الأخرى أصف محسنى من الذين تلقوا معونات فى الفترة الأخيرة.

(*) ترى إيران أن التقارب السعودى الأفغانى فى أثناء الاحتلال السوفيتى لأفغانستان يكمن فى سببين : أولهما: جعل هذه الدولة "السعودىة" مدينة لأمريكا والغرب لدرجة أن زعماءها أصيبوا بضرر بالغ من جراء الضغوط الأمريكىة .

وثانيهما: أن أمريكا أنكرت سريعا أن السعودىة ليست قادرة على المساعدة المالية فقط، ولكن باعتبارها عضواً فى المجتمع الإسلامى والدفاع عن العقيدة الإسلامىة ضد الروس، فقبل الاحتلال السوفيتى لأفغانستان لم تكن هناك علاقات تذكر. انظر: مجموعة مقالات دؤمين. سمينار، أفغانستان ، ص ١٦٧، و ص ٢٠٨ . (المترجم)

وفي فترة الجهاد الأفغانى ضد السوفييت، والحكومات الشيوعية، وحتى الآن (مهرماه ١٢٧١هـ. ش - سبتمبر/أكتوبر ١٩٩١م) حيث تم تشكيل الحكومة الإسلامية للمجاهدين؛ كانت السعودية تؤيد الجماعات التي كانت لها علاقات محدودة بإيران، وأقل اتجاهًا وتبعية لها، وكانت تشترط لمعوناتها الحد من العلاقات مع إيران.

العلاقات الأفغانية الهندية

اتبعت الهند على طول العقود الثلاثة الماضية سياسة التأييد للحكومات الأفغانية، حتى إنها كانت تؤيد الحكومات الشيوعية الحاكمة في كابل في أثناء التدخل العسكرى السوفيتى، أو على الأقل لم تتخذ مواقف مضادة لها. ويمكننا بحث أسباب التقارب الأفغانى الهندى فى النقاط التالية:

- علاقات التقارب بين كل من الهند(*) والاتحاد السوفيتى، والتعاون الإقليمى بين البلدين. كما كانت كل واحدة منهما تراعى الأخرى فى علاقاتها الخارجية، وبالنسبة لقضية أفغانستان فإن الهند أيدت الاتحاد السوفيتى على طول الخط، وكانت تؤيد الحكومات الأفغانية ما أمكنها.

- الخلافات بين الهند وباكستان، حيث كانت الهند تسعى لإقامة علاقات تقارب مع أفغانستان، وإثارة المشاكل مثل مشكلة البشتونستان حتى تخلق المشاكل أمام باكستان حتى تحول اهتمامها بحدودها الشرقية مع الهند إلى حدودها الغربية، والشمالية الغربية مع أفغانستان .

(*) كان الروس والهنود يسعون وراء هدف واحد، وهو إبعاد أفغانستان وباكستان كليهما عن الأخرى، وإضعاف كليهما فى المنطقة ومنعهما من التوسع فيها، فالهند كانت خائفة من قيام اتحاد إسلامى بين باكستان وأفغانستان وإيران ، أما الروس فكانوا ينجزون كل ما أرادوه من أفغانستان تحت اسم مشكلة بشتونستان. انظر: العلاقات الأفغانية الروسية ، ترجمة د. عفاف زيدان. ص ٥٤٥ بتصرف. (المترجم)

- تناقص الاهتمام الهندي الشديد بأفغانستان لدرجة كبيرة بعد انهيار الاتحاد السوفيتي، واضطراب توازن القوى في المنطقة، وأصبحت الاهتمامات والاتجاهات الهندية إلى أمريكا بشكل أكبر، خاصة في الأوضاع الراهنة، ولذلك افتقدت أفغانستان دوافع الأوضاع السابقة للهند. ومع ذلك فإن الهند سيظل لها اهتمام نسبي بأفغانستان طالما ظلت باكستان تقع على الحدود الغربية لها، وتمثل خطراً عليها، وكانت الهند ترحب بسوء العلاقات الأفغانية الباكستانية، طالما كانت سيئة.

العلاقات الأفغانية الصينية

الحدود الأفغانية الصينية المشتركة حدود بسيطة، ولكن هذه المنطقة الحدودية - والتي تمثل منطقة جبلية صعبة، ولا يمكن عبورها - لعبت دوراً مؤثراً في تحقيق التقارب بين البلدين ؛ ولذلك كانت العلاقات الثنائية علاقات محدودة(*).

وأدانت الصين الاعتداء السوفيتي على أفغانستان طول فترة الاحتلال، وطالبت بخروج القوات السوفيتية من أفغانستان. وخلال فترة الاحتلال كانت الصين تتبنى ثلاثة مبادئ هي: خروج القوات السوفيتية، وحق الشعب الأفغاني في تقرير مصيره والاستقلال، والمحافظة على الحياد الأفغاني.

وبعد خروج الاتحاد السوفيتي، وانهياره في نهاية الأمر حدثت الصين من اهتمامها بأفغانستان. ومنذ بداية عام ١٣٧١هـ. ش / ١٩٩١م، وحتى الآن مهر ١٣٧١هـ. ش لم يكن لها رد فعل مهم يتعلق بالقضايا الأفغانية ؛ فقد حولت الصين اهتمامها إلى منطقة آسيا الوسطى، إلا أنها حتى الآن لم تنظر إلى أفغانستان نظرة اهتمام أو عناية منذ بداية القرن العشرين ، وحتى الآن كانت الأطراف الخارجية، وكذلك الحكومات

(*) ولهذا قطعت جميع مساعداتها العسكرية لأفغانستان، وكانت ترى أن حل المشكلة الأفغانية يكمن في الحل السلمي. انظر: مجموعة مقالات يومين سمينار، أفغانستان ، ص ١٧٠ . (المترجم)

الأفغانية هي العامل المؤثر في العلاقات مع الدول الأجنبية، فكانت الحكومات الأفغانية تُسْتَمَال لقلّة الدخل والاختناقات الاقتصادية الشديدة والصراعات الداخلية. وسوف تظل تواصل هذا الموقف لمستقبل غير معلوم أو محدود، طالما أن أفغانستان تحتل موقعاً ضعيفاً من الناحية الاقتصادية والصناعية والمالية والتعليمية، فهي تضطر إلى الانحياز من أجل تلقي المعونات التي تحتاج إليها، وسوف تكون هذه الحالة أكثر إزاء الدول التي تعرض معونات أكبر.

المؤلف في سطور :

- كاتب ومفكر إيراني
- يعمل بوزارة الخارجية الإيرانية
- يهتم بالجانب التاريخي السياسي للدول في كتاباته .

المترجم فى سطور :

أحمد محمد النادى

حاصل على دكتوراه فى اللغة الفارسية وآدابها من كلية اللغات والترجمة -
جامعة الأزهر عام ١٩٩٩م، ويعمل حالياً مدرس اللغة الفارسية وآدابها بمعهد
الدراسات والبحوث الآسيوية - جامعة الزقازيق

- من مؤلفاته :

بازگشت ادبى " العودة الأدبية "

- تاريخ طبرستان لابن اسقديار ، دراسة وترجمة .

للمؤلف العديد من الأبحاث المنشورة، منها : العرب الفارسي فى العربية والعامة
المصرية: دراسة فى البنية والدلالة .

- خسى درا ميعات : قشة فى الميقات .

- الإله وصفاته فى الديانة الزرادشتية .

- الأمن والسياسة فى النزاع حول الجزر بين إيران والإمارات .

- قراءة فى ديوان أخوان ثالث " آخر شاهنان "

المراجع فى سطور :

السباعى محمد السباعى

- ولد فى المحلة الكبرى - محافظة الغربية عام ١٩٤١م.

- حصل على ليسانس الآداب فى كلية الآداب - قسم اللغات الشرقية - جامعة القاهرة عام ١٩٦٢م .

- حصل على الماجستير فى موضوع " جلال الدين الرومى وكتابه فيه ما فيه " عام ١٩٦٨م.

- حصل على الدكتوراه فى موضوع "عطا مالك الجوينى وكتابه "تاريخ جهاى كشائى" عام ١٩٧٢م .

- تقلد عدة مناصب منها :

- رئيس قسم اللغات الشرقية عام ١٩٨٣م

- وكيل كلية الآداب - بنى سويف عام ١٩٨٦م.

- عميد كلية الآداب - بنى سويف عام ١٩٨٦

- عميد المعهد العالى للسياحة والفنادق بمدينة السادس من أكتوبر ١٩٩٦م.

وقد ساهم فى العديد من المؤتمرات العلمية، وألقى محاضرات فى كل من تركيا وإيران منذ عام ١٩٧٢م حتى عام ١٩٩٢م

له العديد من المؤلفات والترجمات منها :

- الثورة الإسلامية فى إيران من وجهة النظر الإيرانية عام ٢٠٠٠ ، الموسوعة العامة مقاتل فى الصحراء (مؤلف) .

- عبد الوهاب عزام ، رائداً ومفكراً ، القاهرة ، للكتاب المصرى اللبنانى ، يناير ٢٠٠٥ (مؤلف) .

- الإسلام في إيران تأليف بطرشوفسكى (مترجم)
- من الفكر الصوفي الإيراني المعاصر تأليف : صادق عنقا (مترجم) .
- وقد شارك في مؤتمرات دولية عديدة ، ونال العديد من الأوسمة والتقديرات .

التصحيح اللغوى : أحمد عبد العظيم
الإشراف الفنى : حسن كامل

يضع موقع أفغانستان المعاصر والمكتشف أمام دول الجوار
في حذر بالغ وحسكة شديدة في علاقاتها مع دول الجوار، ويكون
لزاماً على حكومة "حامد قرضاي" أو غيرها أن تتمتع بقدر من
المصداقية ومساحة اتفاق في علاقاتها مع دول الجوار،
وإلا تواجه انقلابات وثورات بفعل تداعيات العرقية والبيئة
الجغرافية التي تمثل هي الأخرى مصدر تهديد دائماً لاستقرار
بقاء النظام بجانب البيئة العامة للنظام السياسي، وهي المسؤولة
عن الأحداث القومية والعرقية والتي بدأت منذ قرن، وسوف
تستمر لأجل غير مسمى، ويعالج هذا الكتاب كل هذه الظواهر
من جغرافية طبيعية وبشرية وما يتصل بالدين والمذهب والعادات
والتقاليد، والأوضاع الاقتصادية والأهمية الاستراتيجية لهذا
البلد وعلاقاته إقليمياً ودولياً.